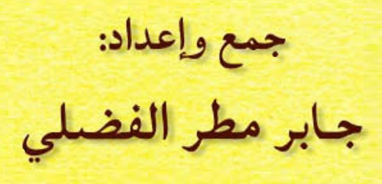


مكتبة البابطين المركزية للشعر العربي
Al-Babtain Central Library for Arabic Poetry

أدباء من أمتي

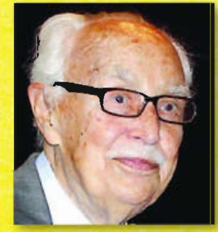




جمع وإعداد:
جابر مطر الفضلي










بسم الله الرحمن الرحيم

مكتبة البابطين المركزية للشعر العربي

تأسست عام ٢٠٠٢م

افتتحت عام ٢٠٠٦م

مؤسسها ورئيس مجلس إدارتها

عبدالعزيز سعود البابطين

المدير العام

سعاد عبدالله العتيقي

دولة الكويت - شرق - شارع عبدالله الأحمد

بجانب المسجد الكبير ووزارة التخطيط

ص.ب ٢٥٠١٩ - الصفاة - الرمز البريدي ١٣١١١

هاتف: ٢٢٤٧٤٠١٠ - ٢٢٤٧٤٠١١ (٩٦٥+)

فاكس: ٢٢٤٧٤٠١٤ (٩٦٥+)

البريد الإلكتروني: E-mail: info@albabtainlibrary.org.kw



أدباء من أمتي

جمع وإعداد
جابر مطر الفضلي

الكويت
يوليو ٢٠١٩

٩٢٨.١ الفضلي، جابر مطر.

أدباء من أمتي/ جمع وإعداد جابر مطر الفضلي .ـ ط١ .ـ الكويت : مكتبة البابطين المركزية للشعر العربي، ٢٠١٩.

٣٧٢ ص ؛ ٢٤ سم.

ردمك: ٢-٤٤-٨٥-٩٩٩٠٦-٩٧٨

١. الأدباء العرب - تراجم ٢.الشعراء العرب - تراجم

ج. العنوان

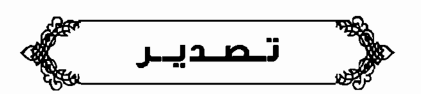
رقم الإيداع : ٢٠١٩- ٠٧٧٦
ردمك : ٢-٤٤-٨٥-٩٩٩٠٦-٩٧٨

Depository Number: 0776 -2019
ISBN: 978-99906-85-44-2

الطبعة الأولى

الكويت

٢٠١٩



تصدير

بقلم: عبدالعزيز سعود البابطين

فن الترجمة هو من الفنون العريقة في التراث العربي، وعلى مدى العصر العربي برز فيض من كتب التراجم تتتبع الأعلام في كل مجالات الإبداع، تنوعت هذه التراجم بين رجال الحديث، والفقهاء، والمفسرين، والشعراء، والنحاة، والقراء، والكتّاب، والعلماء، والخطاطين، والوراقين، والفلاسفة، والأطباء وأعلام النساء، واتخذت هذه المؤلفات مسارات متعددة، بين الاقتصار على تراجم قطر أو بلد معين، أو تناول أعلام فترة زمنية معينة، وحاول بعض المؤلفين أن يجمع في حيز كتابه الأعلام بصورة عامة، واقتصر بعضهم على أعلام فن معين، وأوجز بعضهم في تراجمه، وأطال آخرون بحيث ألموا بالتفاصيل الدقيقة، وقد أدرك مؤلفونا منذ عصر مبكر أهمية هذا الفن، إذ أن هؤلاء الأعلام هم بناة التقدم في أمتهم، فهم الذين مهدوا دروب المستقبل، وافتتحوا فضاءات معرفية مبتكرة، وجعلوا من الحياة أكثر ثراء وامتلاء، وخلّفوا من بعدهم لتلاميذهم ومريديهم الأساس المتين ليكملوا ما بدأوا به ويتابعوا طريقهم في اكتشاف مجاهيل الحياة.

والحرص على تسجيل حيوات هؤلاء الأعلام إلى جانب أنه اعتراف بفضلهم على أمتهم وتخليد أسمائهم وما أنجزوه في ضمائر الأجيال المتتابعة فإنه أيضاً تذكير لمن يطالع سيرهم أن ما نالوه من شهرة لم يكن جائزة مجانية، وأن الصعود إلى القمة لم يتحقق بضربة حظ، أو مصادفة، بل هو جهد بشري مكثف ومتتابع يجد في التعب راحة، وفي المشقة متعة، وفي مجالدة الصعاب والعقبات لذة قصوى، ليس في قاموس حياة هؤلاء العظماء مفردات اللهو، واليأس، وإضاعة الوقت، والمستحيل، فكل صعب بالجهد الواعي يغدو سهلاً، وكل مستحيل بالمثابرة اليقظة يتحول إلى ممكن.

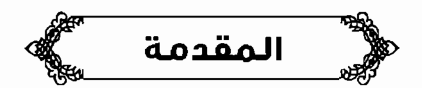
وفي العصر الحديث اقتدى كتابنَا بأسلافهم العظماء فأنجزوا وفرة من كتب التراجم في مختلف التخصصات، ومن هذه المؤلفات التي حرصت مكتبة

البابطين المركزية للشعر العربي أن يكون ضمن منشوراتها كنوع من التشجيع للمؤلفين في مجال فنون التراجم، كتاب "أدباء من أمتي"، والذي بذل فيه مؤلفه جهداً قيّماً ليقدم للقارئ العربي تعريفاً بأعلام الأدب العربي في العصر الحديث.

حيث يحتوي الكتاب بين طياته، تراجم (58) من أعلام الأدب ينتسبون إلى وطن عربي واحد. وإن تعددت أقطاره، فمن اليمن والمملكة العربية السعودية والبحرين والكويت في جزيرة العرب، إلى سورية ولبنان وفلسطين في بلاد الشام، إلى تونس والجزائر والمغرب في المغرب العربي، إلى بلاد الرافدين، وكنانة العرب.

وهم جميعاً من فرسان الكلمة المبدعة وإن تنوعت تجلياتها، بين رواية، وقصة قصيرة، ومسرح، ونقد، ومقال، وزجل، وتحقيق، وتاريخ، وقد تآزر في بناء هذه التراجم وفرة من التفاصيل الدقيقة الموحية التي تكشف خفايا شخصية العَلَم، وتبرز أدواته التي مكنته من تحقيق أحلامه.

وكلنا أمل أن يجد القارئ في هذا المؤلف ما يزيد من إصراره على إعمار وقته بكل ما هو مفيد، وأن يلهمه العزم ليقتدي بهؤلاء الأعلام في مسيرتهم نحو إثراء الحياة وتجديدها، والله الموفق.



المقدمة

أدباء من أمتي.. أمة العلم والثقافة والمعرفة.

الأمة التي أنارت التاريخ ونهلت منها الحضارات وعلت الكثير من الأمم.. أمة القرطاس والقلم.

الأمة التي وصفها الله في محكم كتابه: (كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ).

هذا الكتاب.. جاء توثيقاً لسيرة أدباء هذه الأمة، وتوثيقاً للتاريخ الأدبي العربي المعاصر ومُبرزاً للدور الذي لعبه النخبة من الأدباء والشعراء والروائيين والكتّاب العرب المعاصرين..

فهو بمثابة إحياء لمآثرهم كي تصل رسالتهم النبيلة لشباب اليوم.

في هذا الكتاب سنجد تراجم شخصية مسلطين فيها الضوء على مراحل حياة قامات أدبية سامقة.

الكاتب

جابر مطر الفضلي

(1) الأديب طه حسين

طه حسين هو أديب وناقد مصري، لُقّب بعميد الأدب العربي، غيّر الرواية العربية، مبدع السيرة الذاتية في كتابه «الأيام» الذي نشر عام 1929.

يعتبر من أبرز الشخصيات في الحركة العربية الأدبية الحديثة، يراه البعض من أبرز دعاة التنوير في العالم العربي، في حين يراه آخرون رائداً من رواد التغريب في العالم العربي، إنه طه بن حسين بن علي بن سلامة.

ولد طه حسين يوم الجمعة 15 نوفمبر 1889، في محافظة المنيا في الصعيد الأوسط المصري، وما مر على عيني الطفل أربعة من الأعوام حتى أصيبتا بالرمد ما أطفا النور فيهما إلى الأبد، وكان والده حسين عليّ موظفًا صغيرًا.

أدخله أبوه كتّاب القرية للشيخ محمد جاد الرب، لتعلم العربية والحساب وتلاوة القرآن الكريم وحفظه في مدة قصيرة أذهلت أستاذه وأترابه ووالده الذي كان يصحبه أحياناً لحضور حلقات الذكر.

وفي سنة 1902 دخل طه الأزهر للدراسة الدينية، والاستزادة من العلوم العربية، فحصل فيه ما تيسر من الثقافة، ونال شهادته التي تخوله التخصص في الجامعة، لكنه ضاق ذرعاً فيها.

كانت الأعوام الأربعة التي قضاها فيها، وهذا ما ذكره هو نفسه، كأنها أربعون عاماً وذلك بالنظر، حسب رأيه، إلى رتابة الدراسة، وعقم المنهج، وعدم تطور الأساتذة والشيوخ وطرق وأساليب التدريس.

ولما فتحت الجامعة المصرية أبوابها سنة 1908 كان طه حسين أول المنتسبين إليها، فدرس العلوم العصرية، والحضارة الإسلامية، والتاريخ والجغرافيا، وعدداً من اللغات الشرقية كالحبشية والعبرية والسريانية.

ظل يتردد خلال تلك الحقبة على حضور دروس الأزهر والمشاركة في ندواته اللغوية والدينية والإسلامية، ودأب على هذا العمل حتى سنة 1914، وهي السنة التي نال فيها شهادة الدكتوراه حيث كان موضوع الأطروحة «ذكرى أبي

العلاء» ما أثار ضجة في الأوساط الدينية ، وفي ندوة البرلمان المصري إذ اتهمه أحد أعضاء البرلمان بالمروق والزندقة والخروج على مبادئ الدين الحنيف.

وفي العام نفسه، أي في عام 1914 أوفدته الجامعة المصرية إلى مونبيليه بفرنسا، لمتابعة التخصص والاستزادة من فروع المعرفة والعلوم العصرية، فدرس في جامعتها الفرنسية وآدابها، وعلم النفس والتاريخ الحديث.

بقي هناك حتى سنة 1915، سنة عودته إلى مصر، فأقام فيها حوالي ثلاثة أشهر أثار خلالها معارك وخصومات متعددة، محورها الكبير بين تدريس الأزهر وتدريس الجامعات الغربية ما حدا بالمسؤولين إلى اتخاذ قرار بحرمانه من المنحة المعطاة له لتغطية نفقات دراسته في الخارج.

لكن تدخل السلطان حسين كامل حال دون تطبيق هذا القرار، فعاد إلى فرنسا من جديد لمتابعة التحصيل العلمي، فدرس في جامعتها مختلف الاتجاهات العلمية في علم الاجتماع والتاريخ اليوناني والروماني والتاريخ الحديث وأعد خلالها أطروحة الدكتوراه الثانية وعنوانها: ((الفلسفة الاجتماعية عند ابن خلدون))، حيث كان ذلك سنة 1918 إضافة إلى إنجازه دبلوم الدراسات العليا في القانون الروماني، والنجاح فيه بدرجة الامتياز.

وفي غضون تلك الأعوام كان قد تزوج من سوزان بريسو الفرنسية السويسرية التي ساعدته على الاطلاع أكثر فأكثر بالفرنسية واللاتينية، فتمكن من الثقافة الغربية إلى حد بعيد.

وقد كان لهذه السيدة عظيم الأثر في حياته فقامت له بدور القارئ فقرأت عليه الكثير من المراجع، وأمدته بالكتب التي تم كتابتها بطريقة برايل حتى تساعده على القراءة بنفسه، كما كانت الزوجة والصديق الذي دفعه للتقدم دائماً وقد أحبها طه حسين حباً جماً، ومما قاله فيها أنه «منذ أن سمع صوتها لم يعرف قلبه الألم»، وكان لطه حسين اثنان من الأبناء هما: أمينة ومؤنس.

وأول أستاذ لطه حسين كان الشيخ محمد جاد الرب، الذي علمه مبادئ القراءة والكتابة والحساب، وتلاوة القرآن الكريم في الكتّاب الذي كان يديره بمغاغة في عزبة الكليو.

وفي الأزهر تلقى العلم على يد عدد من الأساتذة والمشايخ أبرزهم: سيد المرصفي، والشيخ مصطفى المراغي، والشيخ محمد بخيت، والشيخ عطا، والشيخ محمد عبده، وقد أعجب بادئ الأمر كثيراً بآراء هذا الأخير واتخذه مثالاً في الثورة على القديم والتحرر من التقاليد.

أما في الجامعة المصرية فقد تتلمذ على يد كل من أحمد زكي في دروس الحضارة الإسلامية، وأحمد كمال باشا في الحضارة المصرية القديمة، والمستشرق جويدي في التاريخ والجغرافيا.

أما في الفلك فتتلمذ على كرنك نللينو، وفي اللغات السامية القديمة على يد المستشرق ليتمان، وفي الفلسفة الإسلامية عند سانتلانا، وفي تاريخ الحضارة الشرقية القديمة لدى ميلوني، وفي الفلسفة على يد ماسينيون، وأما الأدب الفرنسي فدرسه عند استاذه كليمانت.

وفي جامعة باريس درس التاريخ اليوناني لدى غلوتسس، والتاريخ الروماني عند بلوك، والتاريخ الحديث على يد سيغنوبوس، وعلم الاجتماع عند اميل دوركايم، وقد أشرف هذا ومعه بوغليه على اطروحته عن فلسفة ابن خلدون الاجتماعية بمشاركة من بلوك وكازانوفا.

وبعد عودته إلى مصر سنة 1919 عين طه حسين أستاذاً للتاريخ اليوناني والروماني في الجامعة المصرية، وكانت جامعة أهلية، فلما ألحقت بالدولة سنة 1925 عينته وزارة المعارف أستاذاً فيها للأدب العربي، فعميداً لكلية الآداب في الجامعة نفسها، وكان ذلك سنة 1928، لكنه لم يلبث في العمادة سوى يوم واحد؛ إذ قدم استقالته من هذا المنصب تحت تأثير الضغط المعنوي والأدبي الذي مارسه عليه الوفديون، خصوم الأحرار الدستوريين.

وفي سنة 1930 أعيد طه حسين إلى عمادة الآداب، لكن وبسبب منح الجامعة الدكتوراه الفخرية لعدد من الشخصيات السياسية المرموقة مثل عبد العزيز فهمي، وتوفيق رفعت، وعلي ماهر باشا، رفض طه حسين هذا العمل، وقد أصدر وزير المعارف مرسوما يقضي بنقله إلى وزارة المعارف، لكن رفض العميد تسلم منصبه الجديد اضطر الحكومة إلى إحالته للتقاعد سنة 1932.

على أثر تحويل طه حسين إلى التقاعد انصرف إلى العمل الصحافي فأشرف على تحرير ((كوكب الشرق)) التي كان يصدرها حافظ عوض، وما لبث أن استقال من عمله بسبب خلاف بينه وبين صاحب الصحيفة، فاشترى امتياز ((جريدة الوادي)) وراح يشرف على تحريرها، لكن هذا العمل لم يعجبه فتركه إلى حين، وكان هذا عام 1934.

وفي العام نفسه، أي عام 1934، أعيد طه حسين إلى الجامعة المصرية بصفة أستاذاً للأدب، ثم بصفة عميد لكلية الآداب ابتداءً من سنة 1936. وبسبب خلافه مع حكومة محمد محمود استقال من العمادة لينصرف إلى التدريس في الكلية نفسها حتى سنة 1942، وهي سنة تعيينه مديراً لجامعة الإسكندرية، إضافة إلى عمله الآخر مستشاراً فنياً لوزارة المعارف، ومراقباً للثقافة في الوزارة عينها، وفي عام 1944 ترك الجامعة بعد أن أحيل إلى التقاعد.

وفي سنة 1950، صدر مرسوم تعيينه وزيراً للمعارف وقد كان الحكم بيد حزب الوفد، وبقي في هذا المنصب حتى سنة 1952، تاريخ إقامة الحكومة الوفدية، بعد أن منح لقب الباشوية سنة 1951، وبعد أن وجه كل عنايته لجامعة الإسكندرية، وعمل رئيساً لمجمع اللغة العربية بالقاهرة، وعضواً في العديد من المجامع الدولية، وعضواً في المجلس العالي للفنون والآداب.

وفي سنة 1959 عاد طه حسين إلى الجامعة بصفة أستاذ غير متفرغ، كما عاد إلى الصحافة فتسلم رئاسة تحرير الجمهورية.

ومن الأمور التي أثارت جدلاً كبيراً في حياة طه حسين حتى هذا اليوم كتابه في الشعر الجاهلي، ففي عام 1926 ألف كتابه المثير للجدل حمل اسم "في الشعر الجاهلي" وعمل فيه بمبدأ ديكارت وخلص في استنتاجاته وتحليلاته إلى أن الشعر الجاهلي منحول، وأنه كتب بعد الإسلام ونسب للشعراء الجاهليين.

وقد تصدى له العديد من علماء الفلسفة واللغة ومنهم: مصطفى صادق الرافعي والخضر حسين ومحمد لطفي جمعة والشيخ محمد الخضري ومحمود محمد شاكر وغيرهم.

كما قاضى عدد من علماء الأزهر طه حسين إلا أن المحكمة برأته لعدم ثبوت أن رأيه قصد به الإساءة المتعمدة للدين أو للقرآن، فعدل اسم كتابه إلى «في الأدب الجاهلي» وحذف منه المقاطع الأربعة التي أخذت عليه.

كان طه حسين بالفعل قاهر الظلام، فما أقسى على الإنسان أن يعيش طوال حياته سجيناً للظلام وما أقسى من أن ينحرم حتى من رؤية وجهه في المرآة حقاً لقد قهر طه حسين الظلام وذلك بقوة إرادته وقوة عقيدته وإيمانه بهدفه لذلك يجب أن يكون مثالا لذوي الاحتياجات الخاصة كي يؤمنوا أن الإرادة والإيمان بالهدف هما القوة الحقيقية التي تحفز الإنسان على مغالبة أي شكل من أشكال الإعاقة.. وطه حسين هو مثال للأسوياء أيضاً بما حققه ووصل إليه.

فهو أديب وناقد وروائي مصري كبير بلغت شهرته الآفاق لأنه فقد البصر فيما كان عمره 4 سنين ومع ذلك استطاع أن يؤلف مئات الكتب ويقدم للأدب العربي المناهج والدروس والمدارس التي سار عليها الكثيرون بعده، وبالرغم من فقدانه لبصره في سن مبكرة إلا أنه واصل تعليمه إلى أن حصل على الدكتوراه وبلغ من المراتب ما بلغ حيث عيّن عميداً لكلّية الآداب، جامعة القاهرة، ورئيساً مؤقّتاً لجامعة فاروق الأول، وهو من قرّر مجانية التعليم الثانوي في مصر، أنشأ جامعة عين شمس، وكان عضواً بالمجمع اللغوي ورئيسه منذ 1963م حتى وفاته، وهو مدير دار الكاتب المصري، وكان عضواً في المجلس الأعلى للفنون والآداب والعلوم الاجتماعية ومقرّراً للجنة الترجمة منذ إنشائها.

وقد دعا طه حسين إلى نهضة أدبية شاملة، حيث عمل على الكتابة بأسلوب سهل واضح مع المحافظة على مفردات اللغة وقواعدها، ولقد أثارت آراؤه الكثيرين كما وجهت له العديد من الاتهامات، ولم يبال طه بهذه الثورة ولا بهذه المعارضات القوية التي تعرض لها ولكن استمر في دعوته للتجديد والتحديث.

فقد قدم العديد من الآراء كما ذكرنا التي تميزت بالجرأة الشديدة والصراحة فقد أخذ على المحيطين به ومن الأسلاف من المفكرين والأدباء

طرقهم التقليدية في تدريس الأدب العربي، وضعف مستوى التدريس في المدارس الحكومية، كما دعا إلى أهمية توضيح النصوص العربية الأدبية للطلاب، بالإضافة لأهمية إعداد المعلمين الذين يقومون بتدريس اللغة العربية، والأدب ليكونوا على قدر كبير من التمكن، والثقافة بالإضافة لاتباع المنهج التجديدي، وعدم التمسك بالشكل التقليدي في التدريس.

ومن المعارضات الهامة التي واجهها طه حسين في حياته كما ذكرنا سابقاً، تلك التي كانت عندما نشر كتابه «في الشعر الجاهلي» فقد أثار هذا الكتاب ضجة كبيرة، والكثير من الآراء المعارضة، وهو الأمر الذي توقعه طه حسين، وكان يعلم جيداً ما سوف يحدثه فمما قاله في بداية كتابه:

هذا نحو من البحث عن تاريخ الشعر العربي، جديد لم يألفه الناس عندنا من قبل، وأكاد أثق بأن فريقاً منهم سيلقونه ساخطين عليه، وبأن فريقاً آخر سيزورون عنه ازوراراً ولكني على سخط أولئك وازورار هؤلاء أريد أن أذيع هذا البحث أو بعبارة أصح أريد أن أقيده فقد أذعته قبل اليوم حين تحدثت به إلى طلابي في الجامعة.

ومن المآخذ التي أُخذت على طه حسين دعوته إلى الأَوْرَبة، كما انتقد لمساندته عبد الحميد بخيت أمام الأزهر في فتوى جواز الإفطار في نهار رمضان لمن يجد أدنى مشقة، واتهم بعد ذلك بالكفر والإلحاد.

وقام مصطفى صادق الرافعي بتأليف كتاب سماه "تحت راية القرآن" للرد على "كتاب في الشعر" الجاهلي وألف كذلك بين القديم والجديد للرد على كتاب ألفه طه حسين وهو "مستقبل الثقافة في مصر" وعلى كتاب سلامة موسى المدعو اليوم والغد.

وقد صنف إبراهيم عوض مؤلفاً جمع فيه أقوال النقاد والمؤرخين سماه «معركة الشعر الجاهلي بين الرافعي وطه حسين».

كذلك قام سيد قطب بتأليف كتاب أسماه «نقد كتاب مستقبل الثقافة في مصر لطه حسين» وممن رد عليه أنور الجندي في كتابه «محاكمة فكر طه حسين»

كما رد عليه وائل حافظ خلف في كتابه الذي أسماه «مجمع البحرين في المحاكمة بين الرافعي وطه حسين».

وألمح في آخر بحثه إلى أن طه حسين قد رجع عن رأيه في الشعر الجاهلي بمقالة كتبها، مستدلاً بقول العلامة محمود محمد شاكر في رسالة في الطريق إلى ثقافتنا:

(قد بينت في بعض مقالاتي أن الدكتور طه قد رجع عن أقواله التي قالها في الشعر الجاهلي، بهذا الذي كتبه، وببعض ما صارحني به بعد ذلك، وصارح به آخرين، من رجوعه عن هذه الأقوال. ولكنه لم يكتب شيئاً صريحاً يتبرأ به مما قال أو كتب، وهكذا كانت عادة ((الأساتذة الكبار))! يخطئون في العلن، ويتبرأون من خطئهم في السر !!)) على حسب قوله.

كما عارضه خالد العصيمي في بحثه "مواقف طه حسين من التراث الإسلامي".

وأفرد محمود مهدي الاستانبولي في كتابه «طه حسين في ميزان العلماء والأدباء» فصلاً عن نقد طه حسين وكذلك صابر عبد الدايم في بحثه «بين الرافعي وطه حسين تحت راية القرآن».

وقد اضطلع طه حسين خلال تلك الحقبة، وفي السنوات التي أعقبتها بمسؤوليات مختلفة، وحاز مناصب وجوائز شتى، منها تمثيله مصر في مؤتمر الحضارة المسيحية الإسلامية في مدينة فلورنسا بإيطاليا سنة 1960، وانتخابه عضواً في المجلس الهندي المصري الثقافي، والإشراف على معهد الدراسات العربية العليا، واختياره عضواً محكماً في الهيئة الأدبية الطليانية والسويسرية؛ وهي هيئة عالمية على غرار الهيئة السويدية التي تمنح جائزة بوزان، ولقد رشحته الحكومة المصرية لنيل جائزة نوبل، وفي سنة 1964 منحته جامعة الجزائر الدكتوراه الفخرية، ومثلها فعلت جامعة بالرمو بصقلية الإيطالية سنة 1965.

وفي السنة نفسها ظفر طه حسين بقلادة النيل، إضافة إلى رئاسة مجمع اللغة العربية، وفي عام 1968 منحته جامعة مدريد شهادة الدكتوراه الفخرية، وفي سنة 1971 رأس مجلس اتحاد المجامع اللغوية في العالم العربي، ورشح من جديد لنيل جائزة نوبل، وأقامت منظمة اليونسكو الدولية في أورغواي حفلاً تكريمياً أدبياً قل نظيره.

كان طه حسين داعياً قوياً إلى التجديد وذا إحساس وطني مرهف، عاشقاً لمصر ومدركاً لانتمائه للأمة العربية، ومقدّراً لانتماء البشر جميعاً للإنسانية، وعاش معلماً ومحاضراً ويكتب النقد والوصف والتراجم والأدب والمقالة والقصة وهو صاحب مدرسة ومنهج في النقد خاصة، وفي أدبه نوافذ على الآداب العالمية وخاصة اليوناني والفرنسي.

نال طه حسين الدكتوراه الفخرية في كثير من البلاد الأجنبية منها فرنسا وإسبانيا وإيطاليا وأوسمة من لبنان وتونس والمغرب. ومن مصر منح قلادة النيل التي لا تمنح إلاّ لرؤساء الدول، وكان قد حصل على أول جائزة تقديرية في الأدب ومنح جائزة الدولة عن كتابه "على هامش السيرة"، وجائزة الآداب، وكان أول من منح جائزة الدولة التقديرية في الآداب، كما منح أيضاً وسام "ليجيون دونير من فرنسا" ومنح من هيئة الأمم المتحدة جائزة حقوق الإنسان وتلقاها قبل وفاته بيوم واحد.

جمع المخطوطات المصرية من مختلف نواحي العالم وفي إدارة خاصة في الجامعة ونشر عدداً من هذه المخطوطات نشراً علمياً، كما مهّد لقيام المنظّمة العربية للتربية والعلوم والثقافة، وعند قيام هذه المنظّمة أنهى عمله بالجامعة العربية.

طه حسين فقد بصره بسبب الجهل والتخلف كما يقول هو عن نفسه في كتاب «الايام» حيث أصابه رمد فعالجه الحلاق علاجاً ذهب بعينيه، فكانت كلمات صديق والده بعد ذلك بأنه لا يصلح إلاّ ان يكون مقرئًا للقرآن عند المقابر ويتصدق عليه الناس، جعلته يصاب بصدمة عنيفة، ويشعر بألم دفين داخله، ربما هذا ما رسب ما يمكن تسميته الاكتئاب. فقد كان طفلاً انطوائياً، لا يتكلم مع أحد ولا يشاطر أحداً اللعب. كان دائماً جاداً، حفظ القرآن الكريم وهو ابن تسع سنوات، واصر على ان يحضر الدروس التي تلقى في القرية، حتى برز بين أقرانه من المبصرين بحفظه وادراكه لما يلقى عليهم من دروس.

فانصرف في طفولته المبكرة إلى الاستماع إلى القصص والأحاديث وانضم إلى رفاق أبيه في ندوة العصر في فناء البيت يستمع إلى آيات القرآن وقصص الغزوات والفتوح وأخبار عنتر والظاهر بيبرس وأخبار الأنبياء والنسّاك الصالحين ويحفظ القرآن في كتّاب القرية ومن ثم أتقن التجويد فنشأ على خلفية واضحة وجلية وثقافة كبيرة ومتميزة في التاريخ العربي الإسلامي القديم وبين يديه القرآن الكريم الذي أتم حفظه كاملاً كما ذكرنا.

بدأت رحلته الكبرى عندما غادر القاهرة متوجها الى الازهر طلباً للعلم وهو في قرابة الرابعة عشر من عمره، وفي عام 1908 بدأت ملامح شخصية طه حسين المتمردة في الظهور حيث بدأ يتبرم من محاضرات معظم شيوخ الازهر فاقتصر على حضور بعضها فقط مثل درس الشيخ بخيت ودروس الادب ولذلك لم يقتصر اهتمامه على تعليم الأمور الدينية فقط فقد اتجه للأدب فحفظ مقالات الحريري وطائفة من خطب الإمام ومقامات بديع الزمان الهمزاني واتفق هو والشيخ المرصفي في بغضهما لشيوخ الأزهر وحبّهما الراسخ لحرية خالصة وأخذ عن المرصفي حبه للنقد وحريته.

كوّن هو وصاحبيه أحمد حسن الزيات ومحمود الزناتي جماعة ذاع نقدها للأزهر وفضّلوا الكتب القديمة على الكتب الأزهرية ويقرأون دواوين الشعر وتتلمذ حينها على يد الإمام محمد عبده الذي علمه التمرد على مشايخ الأزهر إلى أن انتهى به الحال إلى وداع الأزهر ليبدأ مرحلة أخرى من حياته فقد تم طرده من الأزهر بسبب كثرة انتقاداته ولم يعد إليه إلاّ بواسطة من أحد كبار الشيوخ.

في العام ذاته فتحت الجامعة المصرية أبوابها، فترك الأزهر والتحق بها وسمع دروس احمد زكي (باشا) في الحضارة الاسلامية واحمد كمال (باشا) في الحضارة المصرية القديمة ودروس الجغرافيا والتاريخ واللغات السامية والفلك والادب والفلسفة على يد أساتذة مصريين وأجانب فكان دخوله للجامعة المصرية بداية مرحلة جديدة في تلقي العلوم وتثقيف النفس وتوضيح الرؤية وتحديد الهدف.

انتهى طه حسين في هذه الفترة من اعداد رسالته للحصول على درجة الدكتوراه (وكانت عن أبي العلاء)، ونوقشت الرسالة في الخامس عشر من شهر مايو 1914 ليحصل بها على أول درجة دكتوراه تمنحها الجامعة المصرية لأحد طلابها والتي احدثت عند طبعها في كتاب ضجة هائلة ومواقف متعارضة وصلت إلى حد مطالبة أحد النواب في البرلمان بحرمان طه حسين من درجته الجامعية لأنه ألف كتابا فيه الكثير من علامات التنوير فقالوا إن ما فيه كان (الإلحاد والكفر) علماً بأنه كان أول كتاب قدم الى الجامعة المصرية واول رسالة دكتوراه منحتها الجامعة المصرية لأحد طلابها.

لم يكتف طه حسين حينذاك بتدخل سعد زغلول رئيس الجمعية التشريعية بالبرلمان لإقناع هذا النائب بالعدول عن مطالبه بل رد على خصومه وقتها بقوة وشجاعة في أن كل ما كتبوه عنه لم يجد فيه شيئا يستحق الرد عليه كما وصفهم حينها بأنهم يلجأون إلى طرق معوجة في الفهم ومناهج قديمة في التفكير!!

دفعه طموحه واجتهاده لإتمام دراساته العليا في باريس، وبالرغم من اعتراضات مجلس البعثات الكثيرة، الا انه اعاد تقديم طلبه ثلاث مرات، ونجح في نهاية المطاف في الحصول على الموافقة ليرحل نحو تحقيق حلم جديد هو الحصول على الدكتوراه من فرنسا بلاد الخواجات كما توصف حينها.

اذا كانت الرحلة الاولى ذات الاثر العميق في حياة طه حسين وفكره وهي انتقاله من قريته المنسية في صعيد مصر الى القاهرة، فإن الرحلة الاخرى الأكثر تأثيراً كانت الى فرنسا في عام 1914 حيث التحق هناك بجامعة (مونبلييه) لكي يبعد عن باريس أحد ميادين الحرب العالمية الاولى في ذلك الوقت، وهناك في مونبلييه درس اللغة الفرنسية وعلم النفس والادب والتاريخ ولأسباب مالية أعادت الجامعة المصرية مبعوثيها في العام التالي 1915 ولكن في نهاية العام عاد طه حسين الى بعثته ولكن الى باريس هذه المرة حيث التحق بكلية الاداب بجامعة باريس وتلقى دروسه في التاريخ ثم في الاجتماع حيث

أعد رسالة اخرى على يد عالم الاجتماع الشهير "اميل دوركايم" وكانت عن موضوع "الفلسفة الاجتماعية عند ابن خلدون" حيث اكملها مع "بوجليه" بعد وفاة دوركايم وناقشها وحصل بها على درجة الدكتوراه في عام 1919م ثم حصل في العام ذاته على دبلوم الدراسات العليا في اللغة اللاتينية.

تعرف الدكتور طه حسين على السيدة سوزان عندما كانت تقرأ مقطعا من شعر رايسين فأحب نغمات صوتها وعشق طريقة إلقائها وتعلق قلبه بهذا الطائر الأجنبي الذى حط في أعشاش قلبه الحزينة متذكرا قول بشار بن برد والاذن تعشق قبل العين أحيانا..

لقد كان حب عميد الأدب العربي لهذه الفتاة الفرنسية بمنزلة التزاوج الروحي بين ضفتي المتوسط ومحاكاة حضارة الشرق مع الغرب، كما أشار إلى هذا الحب الكاتب الفرنسي الكبير روبيرت لاندرى حيث قال وذات يوم بينما طه حسين في مقعده في قاعة المحاضرات في جامعة السوربون سمع صوتا جميلا يرن في اذنيه صوت صبية حنون تقول له بعذوبة: إني أستطيع أن أساعدك في استذكار الدروس، وكانت صاحبة الصوت ما هي إلا (سوزان) الطالبة الفرنسية المنحدرة من عائلة كاثوليكية وقد ظلت مترددة فترة طويلة قبل ان توافق على الزواج من طه حسين الرجل المسلم، وذلك بعد ان استطاع أحد أعمامها أن يقنعها وكان ذلك العم قسيسا وقد قال لها: مع هذا الرجل يمكن أن تثقي بأنه سيظل معك إلى الأبد وسوف تسعدين ابدا فتزوجته في التاسع من اغسطس1917.

ولأن السيدة سوزان كان لها الأثر العظيم في حياته بعد ذلك، فقد قال الدكتور طه حسين عن يوم لقائه بها (كأنه تلك الشمس التي اقبلت في ذلك اليوم من ايام الربيع فجلت عن المدينة ما كان قد اطبق عليها من ذلك السحاب الذي كان بعضه يركب بعضا والذي كان يعصف ويقصف حتى ملأ المدينة أو كاد يملؤها اشفاقا وروعا واذ المدينة تصبح كلها اشراقا ونوراً).

هذا الشاب الذي جاء من قريته فقيراً، كان يتناثر الأكل على ملابسه عندما يأكل، وكان هندامه يعرف كيف يعتني به، فجاءت سوزان التي غيرت

حياته كاملة، وأصبح ممتناً لها، حتى عندما كانت نائمة أشار إليها وقال لابنته: إن هذه المرأة جعلت من أبيك إنسانا آخر!

وتقول سوزان في كتابها إن طه حسين كان يعاني نوبات كآبة، فعندما تأتي هذه النوبات، ينعزل ولا يقابل أحداً، ولا يتكلم ولا يأكل، وكانت زوجته تعرف بحكم معرفتها من بلدها بأن هذا يسمى اكتئاباً، لكنها خشيت من طه ان يعالج من هذا الاكتئاب حتى لا تجرحه، حيث كان شديد الحساسية بسبب إعاقته البصرية، فلم ترد ان تزيد الأمر عليه. كانت تقول إن نوبات الاكتئاب، أو كما كانت تسميها بأنه يسقط في بئر عميق لا يستطيع أحداً الوصول إليه.. إذ يعتزل العالم، ولا يرغب في العودة إلى أي شيء مهما كان، حتى أبناؤه رغم حبه الجارف لهم كان يتجنبهم ويعيش عزلة تامة، منقطعاً عن كل ما حوله. وتقول زوجته بأن لو كان هناك شيء يساعده على ان يتخلص من هذه النوبات فلا شك بأن إنتاجه سوف يكون أفضل وأكثر.

ومن أقواله الشهيرة أن نسير سيرة الأوروبيين ونسلك طريقهم، لنكون لهم أنداداً، ولنكون لهم شركاء في الحضارة، خيرها وشرها، حلوها ومرها، وما يحب منها وما يُكره، وما يُحمد منها وما يُعاب.

وأضحى بذلك عميدَ الأدب العربي بغير منازع في العالم العربي جميعه وأُنتج له عمل باسم مسلسل "الايام" وقد قام بدور البطولة الفنان أحمد زكي رحمه الله.

وقد قال عنه عبّاس محمود العقاد إنه رجل جريء العقل مفطور على المناجزة، والتحدي فاستطاع بذلك نقل الحراك الثقافي بين القديم والحديث من دائرته الضيقة التي كان عليها إلى مستوى أوسع وأرحب بكثير.

وقال عنه الدكتور إبراهيم مدكور اعتدّ تجربة الرأي وتحكيم العقل استنكر التسليم المطلق ودعا إلى البحث والتحري بل إلى الشك والمعارضة وأدخل المنهج النقدي في ميادين لم يكن مسلّمًا من قبل أن يطبق فيها وأدخل في الكتابة والتعبير لونًا عذبًا من الأداء الفني حاكاه فيه كثير من الكُتّاب.

في عام 1932 حدثت الازمة الكبرى في مجرى حياة طه حسين، وتحديداً في شهر فبراير كانت الحكومة ترغب في منح الدكتوراه الفخرية من كلية الآداب لبعض السياسيين، فرفض طه حسين حفاظاً على مكانة الدرجة العلمية، مما اضطر الحكومة الى اللجوء لكلية الحقوق.

ورداً على ذلك قرر وزير المعارف نقل طه حسين الى ديوان الوزارة فرفض العمل وتابع الحملة في الصحف والجامعة، كما رفض تسوية الازمة الا بعد اعادته الى عمله وتدخل رئيس الوزراء فأحاله الى التقاعد في 29 مارس 1932 فلزم بيته ومارس الكتابة في بعض الصحف الى ان اشترى امتياز جريدة "الوادي" وتولى الاشراف على تحريرها، ثم عاد الى الجامعة في نهاية عام 1934 وبعدها بعامين عاد عميداً لكلية الاداب واستمر حتى عام 1939 عندما انتدب مراقباً للثقافة في وزارة المعارف حتى عام 1942.

ولأن حياته الوظيفية كانت دائماً جزءاً من الحياة السياسية في مصر صعوداً وهبوطاً فقد كان تسلم حزب الوفد للحكم في 4 فبراير 1942 ايذاناً بتغير آخر في حياته الوظيفية حيث انتدبه نجيب الهلالي وزير المعارف آنذاك مستشاراً فنياً له ثم مديراً لجامعة الاسكندرية حتى احيل إلى التقاعد في 16 من شهر أكتوبر عام 1944 واستمر كذلك حتى 13 يونيو 1950 عندما عين لأول مرة وزيراً للمعارف في الحكومة الوفدية التي استمرت حتى 26 يونيو 1952 وهو يوم احراق القاهرة حيث تم حل الحكومة.

ويرصد الكاتب إبراهيم عبدالعزيز، بعض الحقائق الغائبة في كتابه «رسائل طه حسين» والمتعلقة بدخوله الوزارة فيقول: (إنها قصة مختلفة غير تلك الحكاية الشهيرة التي ذاعت وانتشرت، وأكدها الدكتور محمد حسن الزيات – زوج ابنة «طه حسين» – ونشرها «الزيات» بمجلة المصور قبل أن يجمعها في كتاب «ما بعد الأيام» والذي ذكر فيه: حضور «النحاس» باشا إلى منزل «طه حسين» دون موعد سابق، فيفاجئه بأن يطلب منه أن يتقلد منصب وزير المعارف في حكومته التي يجري تأليفها، فيشكره على ثقته.

ولكن يطالبه «طه حسين» بمعاودة التفكير لعدة أسباب منها، أنه ليس عضواً في الوفد، وأعضاء الوفد الذين شاركوا رئيسهم جهاده أحق بالاشتراك معه في الحكم، بالإضافة إلى غضب السراي عليه منذ زمن بعيد، ولا ينتظر أن توافق على تعيينه في الحكومة، سبب آخر متعلق بالتزامه أمام نفسه وأمام الشباب ببرنامج تعليم سبق أن شرحه عام 1937، الذي يؤكد مجانية التعليم الابتدائي والثانوي، وراح «النحاس» باشا يفند هذه الأسباب محاولاً إقناع «طه حسين الذي رد عليه، (وإذا أصبحت أنا وزيرًا للمعارف فإن رفعتكم ستحبون قطعًا إعلان مجانية التعليم في أول خطاب للعرش تلقونه أمام البرلمان)، ويسأل «النحاس» باشا: هذا شرط؟ فيجيبه «طه حسين» بالنفي ويضيف بأنه توقع لا أكثر.

تعرض طه حسين بعد تقلده للمنصب للاتهام والنقد، لكن رده جاء بأنه لم يكسب لنفسه جاهًا أو مالًا فقد كان غنيًا، وإنما كسب لمصر ما نفع أهلها في حياتهم، فأنشأ لها معهدًا في مدريد، وكرسياً للغة العربية في جامعة أثينا.

وكانت تلك آخر المهام الحكومية التي تولاها طه حسين حيث انصرف بعد ذلك حتى وفاته الى الانتاج الفكري والنشاط في العديد من المجامع العلمية التي كان عضواً بها داخل مصر وخارجها، وظل طه حسين على جذريته بعد أن انصرف إلى الإنتاج الفكري، وظل يكتب في عهد الثورة المصرية، إلى أن توفي عبد الناصر، وقامت حرب أكتوبر التي توفي بعد قيامها في 28 أكتوبر من عام 1973.

وثمة ملاحظة جديرة بالاعتبار، هي أن طه حسين كان أديبا مفكرا بالدرجة الأولى، ولم يكن سياسيا محترفا ومن هنا دخل ميدان السياسة الصاخب كأديب مفكر، ولم تستطع القوى السياسية التي ارتبط بها أن تحوله إلى سياسي حزبي بالمعنى المعروف، إنما هو الذي استطاع أن يفيد منها لخدمة أفكاره وقضاياه.

إن تحفة (الأيام) التي صاغ فصولها كتابة وحقيقة الدكتور طه حسين لها أثر إبداعي من آثار العواصف التي أثارها كتابه (في الشعر الجاهلي)، فقد

بدأ في كتابتها بعد حوالي عام من بداية العاصفة، كما لو كان يستعين على الحاضر بالماضي الذي يدفع إلى المستقبل، ويبدو أن حدة الهجوم عليه دفعته إلى المواجهة، ووضعها موضع المساءلة، ليستمد من معجزته الخاصة التي قاوم بها العمى والجهل في الماضي القدرة على مواجهة عواصف الحاضر.

وقد نشر عميد الأدب العربي طه حسين الجزء الاول من "الايام" في مقالات متتالية في اعداد جريدة الهلال عام 1926، وهو يُعد من نتاج ذات المرحلة التي كتب خلالها (في الشعر الجاهلي) وتميزت هذه الفترة من حياة الاديب الكبير - رحمه الله - بسخطه الواضح على تقاليد مجتمعه وعادات أبناء وطنه فكان إنتاج "الايام" سيرة ذاتية تعبر عن سخط كاتبها بواقعه الاجتماعي، خاصة بعد ان عرف الحياة في مجتمع غربي متطور بينما كان انتماء طه حسين للريف المصري، وكان مروره بحياة قاسية في وسط تسوده الخرافة والأساطير والتقاليد سببا في إفقاده بصره، بالإضافة إلى سلطة المؤسسات التقليدية، فكانت كل هذه العوامل ولدت في نفسه شعورا بالمرارة وإحساسا عميقا بالتخلف وإصراراً أكبر على الدعوة إلى التجديد والتطوير وعدم التقليد والاتباع الخاطئ الذي لا يوجد إلا في عقول وقلوب الضعفاء والجهلة من الناس!

ويقول أحد الكتاب في وصف الايام: كانت (الأيام) طرازًا فريدًا من السيرة التي تستجلي بها الأنا حياتها في الماضي لتستقطر منها ما تقاوم به تحديات الحاضر، حالمة بالمستقبل الواعد الذي يخلو من عقبات الماضي وتحديات الحاضر على السواء.

والعلاقة بين الماضي المستعاد في هذه السيرة الذاتية والحاضر الذي يحدد اتجاه فعل الاستعادة أشبه بالعلاقة بين الأصل والمرآة، الأصل الذي هو حاضر متوتر يبحث عن توازنه بتذكر ماضيه، فيستدعيه إلى وعي الكتابة كي يتطلع فيه كما تتطلع الذات إلى نفسها في مرآة، باحثة عن لحظة من لحظات اكتمال المعرفية الذاتية التي تستعيد بها توازنها في الحاضر الذي أضرّ بها، ونتيجة ذلك الغوص عميقاً في ماضي الذات بما يجعل الخاص سبيلا إلى العام، والذاتي طريقاً إلى الإنساني، والمحلي وجهًا آخر من العالمي.

فالإبداع الأصيل في (الأيام) ينطوي على معنى الأمثولة الذاتية التي تتحول إلى مثال حي لقدرة الإنسان على صنع المعجزة التي تحرره من قيود الضرورة والتخلف والجهل والظلم، بحثاً عن أفق واعد من الحرية والتقدم والعلم والعدل. وهي القيم التي تجسّدها (الأيام) إبداعًا خالصًا في لغة تتميز بثرائها الأسلوبي النادر الذي جعل منها علامة فريدة من علامات الأدب العربي الحديث.

ترك طه حسين حين غادر هذه الحياة أكثر من ثلاثمائة وثمانين كتاباً من الكتب القيمة ونذكر لكم بعض مؤلفاته: الأيام، الوعد الحق، المعذبون في الأرض، في الشعر الجاهلي، كلمات، نقد وإصلاح، من الادب التمثيلي اليوناني، طه حسين والمغرب العربي، دعاء الكروان، حديث الأربعاء، صوت أبي العلاء، من بعيد، على هامش السيرة، في الصيف، ذكرى أبي العلاء، فلسفة ابن خلدون الاجتماعية، الديمقراطية.

لا يزال طه حسين حيا بيننا بما كتب ونشر في حياته وبما ينشر بعد رحيله، وبما نقرأه ونفسره ونستكشف مراميه وأبعاده، وبما نوافقه عليه ونتعلم منه أو نختلف معه ونتركه، لقد صار تراث الرجل جزءا أصيلا من ثقافة مصر وضميرها.

(٢) الأديب جبرا إبراهيم جبرا

جبرا إبراهيم جبرا، هو مؤلف وأديب ورسام وناقد تشكيلي فلسطيني، ولد في بيت لحم في عهد الانتداب البريطاني، استقر في العراق بعد حرب 1948. انتج نحو 70 من الروايات والكتب المؤلفة والمترجمة المادية، وقد ترجمت أعماله إلى أكثر من اثنتي عشرة لغة، اسمه في اللغة الآرامية يعني القوة والشدة.

ولد في بيت لحم ودرس في القدس وانكلترا وأمريكا ثم تنقل للعمل في جامعات العراق لتدريس الأدب الإنجليزي، وهناك تعرف عن قرب على النخبة المثقفة وعقد علاقات متينة مع أهم الوجوه الأدبية مثل السياب والبياتي. يعتبر من أكثر الأدباء العرب إنتاجا وتنوعا إذ عالج الرواية والشعر والنقد وخاصة الترجمة كما خدم الأدب كإداري في مؤسسات النشر، وعرف في بعض الأوساط الفلسطينية بكنية «أبي سدير» التي استغلها في الكثير من مقالاته سواء بالإنجليزية أو بالعربية.

درس جبرا في مدرسة طائفة السريان في بيت لحم خلال المرحلة الابتدائية، ثم في مدرسة بيت لحم الوطنية، ثم في المدرسة الرشيدية في القدس التي أتاحت له التعرف على الأساتذة الكبار من أمثال إبراهيم طوقان واسحق موسى الحسيني وأبى سلمى (عبد الكريم الكرمي) ومحمد خورشيد (العدناني)، ثم التحق بالكلية العربية في القدس. وخلال هذه الفترة كان قد تمكن من اللغتين العربية والإنجليزية بشكل ممتاز.

ويذكر أديبنا في كتابه البئر الأولى وقائع طريفة مما جرى له في مصر التي سافر إليها، ليتوجه منها بحراً إلى بريطانيا حيث التحق بجامعة كامبردج، وحصل منها على الماجستير في النقد الأدبي عام 1948. إلا أننا نستطيع القول إنه وصل إلى هذه الجامعة أديباً، فقد بدأ كتابة القصة القصيرة في فلسطين، ونشر بعض نتاجه المبكر في مجلات نوعية مثل «الرسالة» و«الهلال» المصريتين، و«الأمالي» اللبنانية. ولكن أهم ما أنجزه في تلك المرحلة المبكرة،

هي الرواية التي كتبها باللغة الإنجليزية عام 1946 بعنوان "passage in the Silent Night" وقد حملها معه إلى كامبردج مطبوعة على الآلة الكاتبة، ووزع نسخاً منها على زملائه في الجامعة. ولم تصدر طبعتها الأولى إلا بالعربية، عام 1955، وكان قد أعاد كتابتها بالعربية وهو يدرس في جامعة هارفارد، وقد أعطى الرواية بالعربية اسمها الشهير "صراخ في ليل طويل".

بعد دراسته في كامبردج وهارفارد توجه إلى العراق لتدريس الأدب الإنجليزي. وهناك تعرف على الآنسة لميعة برقي العسكري التي شكلت انعطافاً في مسار حياته.

فقد تزوجا وانجبا ولدين، هما سدير وياسر، وحمل جبرا الجنسية العراقية التي ما كان لها أن تفصله عن جنسيته الفلسطينية التي حافظ على لهجتها، حتى آخر لحظة في حياته. وكان لجبرا شأن كبير في الحياة الثقافية العراقية، حيث أنشأ مع الفنان جواد سليم "جماعة بغداد للفن الحديث" عام 1951.

وكتب مقدمة المجموعة المبكرة "أغاني المدينة الميتة" للشاعر بلند الحيدري.

وأثرت صداقته في بدر شاكر السياب الذي أطلع من جبرا على فصول من كتاب "الغصن الذهبي" للسير جيمس فريزر، وهو مما أسهم في اقتناع السياب بالمدرسة التموزية في الشعر. وإلى ذلك كان لنتاج جبرا نفسه من رواية وقصة قصيرة ورسوم ونقد وترجمة أثر كبير في الأجيال العربية المتلاحقة.

نال جوائز وأوسمة عربية ودولية كثيرة ونقلت أعماله إلى الإنجليزية والفرنسية والإسبانية والإيطالية والسلوفاكية والصربية وغيرها.

وذات يوم جاءه طرد بريدي من لندن، فوجد فيه ثلاث نسخ من ديوانه "لوعة الشمس" ولكن.. باللغة العبرية. وكان المترجم الذي قام بهذا العمل، من غير استشارة جبرا، قد سطا على صورة الغلاف، فكان غلاف النسخة العبرية هو ذاته الذي يزين الطبعة العربية الأولى.

أصدر جبرا مجموعة قصص واحدة، وأصدر ست روايات، هي "صراخ في ليل طويل" و"صيادون في شارع ضيق" و"السفينة" و"البحث عن وليد مسعود" و"الغرف الأخرى" و"يوميات سراب عفان".

كما أصدر، بالاشتراك مع د. عبد الرحمن منيف، رواية بعنوان "عالم بلا خرائط" وقبل أن يرحل كان يعمل على قصة قصيرة. طويلة تدور حول موضوع فلسفي، لكنه لم يوضح طبيعة ذلك الموضوع في رسائله.

كتب الشاعر توفيق صايغ، صديق عمر جبرا، مقدمة نوعية لمجموعة القصص بحيث يبدو التطرق إلى هذه المجموعة تكراراً لما كتبه الشاعر الراحل نظراً لإحاطته الدقيقة بالأسئلة التي كانت تؤرق جبرا، وتؤرقه بطبيعة الحال، وهي تتصل بالمدينة، والغربة الداخلية، والحب، والفن، والفقر، والسأم والبطالة والفراغ، والزمالة والرفقة، وينتهي توفيق صايغ من هذه الأشياء كلها إلى أن "الفن الذي يلجأ إليه البطل حين يرفض المدينة ويهجرها، سيكون هو الأداة لإحياء المدينة، طريق الفن التي يسلكها ليعبر الأرض البوار". وقد أضاف جبرا، في طبعة لاحقة، حوارية إلى هذه المجموعة اعتبرها قصة بعنوان "بدايات من حرف الياء". ويلاحظ في قصصه أنها مقدمات لروايته أو استمرار لها. حتى أن "قصة "المغنون في الظلال" مثبتة كفصل مستقل في روايته "صيادون في شارع ضيق". وليس معنى هذا أنه يخلط بين الجنسين الأدبيين. ولكنه يدرج مختلف أشكال نتاجه، بما فيها الشعر والرسم، ضمن مشروع كبير ينطلق من موقع أوتوبيوغرافي ثم يصل الذات بالعالم من خلال الأسئلة النظرية والاشتباك العملي. وربما كانت هذه الصبوة الكونية لدى جبرا، وراء تحرير معظم رواياته من التحديد الجغرافي منذ "صراخ في ليل طويل" التي أسهب الناقد الكبير مارون عبود في التعبير عن افتتانه بها، ملاحظاً أن الكاتب وإن لم يحدد المدينة التي تدور فيها الأحداث، إلا أنها تذكره بمدينتين: القدس وحلب. أما د. محمد عصفور، وهو ناقد فلسطيني متميز من تلاميذ جبرا، فقد تابع الرحلة الداخلية في هذه المدينة من أقصاها إلى أقصاها، بما يذكرنا برحلة بلوم في رائعة جيمس جويس ليستخلص من أحداث الرواية رؤيا تتصل بفهم العالم والسعي إلى تغييره.

كان لابد من الربط بين الترجمة والنقد في مسار مشروع جبرا الثقافي، لتلازمهما في المهمة التنويرية التي نذر نفسه لها. وإنه لأمر لافت أن هذين النشاطين قد شغلا أكثر من نصف مجمل مشروعه الثقافي. وإذا استثنينا كتبه النقدية التي أشرنا إليها في مجال الفن، نذكر بعض عناوين كتبه النقدية الأدبية الفكرية، وهي "الحرية والطوفان ـ 1960" و"الرحلة الثامنة ـ 1967" و"ينابيع الرؤيا ـ 1979" و"تمجيد الحياة ـ 1989" و"تأملات في بنيان مرمري ـ 1989" و"معايشة النمرة ـ 1991". وتحفل هذه الكتب بمراجعات نقدية لروايات ومجموعات شعرية عربية وعالمية لتدخل عالم المعرفة في مسارين: الأول هو مسار الحداثة ومعاركها في الساحة العربية من خلال قراءات نوعية لأعمال أدونيس ويوسف الخال وتوفيق صايغ وغيرهم. وإعادة قراءة شعراء ذوي شعبية لكنهم كانوا مقروئين غالباً بعين تقليدية فأعاد جبرا اكتشافهم من منظور الحداثة، مثل الجواهري ونزار قباني وعبد الرحيم والشعر الفلسطيني الحديث.

أما المسار الثاني فهو تنويري بحت. يضع في حسابه أنه متوجه إلى جمهور قد لا يكون مطلعاً بالضرورة على أحدث المدارس الأدبية في العالم. بل كثيراً ما يكون مشكوكاً في فهم هذا الجمهور للمصطلحات الأدبية المستعملة. فكتب مقالات قد تبدو في وقت لاحق أنها مدرسية.

توفي جبرا إبراهيم جبرا في الحادي عشر من ديسمبر من 1994، تاركاً خلفه إرثاً ثقافياً كبيراً تُرجم إلى الكثير من لغات العالم.

(٣) الأديب محمود شاكر

محمود محمد شاكر أحمد عبد القادر، يعتبر من أبرز المدافعين عن اللغة العربية في مواجهة التغريب واطلع على كتب التراث وحقق العديد منها.

أقام منهجه الخاص في الشعر وسماه منهج التذوق، خاض الكثير من المعارك الأدبية حول أصالة الثقافة العربية، ومصادر الشعر الجاهلي.

ولد محمود شاكر في الإسكندرية في ليلة العاشر من المحرم سنة 1327 هـ المصادف 1 فبراير سنة 1909 م.

انتقل إلى القاهرة في نفس العام مع والده إذ عُيّن والده وكيلا للجامع الأزهر، وكان قبل ذلك شيخا لعلماء الإسكندرية.

نشأ محمود شاكر في بيئة متدينة، كان أصغر إخوته . فقد انصرف إلى التعليم المدني، فتلقى أولى مراحل تعليمه في مدرسة الوالدة أم عباس في القاهرة سنة 1916.

وبعد ثورة 1919 انتقل إلى مدرسة بدرب الجماميز وهناك تأثر كثيرا بدروس الإنجليزية لاهتمامهم بها ولكونها جديدة عليه.

ولما كان يقضي أوقاتا كثيرة في الجامع الأزهر فقد سمع من الشعر وهو لا يدري ما الشعر!! وقد حفظ ديوان المتنبي كاملا في تلك الفترة. وفي سنة 1921 دخل المدرسة الخديوية الثانوية ليلتحق بالقسم العلمي ويتعلق بدراسة الرياضيات.

وبعد اجتياز الثانوية . ورغم حبه للرياضيات، وإجادته للإنجليزية . فضل أن يلتحق بكلية الآداب قسم اللغة العربية لما شعر به من أهمية الكلمة في تاريخ أمته قديما، فلا بد أن يكون له الدور الأكبر في مستقبلها.

ولأنه كان من القسم العلمي فقد تعذر دخوله لكلية الآداب بداية، إلا أنه بوساطة من طه حسين لدى أحمد لطفي السيد رئيس الجامعة المصرية آنذاك استطاع أن يلتحق بما يريد سنة 1926 وفي الجامعة استمع شاكر لمحاضرات

طه حسين عن الشعر الجاهلي وهى التي عرفت بكتاب «في الشعر الجاهلي»، وكم كانت صدمته حين ادعى طه حسين أن الشعر الجاهلي منتحل، وأنه كذب ملفق لم يقله أمثال امرئ القيس وزهير، وإنما ابتدعه الرواة في العصر الإسلامي، وضاعف من شدة هذه الصدمة أن ما سمعه من المحاضر الكبير سبق له أن اطلع عليه بحذافيره في مجلة استشراقية في مقال بها للمستشرق الإنجليزي مرجليوث!

وتتابعت المحاضرات حول هذا الموضوع، وصاحب قصتنا عاجز عن مواجهة طه حسين بما في صدره، وتمنعه الهيبة والأدب أن يقف مناقشا أستاذه.

وظل على ذلك زمنا لا يستطيع أن يتكلم حتى إذا لم يعد في الصبر والتحمل بقية، وقف يرد على طه حسين في صراحة وبغير مداراة، لكنه لم يستطع أن يواجهه بأن ما يقوله إنما هو سطو على أفكار مرجليوث.

تولد عن شعوره بالعجز عن مواجهة التحدي خيبة أمل كبيرة فترك الجامعة غير آسف عليها وهو في السنة الثانية لأنه لم يعد يثق بها، ولم تفلح المحاولات التي بذلها أساتذته وأهله في إقناعه بالرجوع، وسافر إلى جدة سنة 1928 مهاجرا.

وأنشأ هناك مدرسة جدة السعودية الابتدائية وعمل مديرا لها، حتى استدعاه والده الشيخ فعاد إلى القاهرة سنة 1929.

وبعد عودته من جدة، إلى القاهرة، انصرف إلى الأدب والكتابة وقراءة دواوين الشعراء حتى صارت له ملكة في التذوق.

وبدأ ينشر بعض قصائده الرومانسية في مجلتي «الفتح» و«الزهراء» لمحب الدين الخطيب، واتصل بأعلام عصره من أمثال أحمد تيمور وأحمد زكي باشا والخضر حسين ومصطفى صادق الرافعي وعباس محمود العقاد الذي ارتبط بصداقة خاصة معه.

ورغم هذا فإنه يصف المرحلة الزمنية من 1926 إلى 1936 (أي منذ السابعة عشر إلى السابعة والعشرين) بأنها كما يقول «حياة أدبية بدأت أحس

إحساسا مبهما أنها حياة أدبية فاسدة. فلم أجد لنفسي خلاصا إلا أن أرفض متخوفا حذرا، شيئا فشيئا، أكثر المناهج الأدبية والسياسية والاجتماعية والدينية».

بدأ محمود شاكر يعيد قراءة ما وقع تحت يده من الشعر العربي، قراءة تختلف عن الأولى في أنها متأنية تتوقف عند كل لفظ ومعنى محاولا أن يصل إلى ما قد يكون أخفاه الشاعر في ألفاظه بفنه وبراعته.

وهذا هو أساس منهج التذوق الذي جعله منهجا شاملا يطبقه على كل الكلام شعرا كان أو غيره، فأقدم على قراءة كل ما يقع تحت يده من كتب تفسير لكتاب الله، إلى علوم القرآن، إلى دواوين الحديث.

وما تفرع منها من كتب مصطلح الحديث والجرح والتعديل، وغيرها من كتب أصول الفقه وأصول الدين، وكتب الملل والنحل، ثم كتب البلاغة والنحو والتاريخ بحيث يكون اتجاهه من الأقدم فالأقدم.

ومع تطبيقه لأسلوب التذوق، يقول: «شيئا فشيئا انفتح لي الباب على مصراعيه. فرأيت عجبا من العجب، وعثرت يومئذ على فيض غزير من مساجلات صامتة خفية كالهمس، ومساجلات ناطقة جهيرة الصوت، غير أن جميعها إبانة صادقة عن الأنفس والعقول.

لم يكن شاكر معروفا بين الناس قبل تأليفه كتابه «المتنبي» الذي أثار ضجة كبيرة بمنهجه المبتكر وأسلوبه الجديد في البحث، وهو يعد علامة فارقة في الدرس الأدبي نقلته من الثرثرة المسترخية إلى البحث الجاد.

والعجيب أن شاكر الذي ألف هذا الكتاب سنة 1936 ولم يتجاوز السادسة والعشرين من عمره لم يكن يقصد تأليف كتاب عن المتنبي.

إنما كان قد كلفه فؤاد صروف رئيس تحرير مجلة المقتطف أن يكتب دراسة عن المتنبي مسهبة بعض الإسهاب ما بين عشرين إلى ثلاثين صفحة.

ولكن هذا التكليف تحول على يد شاكر كتابا مستقلا عن المتنبي أنجزه في فترة زمنية قصيرة على نحو غير مسبوق ونشرته مجلة المقتطف في عددها الصادر في السادس من شوال 1354 هـ الأول من يناير 1936م.

وصدر فؤاد صروف مجلته بقوله: هذا العدد من المقتطف يختلف عن كل عدد صادر منذ سنتين إلى يومنا هذا، والعجيب في الموضوع أن المديح الشديد لم يعجبه لأنه يرى أن كتابه لا يستحق كل ذلك، حتى إنه رأى أن النقد الموجه لكتابه كان نقدا على غير أصول علمية.

ويقول محمود شاكر في حوار له مع د. نجم عبد الكريم: «لم أجد كاتبا إلى هذا اليوم قام بنقد هذا الكتاب نقدا صحيحا أو فهم طريقة ما كتبت. فليس هناك من نقد الكتاب كما ينبغي أن ينقد، نقده الدكتور طه حسين في كتابه مع المتنبي نقدا لا أستطيع أن أعده نقدا في الحقيقة، لأنه لا أصل له.

يكمل محمود شاكر حديثه قائلاً وإن كل هذا الثناء لا يؤثر علي ولا يغير شيئا من قناعاتي، كما أن الثناء لا يغير رأيي في الناس!

وأقولها بأمانة والحديث لمحمود شاكر إنه لم يكتب أحد كلمة أستطيع أن أحترمها بشأن كتابي سوى رجل واحد كتب نقدا لي من وجهة نظره، وهذا النقد يحتوي على شيء من الحقيقة، أما الرجل فهو الأستاذ «الوديع تلحوم».

وقد نشره في مجلة المقتطف، ولم أحتفظ بشيء مما كتب عني سوى هذه المقالة أو هذا النقد، بالإضافة إلى مقالة أستاذي الأستاذ مصطفى صادق.»

من هنا يمكننا أن نفهم أنه توقف عن الدراسات الأدبية لأنه شعر بسطحية تناولها من قبل النقاد.

ويعد شاكر على رأس قائمة محققي التراث العربي، وأطلق عليه العقاد المحقق الفنان، وإنجازاته في هذا المجال كثيرة، وهي عنوان على الدقة والإتقان، ومن أشهر الكتب التي حققها: تفسير الطبري (16 جزءا)، طبقات فحول الشعراء (مجلدان)، تهذيب الآثار للطبري (6 مجلدات).

وشاكر لا يحب أن يوصف بأنه محقق لنصوص التراث العربي، إنما يحب أن يوصف بأنه قارئ وشارح لها، وهو يكتب على أغلفة الكتب التي يقوم بتحقيقها عبارة: «قرأه وعلق عليه».

وهذه العبارة كما يقول الدكتور محمود الربيعي «هي الحد الفاصل بين طبيعة عمله وطبيعة عمل غيره من شيوخ المحققين، إنه يوجه النص ويبين معناه بنوع من التوجيه أو القراءة التي تجعله محررا؛ لأنها قراءة ترفدها خبرة نوعية عميقة بطريقة الكتابة العربية، وهو إذا مال بالقراءة ناحية معينة أتى شرحه مقاربا، وضبطه مقنعا، وأفق فهمه واسعا، فخلع على النص بعض نفسه وأصبح كأنه صاحبه ومبدعه.

خاض محمود شاكر معركتين ضخمتين أولاهما مع طه حسين والأخرى مع لويس عوض فقد كانتا من أبرز معالم حياته الأدبية والفكرية.

ويمكننا القول بأنه تفرع عنهما معارك فرعية وثانوية كثيرة، وكانت هاتان المعركتان بسبب شاعرين كبيرين من شعراء العربية هما: المتنبي والمعري.

صدر كتاب محمود شاكر عن المتنبي عام 1936، بيد أن كتاب د. طه حسين مع المتنبي صدر عام 1938، وعلى الرغم من أن طه حسين نقد في كتابه كتاب شاكر إلا أنه لم يستطع أن يمنع نفسه من أن يسلك سبيلاً يقلد فيها محمود شاكر.

لذا فقد هاجم شاكر ما كتبه طه حسين في 13 مقالة في جريدة (البلاغ)، تحت عنوان (بيني وبين طه) اتهمه فيها بأنه سطا على أفكاره وحذا حذوه.

وقال: إن كتاب طه حسين محشو بأشياء كثيرة تدل دلالة قاطعة على أن الدكتور طه لم يسلك هذا الطريق الجديد على كتبه في كتاب المتنبي إلا بعد أن قرأ كتابه!

كذلك نشر د. لويس عوض المستشار الثقافي للأهرام حينذاك سنة 1964 مجموعة مقالات في الأهرام بعنوان (على هامش الغفران) وذهب في كلامه إلى تأثر المعري باليونانيات.

ثم انتقل إلى الكلام عن الفكر والثقافة في العالم العربي والإسلامي وما طرأ عليها من غزو فكري غربي.

واعتبرت مقالات شاكر في ذلك حدثا ثقافيا مدويا كشفت عن علم غزير ومعرفة واسعة بالشعر وغيره من الثقافة العربية، وقدرة باهرة على المحاجاة والبرهان.

كانت أوسع مجالاً من معركته الأولى مع طه حسين، حيث دخلها عدد من الأطراف بالنيابة عن الطرف الأصيل.

وسبب هاتين المعركتين أولاً: النشأة الجادة التي تميز بها محمود شاكر بحيث لا يسكت عن السطو على أعمال الآخرين، أو التطاول عليهم.

والأمر الآخر، موقفه المبدئي من الحضارة الغربية وموقفها من الحضارة الإسلامية، فهو يراها أي الحضارة الغربية، تسعى بكل ما أوتيت من أسباب ومكر وسطوة وإغراء وإغواء، إلى القضاء على هوية الأمة المسلمة، ومسخ حضارتها، ومواريثها، وإلحاقها بحضارة الغرب.

نرجع قليلاً إلى معركته مع طه حسين، فبين محمود شاكر وطه حسين، معركة طويلة، كانت بداية هذه المعركة عندما كان محمود شاكر في السابعة عشرة من عمره سنة 1926م، حيث كان في السنة الأولى -كلية الآداب- قسم اللغة العربية.

وقد صدم وهو يستمع إلى أستاذه طه حسين وهو يتحدث عن الشعر الجاهلي، حيث رأى أن كلام الأستاذ هو اجترار لكلام المستشرق الإنجليزي مرجليوث.

وأن مرجليوث ليس عنده من أدوات النظر في العربية، وإدراك أسرارها، ما يجعل لرأيه قيمة، وهذا أمر يرجع إلى الطبيعة، فليس اللسان لسانه، وليس الأدب أدبه، وليس التاريخ تاريخه.

وأنه أي مرجليوث لا يريد هو من وراء هذه الدراسة إلا تشويه وإفساد ومسخ الفكر العربي وتاريخه، حيث يراه مغالياً في هذا الإفساد.

وقد قال عنه الكثيرين، منهم الدكتور محمود الطناحي - رئيس قسم اللغة العربية وآدابها بجامعة حلوان: حيث قال إن محمود شاكر قد رزق عقل الشافعي، وعبقرية الخليل، ولسان ابن حزم، وشجاعة ابن تيمية.

وبهذه الأمور الأربعة مجتمعة حصّل من المعارف والعلوم العربية ما لم يحصله أحد من أبناء جيله.

ثم خاض تلك المعارك الحامية: فحارب الدعوة إلى العامية، وحارب الدعوة إلى كتابة اللغة العربية بالحروف اللاتينية، وحارب الدعوة إلى هلهلة اللغة العربية، والعبث بها بحجة التطور اللغوي.

ويقول الدكتور حيدر الغدير كان محمود شاكر أمة وحده، فهو شيخ العربية، وعاشق العروبة، وحارث التراث، وفارس الأصالة، جمع إلى غيرة المسلم عزة العربي، وإلى شجاعة المحارب طبيعة المسامح، وإلى عقل العالم طبيعة الطفل البريء.

أما الدكتور عبد القدوس أبو صالح فيقول، لم تكن ذاكرة الشيخ الفريدة، واطلاعه الواسع الشامل، هما اللذان أوصلا الشيخ محمود محمد شاكر إلى أن يكون شيخ العربية دون منازع؛ وإن أعانا على بلوغه تلك المنزلة العالية.

ولكن الذي بوأه مكانته طول معايشته للتراث، وطول تأمله فيه، حتى خالط لحمه ودمه، وحتى ألقى إليه مقاليده وأسراره.

ولا يفوتنا شهادة الكاتب وديع فلسطين – عضو مجمع اللغة العربية بدمشق وعمّان: حيث قال: أرشح محمود محمد شاكر للجائزة التقديرية، لأن هذا العالم الفذ قد وقف كل عمره على الحفاظ على تراث الضاد، وكأنه ديدبان شاكي السلاح يذب عن حياض الضاد كل متهجم أو متحرش، أو متطاول، وأتصور بعين الخيال أن محمود شاكر يقيم في قلعة حصينة في داخل أسوارها كل مقدسات الضاد.

يقول الدكتور: إحسان عباس: «لا ريب عندي في أن الشعر الحديث قد ضل كثيراً حين لم يهتد إلى «القوس العذراء» وهي أحد مؤلفات محمود شاكر.

وأن الناقد الحديث كان يعشو إلى أضواء خادعة، حين انقاد وراء التأثر بشعر أجنبي، ورموز غريبة، ولم يستطع أن يكتشف أدواته في التراث كما فعلت القوس العذراء» .

ويقول الدكتور زكي نجيب محمود عن قصيدة القوس والعذراء: «درة ساطعة هذه بين سائر الدرر، و(آية هذه من الفن محكمة) بين آيات الفن المحكمات.

ألف محمود محمد شاكر الكثير والكثير من المؤلفات منها، المتنبي – القوس العذراء – أباطيل وأسمار، وبرنامج طبقات فحول الشعراء، ونمط صعب ونمط مخيف دار المدني، وقضية الشعر الجاهلي في كتاب ابن سلام، ورسالة في الطريق إلى ثقافتنا، ومداخل إعجاز القرآن، واعصفي يا رياح.

وقد توفي رحمه الله مساء يوم الخميس 3 ربيع الآخر 1418هـ الموافق 7 أغسطس من عام 1997م.

(٤) الأديب أحمد البشر الرومي

أحمد البشر الرومي هو مؤرخ وأديب كويتي وهو أحد أوائل الأشخاص الكويتيين الذين قاموا بكتابة مذكراتهم الشخصية.

عمل بالتجارة والسفر والغوص والتدريس وكان من الداعين إلى تعليم المرأة في مجتمع كان يرفض بعض المواد التي يتم تعليمها للذكور.

ولد في دولة الكويت وفيها وري الثرى، وخلال فترة حياته عاش هذا الأديب العديد من الصولات والجولات إثر ميلاده في منطقة حي شرق بالعاصمة الكويت في سنة 1905.

ففي سن السابعة قام والده بتسجيله في المدرسة المباركية لينتهل منها المعارف خلال الأعوام العديدة التي قضاها هناك ليقوم فيما بعد بإلحاقه بكتاب الملا عبد الوهاب الحنيان الذي يعتبر من بين المدارس الشعبية المخصصة لتلاوة وحفظ القرآن الكريم وتعلم قواعد الدين الإسلامي الحنيف.

وقام والده بعد ذلك ليسجله مرة أخرى بالمدرسة المباركية التي كانت تقدم تعليماً مجانياً ليواصل التعلم فيها إلى حدود سنة 1921م.

وقد واصل التعلم والدراسة إلى أن جاءته الفرصة ليبتدئ رحلة تكوينه العصامي والتثقف بالمطالعة والجلوس مع النخبة المثقفة وخيرة القوم ليأتي الزمن الذي يصبح فيه أحمد البشر الرومي معلما في نفس المدرسة التي تكون وتعلّم فيها.

إلى أن جاء يوم 25 سبتمبر 1939 ليصبح فيها الأديب الراحل أستاذا في المدرسة الشرقية الابتدائية.

نعود قليلاً إلى شبابه، ففي نظارة العمر وعند سن السابعة عشر صعد الأديب أحمد البشر الرومي الأمواج بحثا عن رزقه الحلال كغواص في الأزرق العميق دون أن يخاف المخاطر وأن يتوجع من آلام هذه الحرفة المضنية.

بل تجاوز هذا الأمر وغاص في بحار الكلمات والمطالعة منغمسا في أبيات الشعر القديم والحديث النبوي الشريف الذي حفظه عن ظهر قلب لينكب كذلك على قراءة كتب الأدب والتاريخ.

وعلى الرغم من عدم توفر الإمكانيات التي تسمح له باقتناء الدواوين الشعرية والكتب، فقد واصل في تحصيل العلم والتشبع من الجماليات والأدب عن طريق استعارة الكتب من رفاقه والأشخاص الذين يعرفهم.

ويقوم بعد ذلك بإرجاعها بعد الاطلاع عليها مستفيدا أيضا من العلاقة التي كانت تجمعه بصقر الشبيب شاعر الكويت الكفيف الذي كان يلقي أمامه في الأشعار مما حرك فيه الحس الإبداعي ليقوم بحفظ الآلاف من الأبيات الشعرية.

وقد قال عنه مؤلف كتاب شخصيات كويتية الكاتب عادل محمد العبد المغني إنه عند بداية أفول حرفة صيد اللؤلؤ في بحر ثلاثينيات القرن الماضي اشتغل الأديب أحمد البشر الرومي في الجمارك البرية.

وقد كانت الجمارك تتمركز داخل السور في منطقة بوابة الشامية لمدة سنة لينضم فيما بعد إلى دار معارف الكويت وليضطلع إثر ذلك بالتعليم في المدرسة الشرقية مستمرا في تعليم الكويتيين لما يناهز الستة أعوام.

ومع انطلاق الأربعينيات، دخل الأديب الراحل ميدان التجارة وذلك بتدشينه محلاً تجارياً متواجداً في السوق الداخلية بالعاصمة الكويت ليحقق أرباحا في عدة أعوام و يسجل خسائر في أعوام أخرى.

ويعتبر أحمد البشر الرومي المؤرخ والأديب الراحل أحد جهابذة الفكر والتاريخ والأدب في دولة الكويت ولم يصل لصفوة هذه المكانة العالية إلا بعد جهد كبير وتمحص في المخطوطات التاريخية النادرة.

وكذلك الاطلاع على الكتابات القيمة التي تلقى معرفتها بشغف بهدف الاطلاع على خباياها وكينونتها وتناول الأطروحات بالنقد التي تقدمها بالغا ذروة فرحه ومجده الشخصي بالوصول لحقائق صعب حلها على عدد كبير من

المؤرخين والباحثين من زملائه ليقيم الدليل عليها بالحجج والقرائن القوية التي لا تقبل الدحض.

كما غاص الفقيد الرومي في بحار التاريخ والماضي معانقا روعة التراث الكويتي العريق فكتب المقالات عن ابن عرير والفرزدق الكويتي وكاظمة وغيرها إذ كانت له الفرصة في إدراجها في كتاب واحد تحت عنوان "مقالات عن الكويت" تم نشره خلال عام 1966م.

كما ألف الرومي مجلداً كبيراً يتكون من أربعة أجزاء تناول فيه الأمثال الشعبية الكويتية بحجم صفحات إجمالي يبلغ 2393 صفحة تحتوي على ما يناهز 2392 مثلا شعبيا.

ويعتبر ذلك إنجازاً كبيراً وعظيماً تطلب وقتا طويلا بلغ حوالي الثلاثين سنة قام من خلالها الرومي بجمع وتمحص والإمعان في الأمثال الشعبية بالكويت ومقارنتها مع نظيرتها في بقية الدول العربية.

كما ألف كتابا جمع فيه الأبيات الشعرية المتفرقة للشاعر صقر الشبيب خلال عام 1970م ضمنه بمقدمة رائعة بسبب العلاقة الوطيدة التي جمعته بهذا الشاعر في ريعان الشباب.

ويعد أحمد البشر الرومي أحد المراجع الجوهرية في التراث وتاريخ دولة الكويت نظراً لكونه يملك مكتبة ثرية بها عدد كبير المخطوطات والكتب والمراجع الثمينة والرسائل القديمة ونؤاخذة الرحلات والغوص والدفاتر الخاصة بحسابات التجار الكويتيين.

وقد وفر في مكتبته آلة ميكرو فيلم يقدم من خلالها الكتب الثمينة والمخطوطات النادرة للإمعان فيها وتحليلها إضافة لكونه يحتفظ في هذه المكتبة الفريدة بالعديد من المخطوطات المتعلقة بالتراث والتاريخ الكويتي على غرار مخطوطة أسماء المراكب البحرية ومكوناتها ومخطوطة الألعاب الشعبية.

وكذلك تسجيلات فنية رائعة وفريدة للفن الشعبي في دولة الكويت منها لأول مطرب في تاريخ الكويت الفنان يوسف البكر، إضافة لما يملكه من إضافات ومشاركات قيمة في عدد كبير من الملتقيات والندوات الفكرية.

وأيضا مشاركته في نادي المعلمين ومجلس المعارف كعضو مع بداية حقبة الخمسينيات إضافة لكونه كان أعضاء لجنة الفنون الشعبية، ورابطة الأدباء الكويتيين، ولجنة التراث والتاريخ العربي.

لقد كانت حياة الراحل وفقيد الساحة الفكرية الكويتية أحمد البشر الرومي حافلة بالإنجازات ومتسمة بتركه لطابعه الخاص في الحياة الثقافية ومحل إعجاب ودراسة من قبل العديد من النخب المثقفة الكويتية والعربية إلا أنه من أول الأدباء الذين ألفوا كتاباً عن حياتهم الشخصية وذلك خلال سنة 1939م.

وقد رحل الأديب العملاق عن هذه الدنيا إلى حياة الخلود تاركا بصمته في الكويت والكويتيين ليسجل اسمه في سجل الأدب الكويتي والعربي وينحت طابعه وعبق رائحته في أوراق الكتب وبحار الأشعار ويرحل عن هذه الحياة في السادس من يناير عام 1982م.

(٥) الأديب غازي القصيبي

حطت رحالنا في المملكة العربية السعودية ومع الأديب غازي عبد الرحمن القصيبي الذي قضى في الأحساء سنوات عمره الأولى، ثم انتقل بعدها إلى المنامة بالبحرين ليدرس فيها مراحل التعليم.

ونال بعد ذلك رخصة الحقوق من جامعة القاهرة ثم تحصل على درجة الماجستير في العلاقات الدولية من جامعة جنوب كاليفورنيا التي لم يكن يريد الدراسة بها، بل كان يريد دراسة "القانون الدولي" في جامعة أخرى من جامعات أمريكا.

وبالفعل، حصل على عدد من نتائج القبول في جامعات عدة، ولكن لمرض أخيه، اضطر إلى الانتقال إلى جواره والدراسة في جنوب كاليفورنيا، وبالتحديد في لوس أنجلوس، ولم يجد التخصص المطلوب فيها، فاضطر إلى دراسة "العلاقات الدولية".

وقد نال شهادة الدكتوراه فيما بعد في العلاقات الدولية من جامعة لندن والتي كانت رسالته فيها حول اليمن كما أوضح ذلك في كتابه الشهير "حياةٌ في الإدارة".

القصيبي شاعر له إنتاجات في فن الرواية والقصة، مثل "شقة الحرية" و"دنسكو" و"أبو شلاخ البرمائي" و"العصفورية" و"سعادة السفير" و"الجنيّة"، و"العودة سائحاً إلى كاليفورنيا" و"حكاية حب" وآخر أعماله كانت "أقصوصة الزهايمر" التي نشرت بعد وفاته.

أما في الشعر فلديه دواوين "معركة بلا راية" و"أشعار من جزائر اللؤلؤ" و"للشهداء" و"حديقة الغروب".

وله إسهامات صحافية متنوعة أشهرها سلسلة مقالات في عين العاصفة التي نُشرَت في جريدة الشرق الأوسط إبان حرب الخليج الثانية كما أن له مؤلفات أخرى في التمية والسياسة وغيرها منها التمية، الأسئلة الكبرى وعن هذا وذاك وباي باي لندن ومقالات أخرى الأسطورة ديانا و100 من أقوالي غير المأثورة.

ذكره معلمه والأديب الراحل عبد الله بن محمد الطائي ضمن الشعراء المجددين في كتابة (دراسات عن الخليج العربي) قائلا:

أخط اسم غازي القصيبي، وأشعر أن قلبي يقول ها أنت أمام مدخل مدينة المجددين، وأطلقت عليه، عندما أصدر ديوانه أشعار من جزائر، اللؤلؤ الدم الجديد، وكان فعلا دما جديدا سمعناه يهتف بالشعر في الستينيات، ولم يقف، بل سار مصعدا، يجدد في أسلوب شعره، وألفاظه ومواضيعه.

يعد كتاب "حياة في الإدارة" أشهر ما نشر له، وتناول سيرته الوظيفية وتجربته الإدارية حتى تعيينه سفيراً في لندن. وقد وصل عدد مؤلفاته إلى أكثر من ستين مؤلفاً.

مُنح وسام الكويت ذو الوشاح من الطبقة الممتازة 1992 وكذلك منح وسام الملك عبد العزيز وعدد من الأوسمة الرفيعة من دول عربية وعالمية.

لديه اهتمامات اجتماعية مثل عضويته في جمعية الأطفال المعاقين السعودية حيث كان أحد مؤسسيها وكان عضواً فعالاً في مجالس وهيئات حكومية.

كان يعمل بلا مرتب في آخر 30 سنة من حياته حيث تم تحويل مرتباته إلى جمعية الأطفال المعاقين.

بدأت حياة غازي القصيبي مشبعة بالكآبة، فولادته وافقت اليوم الثاني من شهر مارس عام 1940، ذلك الجو الكئيب كانت له مسبباته.

فبعد تسعة أشهر من ولادة (غازي) توفيت والدته، وقبل ولادته بقليل كان جده لوالدته قد توفي أيضا، وإلى جانب هذا كله كان بلا أقران أو أطفال بعمره يؤنسونه. في ذلك الجو، يقول غازي، "ترعرعت متأرجحا بين قطبين أولهما أبي وكان يتسم بالشدة والصرامة ، وثانيهما جدتي لأمي، وكانت تتصف بالحنان المفرط والشفقة المتناهية على (الصغير اليتيم).

ولكن، لم يكن لوجود هذين المعسكرين، في حياة غازي الطفل، تأثير سلبي كما قد يُتوقع، بل خرج من ذلك المأزق بمبدأ إداري يجزم بأن السلطة بلا حزم، تؤدي إلى تسيب خطير، وأن الحزم، بلا رحمة، يؤدي إلى طغيان أشد خطورة.

هذا المبدأ، الذي عايشه غازي الطفل، طبقه غازي المدير وغازي الوزير وغازي السفير أيضا، فكان على ما يبدو، سببا في نجاحاته المتواصلة في المجال الإداري. إلا أننا لا ندري بالضبط، ماذا كان أثر تلك النشأة لدى غازي الأديب.

على أي حال، لم يستمر جو الكآبة ذاك، ولم تستبد به العزلة طويلاً، بل ساعدته المدرسة على أن يتحرر من تلك الصبغة التي نشأ بها، ليجد نفسه مع الدراسة، بين أصدقاء متعددين ووسط صحبة جميلة.

في المنامة، كانت بداية مشواره الدراسي، حتى أنهى الثانوية، ثم حزم حقائبه نحو مصر، وإلى القاهرة بالتحديد، وفي جامعتها انتظم في كلية الحقوق.

وبعد أن أنهى فترة الدراسة هناك، والتي يصفها بأنها "غنية بلا حدود" – ويبدو أنها كذلك بالفعل إذ (يُقال) أن رواية "شقة الحرية" التي كتبها، والتي كانت هي الأخرى غنية بلا حدود، تحكي التجربة الواقعية لغازي أثناء دراسته في القاهرة.

بعد ذلك، عاد إلى السعودية يحمل معه شهادة الليسانس في القانون، وكان في تخطيطه أن يواصل دراسته في الخارج، وأصرّ على ذلك رغم العروض

الوظيفية الحكومية التي عرضت عليه، وكان أهمّها عرضا يكون بموجبه مديراً عاماً للإدارة القانونية في وزارة البترول والثروة المعدنية والتي كان يحمل حقيبتها آنذاك عبد الله الطريقي.

إلا أنه رفضه مقدما طموح مواصلة الدراسة على ما سواه. وكان أبوه حينها قد عرض عليه الدخول في التجارة، معه ومع إخوته، إلا أنه اعتذر من أبيه عن ذلك أيضا، فما كان من الأب، إلا أن يقدّر هذه الرغبة، بل يساعده بتدبير أمر ابتعاثه الحكومي إلى الخارج، وهذا ما تم في 1962.

الوجهة هذه المرة نحو لوس أنجلوس في الولايات المتحدة الأميركية، في جامعة جنوب كاليفورنيا العريقة، قضى ثلاث سنوات توّجت بحصوله على درجة الماجستير في العلاقات الدولية.

وفي أميركا وأثناء دراسة الماجستير، جرّب غازي منصبا إداريا للمرة الأولى، وذلك بعد فوزه "بأغلبية ساحقة" في انتخابات جمعية الطلاب العرب في الجامعة.

وبعد رئاسته لها بأشهر أصبحت الجمعية ذات نشاط خلاق، بعد أن كانت الفرقة سمتها نظرا للوضع الذي كان يعيشه العالم العربي آنذاك والذي يؤثر بالطبع على أحوال الطلاب العرب.

العودة إلى الوطن، والعمل استاذا جامعيا ثم إكمال الدراسة والحصول على الدكتوراه بعد فترة عملية، كان قرار غازي من بين خيارات عدة، فعاد إلى الرياض عام 1964، وإلى جامعتها (جامعة الملك سعود حاليا) تقدّم آملا بالتدريس الجامعي في كلية التجارة (إدارة الاعمال حاليا).

لكن السنة الدراسية كانت قد بدأت قبل وصوله، ما جعل أمله يتأجل قليلا حتى السنة التالية، وفي تلك الأثناء، قضى غازي ساعات عمله اليومية في مكتبة الكلية (بلا عمل رسمي).

وقبيل فترة الامتحانات الجامعية جاء الفرج، حاملا معه مكتباً متواضعاً

ومهمة عملية، لم تكن سوى لصق صور الطلاب على استمارات الامتحان! وقام حامل الماجستير في العلاقات الدولية بتلك المهمة عن طيب خاطر.

لكن قبل بدء السنة التالية، طلب منه عميد الكلية أن يجهّز نفسه لتدريس مادتي مبادئ القانون ومبادئ الإدارة العامة، إلا أنه وقبيل بدء الدراسة فوجئ الأستاذ الجامعي الجديد بأنه عضو في لجنة السلام السعودية – اليمنية، التي نصت عليها اتفاقية جدة لإنهاء الحرب الأهلية في اليمن.

وكان رُشح اسمه كمستشار قانوني في الجانب السعودي من اللجنة، دون علمه، ليأتي أمر الملك فيصل باعتماد أسماء أعضاء اللجنة.

ومع أوائل العام 1966 كانت مهمة اللجنة قد انتهت ليعود المستشار القانوني السياسي إلى أروقة الجامعة، وكلف حينها بتدريس سبع مواد مختلفة.

وفي 1967 غادر نحو لندن، ليحضّر الدكتوراه هناك، وكتب رسالته حول حرب اليمن، ثم عاد إلى الرياض في 1971، ولكنه قد أصبح (الدكتور) غازي، ليبدأ مشواره العملي.

مع بداية العام 1971 عاد الدكتور غازي القصيبي للعمل في الجامعة بعد أن حصل على درجة الدكتوراه من لندن في المملكة المتحدة، وأدار بعد عودته بقليل مكتبا للاستشارات القانونية كان يعود لأحد أصدقائه.

ومن خلال هذه التجربة التي يعترف الدكتور غازي بأنه لم يوفق فيها تجاريا، يبدو أنه وفق بشأن آخر، وهو التعرف على طبيعة المجتمع السعودي بشكل أقرب من خلال تعامله مع زبائن المكتب.

في تلك الفترة أيضا كانت الفرصة قد سنحت للكتابة بشكل نصف شهري في جريدة الرياض، مع إعداد برنامج تلفزيوني أسبوعي يتابع المستجدات في العلاقات الدولية، وكان لظهوره الإعلامي دور في ترسيخ هذا الاسم في ذاكرة العامة.

وفي تلك الأثناء شارك القصيبي مع مجموعة لجان حكومية كانت بحاجة لمستشارين قانونيين ومفاوضين مؤهلين، من ضمنها لجان في وزارة الدفاع والطيران ولجان في وزارة المالية والاقتصاد الوطني وغيرها.

في تلك الحقبة من بداية المشوار العملي الحقيقي، كان لابد أن يكون لبزوغ هذا الاسم ثمن، وكان كذلك بالفعل إذ انطلقت أقاويل حول عاشق الأضواء وعاشق الظهور.

ويعلق الدكتور غازي على ذلك بالقول: تعلمت في تلك الأيام ولم أنس قط، أنه إذا كان ثمن الفشل باهضا، فللنجاح بدوره ثمنه المرتفع، وأعزو السبب - لظهور هذه الأقاويل- إلى نزعة فطرية في نفوس البشر، تنفر من الإنسان المختلف، الإنسان الذي لا يتصرف كما يتصرفون.

وبعد أقل من عام، كان على الأستاذ الجامعي أن يتحول عميداً لكلية التجارة وهو المنصب الذي رفضه إلا بشرط هو ألا يستمر في المنصب أكثر من عامين غير قابلة للتجديد، فكانت الموافقة على شرطه هذا إلى جانب شروط أخرى رحب بها مدير الجامعة.

وبدأت تنمو الإصلاحات في الكلية ونظامها وسياستها بشكل مستمر وبنشاط لا يتوقف حتى عاد أستاذا جامعيا بعد عامين.

وفي 1973، كان القرار الهام، الانتقال من الحياة الأكاديمية إلى الخدمة العامة، في المؤسسة العامة للسكك الحديدية.

وقبل أن يتضح له أنه بدأ شيئا فشيئا يتحول إلى "وزير تحت التمرين" وهذا ما حدث بالفعل في عام 1975، ضمن التشكيل الوزاري، إذ عُيّن وزيرا لوزارة الصناعة والكهرباء.

ويذكر المواطن السعودي من ذلك الجيل أن الكهرباء حينها دخلت كل منزل أو على الأقل غالبية المنازل في السعودية وخلال فترة وجيزة.

وقد ظهرت آنذاك العلامة المميزة لغازي القصيبي وهي الزيارات المفاجئة.

كان لغازي القصيبي ميول أدبية جادة، ترجمها عبر دواوين أشعار كثيرة، وروايات أكثر، وربما يعدّ بسببها أحد أشهر الأدباء في السعودية، ويظل رمزا أو نموذجا جيدا لدى الشباب منهم.

توالت فيما بعد الإصدارات بين دواوين الشعر والروايات والكتب الفكرية، ومن دواوينه الشعرية: صوت من الخليج، الأشج، اللون عن الأوراد، أشعار من جزائر اللؤلؤ، سحيم، وللشهداء.

ومن رواياته شقة الحرية، العصفورية، سبعة، سعادة السفير، سلمى، أبو شلاخ البرمائي، وآخر إصداراته في الرواية: الجنية.

وفي المجال الفكري له من المؤلفات، التنمية، الأسئلة الكبرى، الغزو الثقافي، أمريكا والسعودية، ثورة في السنة النبوية.

والكتاب الذي وثق فيه سيرته الإدارية والذي حقق مبيعات عالية: "حياة في الإدارة" وكذلك كتاب (الوزير المرافق) الذي وثق فيه سيرته كمسؤول في وزارة من خلال بعثات الوفود الرسمية ومرافقته للضيوف الرسميين.

وعلى المستوى الروائي يكاد يُجمع المهتمين بأن روايتي شقة الحرية والعصفورية، هما أهم وأفضل وأشهر ما كتب القصيبي، في حين احتفظ ديوان معركة بلا راية بمرتبته المتقدمة بين دواوين الشعر الأخرى.

وفي المؤلفات الأخرى، يبقى "حياة في الإدارة" واحدا من الكتب التي حققت انتشارا كبيرا.

ورغم أن البعض يرى أدب غازي متطرفا نحو اليسار، إلا أن لآخرين رأيهم بأنه متطرف لليمين، لا سيما في أدبياته.

خصوصا قصيدة الشهداء، التي مجّد فيها غازي العمليات الانتحارية (في فلسطين)، وأشاع بعضهم حينها أنها كانت سببا لتدهور علاقاته الدبلوماسية في بريطانيا.

وهنا يستشهد القصيبي بقول الأديب السوري محمد الماغوط: "ما من موهبة تمر بدون عقاب" ويضيف عليها: "وما من موقف يمر بلا ثمن !".

توفي رحمه الله عن عمر يناهز السبعين عامًا في يوم الأحد 5 رمضان 1431 هـ الموافق 15 أغسطس 2010 الساعة العاشرة صباحًا في مستشفى الملك فيصل التخصصي بالرياض بعد معاناة طويلة مع المرض.

(٦) الشاعر محمود درويش

الشاعر محمود درويش وُلد في 13 مارس عام 1941 في قرية البروة في الجليل بفلسطين، نزح مع عائلته إلى لبنان في نكبة 1948، وعاد إلى فلسطين متخفيا ليجد قريته قد دمرت، فاستقر في قرية الجديدة شمالي غربي قريته البروة.

أتم تعليمه الابتدائي في قرية دير الأسد بالجليل، وتلقى تعليمه الثانوي في قرية كفر ياسيف.

اعتقل أكثر من مرة من قبل السلطات الإسرائيلية منذ عام 1961 بسبب نشاطاته وأقواله السياسية، وفي عام 1972 توجه إلى موسكو ومنها إلى القاهرة وانتقل بعدها إلى لبنان حيث ترأس مركز الأبحاث الفلسطينية.

شغل محمود درويش بعد استقراره في لبنان منصب رئيس تحرير مجلة شؤون فلسطينية، كما ترأس رابطة الكتاب والصحفيين الفلسطينيين، وأسس مجلة الكرمل الثقافية في بيروت عام 1981.

انتخب عضوا في اللجنة التنفيذية لمنظمة التحرير الفلسطينية عام 1988، ثم مستشارا للرئيس الفلسطيني الراحل ياسر عرفات.

كتب إعلان الاستقلال الفلسطيني الذي أعلن في الجزائر عام 1988، واستقال من اللجنة التنفيذية بعد خمس سنوات احتجاجا على توقيع اتفاق أوسلو.

عاد درويش عام 1994 إلى فلسطين ليقيم في رام الله، بعد أن تنقل في عدة أماكن كبيروت والقاهرة وتونس وباريس.

بدأ كتابة الشعر في المرحلة الابتدائية وعرف كأحد أدباء المقاومة، ولدرويش ما يزيد على ثلاثين ديوانا من الشعر والنثر بالإضافة إلى ثمانية كتب، وقد ترجم شعره إلى عدة لغات، وأثارت قصيدته "عابرون في كلام" عابر جدلا داخل الكنيست.

يعد محمود درويش أحد أهم الشعراء الفلسطينيين والعرب الذين ارتبط اسمهم بشعر الثورة والوطن.

يعتبر درويش أحد أبرز من ساهم بتطوير الشعر العربي الحديث وإدخال الرمزية فيه. في شعر درويش يمتزج الحب بالوطن بالحبيبة الأنثى.

ساهم في إطلاقه واكتشافه الشاعر والفيلسوف اللبناني روبير غانم، عندما بدأ هذا الأخير ينشر قصائد لمحمود درويش على صفحات الملحق الثقافي لجريدة الأنوار والتي كان يترأس تحريرها.

ومحمود درويش كان يرتبط بعلاقات صداقة بالعديد من الشعراء منهم محمد الفيتوري من السودان ونزار قباني من سوريا وفالح الحجية من العراق ورعد بندر من العراق وغيرهم من أفذاذ الأدب في الشرق الأوسط.

وكان له نشاط أدبي ملموس على الساحة الأردنية فقد كان من أعضاء الشرف في نادي أسرة القلم الثقافي مع عدد من المثقفين أمثال مقبل مومني وسميح الشريف... وغيرهم.

كانت أول قصائد محمود درويش عندما كان طالباً في المدرسة الابتدائية ومن أبرز قصائده "سجل انا عربي" و"وطني ليس حقيبة" و"أنا لست مسافر" و"لا تعتذر عما فعلت".

وصدر له أيضاً كتاب يجمع بين الشعر والنثر عنوانه أثر الفراشة، وأصدر دواوينه الشعرية ابتداء من عام 1960.

وقد حصل على عدة جوائز منها جائزة (لوتس عام 1969)، و(جائزة البحر المتوسط عام 1980)، و(جائزة دروع الثورة الفلسطينية عام 1981)، و(جائزة لوحة أوروبا للشعر عام 1981)، و(جائزة ابن سينا في الاتحاد السوفياتي عام 1982).

في إحدى الليالي حالكة السواد استيقظ فجأة على أصوات انفجارات بعيدة تقترب، وعلى هرج في المنزل، وخروج فجائي، وعدو استمر لأكثر من ست وثلاثين ساعة تخلله اختباء في المزارع من أولئك الذين يقتلون ويحرقون ويدمرون كل ما يجدونه أمامهم "عصابات الهاجاناة".

واستيقظ الطفل محمود درويش ليجد نفسه في مكان جديد اسمه لبنان، وهنا يبدأ وعيه بالقضية يتشكل من وعيه ببعض الكلمات، مثل فلسطين، وكالات الغوث، الصليب الأحمر، المخيم، واللاجئين.

وهذه الكلمات التي شكّلت مع ذلك إحساسه بهذه الأرض، حين كان لاجئا فلسطينيا، وسُرقت منه طفولته وأرضه.

وفي عامه السابع عشر تسلل إلى فلسطين عبر الحدود اللبنانية، وعن هذه التجربة يقول:

"قيل لي في مساء ذات يوم.. الليلة نعود إلى فلسطين، وفي الليل وعلى امتداد عشرات الكيلومترات في الجبال والوديان الوعرة كنا نسير أنا وأحد أعمامي ورجل آخر هو الدليل، في الصباح وجدت نفسي أصطدم بجدار فولاذي من خيبة الأمل: أنا الآن في فلسطين الموعودة؟! ولكن أين هي؟ فلم أعد إلى بيتي، فقد أدركت بصعوبة بالغة أن القرية هدمت وحرقت".

هكذا عاد الشاب محمود درويش إلى قريته فوجدها قد صارت أرضا خلاء، فصار يحمل اسما جديدا هو: "لاجئ فلسطيني في فلسطين"، وهو الاسم الذي جعله مطاردًا دائما من الشرطة الإسرائيلية.

فهو لا يحمل بطاقة هوية إسرائيلية، لأنه "متسلل".. وبالكاد وتنسيقًا مع وكالات الغوث بدأ الشاب اليافع في العمل السياسي داخل المجتمع الإسرائيلي، محاولا خلق مناخ معادٍ للممارسات الإرهابية الصهيونية.

وكان من نتيجة ذلك أن صار محررا ومترجما في الصحيفة التي يصدرها الحزب الشيوعي الإسرائيلي (راكاح)، وهو الحزب الذي رفع في تلك الفترة المبكرة من الستينيات شعاراً يقول: "مع الشعوب العربية.. ضد الاستعمار".

وهي الفترة ذاتها التي بدأ يقول فيها الشعر، واشتُهر داخل المجتمع العربي في فلسطين بوصفه شاعرا للمقاومة لدرجة أنه كان قادراً بقصيدته على إرباك حمَلة السلاح الصهاينة، فحينئذ كانت الشرطة الإسرائيلية تحاصر أي قرية تقيم أمسية شعرية لمحمود درويش.

وبعد سلسلة من المحاصرات، اضطر الحاكم العسكري إلى تحديد إقامته في الحي الذي يعيش فيه، فصار محظورا عليه مغادرة هذا الحي منذ غروب

الشمس إلى شروقها في اليوم التالي، ظانا أنه سيكتم صوت الشاعر عبر منعه من إقامة أمسياته.

"لم يكن محمود درويش يعبث لحظة واحدة بأدوات رسالته لفرط حساسية هذه الأدوات. فأداة الشاعر الفلسطيني واحدة بطبيعته الاستثنائية، هذه الأداة هي الوطن المفقود الذي يصبح في الغياب فردوساً مفقودا".

هكذا صدر الحكم على محمود درويش الشاعر أن يولد فلسطينيا ليصبح لسانا لهذه الأرض التي أفقدت عن عمد الكثير من ألسنتها.

وقد بدأ محمود درويش الشاعر الشاب مرحلة جديدة في حياته بعد أن سُجن في معتقلات الصهيونية ثلاث مرات: 1961 - 1965 - 1967.

ففي مطلع السبعينيات وصل محمود درويش إلى بيروت مسبوقا بشهرته كشاعر، وعبر أعوام طويلة من التنقل كان شعره صوتا قويا يخترق أصوات انفجارات الحرب الأهلية في لبنان.

وفي عام 1977 وصلت شهرته إلى أوجها، حيث وُزع من كتبه أكثر من مليون نسخة في الوقت الذي امتلكت فيه قصائده مساحة قوية من التأثير على كل الأوساط، حتى إن إحدى قصائده (عابرون في كلام عابر) قد أثارت نقاشا حادا داخل الكنيست الإسرائيلي.

هذا التأثير الكبير أهَّله بجدارة لأن يكون عضوا في اللجنة التنفيذية لمنظمة التحرير الفلسطينية على الرغم من عدم انتمائه لأية جماعة أو حزب سياسي منذ مطلع السبعينيات.

وقد تطورت علاقته بمنظمة التحرير حتى اختاره "عرفات" مستشارا له فيما بعد ولفترة طويلة، وقد كان وجوده عاملا مهما في توحيد صفوف المقاومة حينما كان يشتد الاختلاف.

يذكر "زياد عبد الفتاح" أحد أعضاء اللجنة التنفيذية لمنظمة التحرير واقعة تؤكد هذا المعنى فيقول: "قرأ محمود درويش على المجلس الوطني الفلسطيني بكامل أعضائه ومراقبيه ومرافقيه وضيوفه وحرسه قصيدة: "مديح الظل العالي" فأثملهم وشغلهم عن النطاح السياسي الذي شب بينهم في تلك الجلسة.

وهذا ما جعل ياسر عرفات يحاول إقناع محمود درويش بُعيد إعلان قيام الدولة الفلسطينية في المنفى بتولي وزارة الثقافة الفلسطينية، ولكن الرد كان بالرفض، معللا هذا الرفض بأن أمله الوحيد هو العودة إلى الوطن ثم التفرغ لكتابة الشعر.

وقد عاش محمود درويش كثيرا من مآسي هذه المقاومة، وشاهد بنفسه كثيرين من أصدقائه ورفقاء كفاحه وهم يسقطون بأيدي القتلة الصهاينة.

وكانت أكثر حوادث السقوط تأثيرا في نفسه حادث اغتيال "ماجد أبو شرار" في روما عام 1981، حين كانا يشاركان في مؤتمر عالمي لدعم الكتاب والصحفيين الفلسطينيين نظّمه اتحاد الصحفيين العرب بالتعاون مع إحدى الجهات الثقافية الإيطالية.

فقد وضع الموساد المتفجرات تحت سرير ماجد أبو شرار، وبعد موته كتب محمود درويش في إحدى قصائده: "أصدقائي.. لا تموتوا".

كان محمود درويش مقيما في بيروت منذ مطلع السبعينيات، وعلى الرغم من تجواله المستمر إلا أنه قد اعتبرها محطة ارتكازه، كما كانت حياته في بيروت زاخرة بالنشاط الأدبي والثقافي، فقد أصدر منها في أواخر السبعينيات مجلة "الكرمل" التي رأس تحريرها والتي اعتبرت صوت اتحاد الكتاب الفلسطينيين.

أثناء قصف بيروت الوحشي، كان محمود درويش يعيش حياته الطبيعية، يخرج ويتنقل بين الناس تحت القصف، لم يكن يقاتل بنفسه.

فهو لم يعرف يوما كيف يطلق رصاصة، لكن وجوده - وهو الشاعر المعروف - بين المقاتلين كان يرفع من معنوياتهم، وقد أثر قصف بيروت في درويش تأثيرا كبيرا على مستويات عديدة.

فعلى المستوى النفسي كانت المرة الأولى التي يحس فيها بالحنق الشديد، على الرغم من إحباطاته السابقة، وعلى المستوى الشعري أسهم هذا القصف في تخليه عن بعض غموض شعره لينزل إلى مستوى أي قارئ.

فأنتج قصيدته الطويلة الرائعة "مديح الظل العالي"، معتبرا إياها قصيدة تسجيلية ترسم الواقع الأليم، وتدين العالم العربي، بل الإنسانية كلها.

وأسفر القصف عن خروج المقاومة الفلسطينية من بيروت، بينما فضّل محمود درويش البقاء في بيروت، معولا على عدم أهميته بالنسبة للصهاينة، لكنه وبعد عشرين يوما من بقائه علم أنه مطلوب للتصفية.

فاستطاع أن يتسلل هاربا من بيروت إلى باريس ليعود مرة أخرى إلى حقيبته وطنا متنقلا ومنفى إجباريا.

وبين القاهرة وتونس وباريس عاش محمود درويش حبيس العالم المفتوح معزولا عن جنته الموعودة.. فلسطين.

لقد كان الأمل في العودة هو ما يدفعه دائما للمقاومة، والنضال والدفع إلى النضال.

كان محمود درويش دائما يحلُم بالعودة إلى أرضه يشرب منها تاريخها، وينشر رحيق شعره على العالم بعد أن تختفي رائحة البارود.

وصلنا إلى عام 1993 وفي هذا العام وأثناء تواجده في تونس مع المجلس الوطني الفلسطيني، أتيح لمحمود درويش أن يقرأ اتفاق أوسلو، واختلف مع ياسر عرفات لأول مرة حول هذا الاتفاق، فكان رفضه مدويا.

وعندما تم التوقيع عليه بالأحرف الأولى قدم استقالته من المجلس الوطني الفلسطيني، وشرح بعد ذلك أسباب استقالته قائلا:

"إن هذا الاتفاق ليس عادلا؛ لأنه لا يوفر الحد الأدنى من إحساس الفلسطيني بامتلاك هويته الفلسطينية، ولا جغرافية هذه الهوية إنما يجعل الشعب الفلسطيني مطروحا أمام مرحلة تجريب انتقالي.

وعاد درويش في يونيو 1994 إلى فلسطين، واختار الإقامة في رام الله، وعانى مذلة الوجود في أرض تنتمي له، ويحكمها -ولا يحكمه- فيها شرطي إسرائيلي.

واستمر يقول الشعر تحت حصار الدبابات الإسرائيلية، إلى أن تم اجتياحها أخيرا، ولم يسلم هو شخصيا من هذا الاجتياح، حيث داهمت الشرطة الإسرائيلية منزله، وعبثت بأسلحته: أوراقه وأقلامه.

رحلة الإبداع "مع الشعر مجيئي... مع الشعر رحيلي"

"إذا كنا هامشيين إلى هذا الحد فكريا وسياسيا فكيف نكون جوهريين إبداعيا؟"

هكذا أجاب درويش، وهكذا يرى نفسه وسط عالم من الإبداع الجيد والمبدعين "الجوهريين"، رغم التقدير الذي يلقاه داخل وطننا العربي وخارجه.

هذا التقدير بلغ ذروته حين قام وفد من البرلمان العالمي للكتاب الذي ضم نخبة كبيرة من الأدباء والمفكرين والكتاب الأجانب في 24 مارس 2002 بزيارة درويش المحاصر في رام الله مثل ثلاثة ملايين من مواطنيه.

وهذه الخطوة لم تستغل جيدا رغم أنها حدث في منتهى الأهمية وتنم عن المكانة التي يحتلها درويش على خريطة الإبداع العالمي.

وعلى هامش الزيارة كتب الكاتب الإسباني خوان غويتسولو مقالا نشره في عدد من الصحف الفرنسية والإسبانية اعتبر فيه محمود درويش أحد أفضل الشعراء العرب في القرن الحالي ويرمز تاريخه الشخصي إلى تاريخ قومه.

وقال عن درويش إنه استطاع: تطوير هموم شعرية جميلة ومؤثرة احتلت فيها فلسطين موقعا مركزيا، فكان شعره التزاما بالكلمة الجوهرية الدقيقة، وليس شعرا نضاليا أو دعويا.

هكذا تمكن درويش، شأنه في ذلك شأن الشعراء الحقيقيين، من ابتكار واقع لفظي يرسخ في ذهن القارئ باستقلال تام عن الموضوع أو الباعث الذي أحدثه.

وكان درويش قد شارك في الانتفاضة الأخيرة بكلماته التي لا يملك غيرها بديوان كتبه في أقل من شهر عندما كان محاصرا في رام الله، وأعلن درويش أنه كتب هذا الديوان - الذي أهدى ريعه لصالح الانتفاضة - حين كان يرى من بيته الدبابات والجنود.

ويقول: "لم تكن لدي طريقة مقاومة إلا أن أكتب، وكلما كتبت أكثر كنت أشعر أن الحصار يبتعد، وكانت اللغة كأنها تبعد الجنود لأن قوتي الوحيدة هي قوة لغوية.

وتابع قائلا "كتبت عن قوة الحياة واستمرارها وأبدية العلاقة بالأشياء والطبيعة. الطائرات تمر في السماء لدقائق ولكن الحمام دائم.. كنت أتشبث بقوة الحياة في الطبيعة للرد على الحصار الذي أعتبره زائلا؛ لأن وجود الدبابة في الطبيعة وجود ناشز وليس جزءا من المشهد الطبيعي".

اللافت أن درويش لم يخاطب رئيس الوزراء الإسرائيلي إريل شارون في أي قصيدة من قصائد الديوان. وقال درويش بشأن ذلك: إن شارون "لا يستحق قصيدة فهو يفسد اللغة.. هو متعطش للدماء ولديه حقد كبير".

نشر محمود درويش آخر قصائده بعنوان "أنت منذ الآن غيرك" يوم 17 يونيو 2007، وقد انتقد فيها التقاتل الفلسطيني.

ومن دواوينه عصافير بلا أجنحة، أوراق الزيتون، أصدقائي لا تموتوا، عاشق من فلسطين، العصافير تموت في الجليل، مديح الظل العالي، حالة حصار.

توفي محمود درويش في الولايات المتحدة الأمريكية يوم السبت 9 أغسطس 2008 بعد إجرائه عملية القلب المفتوح في مركز تكساس الطبي في هيوستن، تكساس، التي دخل بعدها في غيبوبة أدت إلى وفاته بعد أن قرر الأطباء في مستشفى "ميموريال هيرمان" نزع أجهزة الإنعاش بناءً على توصيته.

وأعلن رئيس السلطة الفلسطينية محمود عباس الحداد ثلاثة أيام في كافة الأراضي الفلسطينية حزنا على وفاة الشاعر الفلسطيني، واصفًا درويش "عاشق فلسطين" و"رائد المشروع الثقافي الحديث، والقائد الوطني اللامع والمعطاء".

وقد وري جثمانه الثرى في 13 أغسطس في مدينة رام الله حيث خصصت له هناك قطعة أرض في قصر رام الله الثقافي.

وتم الإعلان أن القصر تمت تسميته "قصر محمود درويش للثقافة".

وقد شارك في جنازته آلاف من أبناء الشعب الفلسطيني وقد حضر أيضا أهله من أراضي 48 وشخصيات أخرى على رأسهم رئيس السلطة الفلسطينية محمود عباس، تم نقل جثمان الشاعر محمود درويش إلى رام الله.

(٧) الشاعر بدر شاكر السياب

سنطير بكم إلى بلاد الرافدين، وأديب عراقي ومع الشاعر بدر شاكر السياب الذي وُلد في قرية جيكور، وهي قرية صغيرة تابعة لقضاء أبي الخصيب في محافظة البصرة، ولا يزيد عدد سكانها آنذاك على (500) نسمة، واسمها مأخوذ في الأصل من الفارسية من لفظة (جوي كور) أي (الجدول الأعمى).

وتُحدّثنا كتب التاريخ على أنها كانت موقعاً من مواقع الزنج الحصينة، وبيوتها بسيطة مبنية من طابوق اللبن، وجذوع أشجار النخيل المتواجدة بكثرة في بساتين جيكور.

وكانت جيكور وارفة الظلال تنتشر فيها الفاكهة بأنواعها، مرتعاً وملعباً.

وكان جوّها الشاعري الخلاب أحد ممهدات طاقة السياب الشعرية وذكرياته المبكرة فيه التي ظلت حتى أخريات حياته تمدّ شعره بالحياة والحيوية والتفجر.

(لقد كانت الطفولة فيها بكل غناها وتوهجها تلمع أمام باصرته كالحلم. ويسجل بعض اجزائها وقصائده ملأى بهذه الصور الطفولية) كما يقول صديقه الحميم، صديق الطفولة: الشاعر محمد علي إسماعيل.

إن هذه القرية تابعة لقضاء أبي الخصيب الذي أسسه (القائد مرزوق أبي الخصيب) حاجب الخليفة المنصور عام 140 هـ والذي شهد وقائع تاريخية هامة سجّلها التاريخ العربي، أبرزها معركة الزنج وما تبعها من أحداث.

في قضاء أبي الخصيب الذي برز فيه شعراء كثيرون منهم (محمد محمود) من مشاهير المجددين في عالم الشعر والنقد الحديث و(محمد علي إسماعيل) صاحب الشعر الكثير في المحافظة و(خليل إسماعيل) الذي ينظم المسرحيات الشعرية ويخرجها بنفسه ويصور ديكورها

بريشته و(مصطفى كامل الياسين) الشاعر و(مؤيد العبد الواحد) الشاعر الوجداني الرقيق وهو من رواة شعر السياب و(سعدي يوسف) الشاعر العراقي المعروف و(عبد اللطيف الدليشي) الأديب البصري و(عبد الستار عبد الرزاق الجمعة).

لقد فَقَد السياب والدته عندما كان عمره ست سنوات، وكان لوفاة أمّه أعمق الأثر في حياته.

وبعد إذ أتمّ دروسه الابتدائية في مدرسة (باب سليمان) التي كانت تتكون من أربعة صفوف وتبعد حوالي 10 كيلو مترات عن منزله بعد انتهاء الصف الرابع انتقل إلى مدرسة (المحمودية) وتبعد عن (باب سليمان) 3 كيلومترات اضافية.

وبعدها انتقل إلى مدينة البصرة وتابع فيها دروسه الثانوية، ثم انتقل إلى العاصمة بغداد حيث التحق بدار المعلمين العالية.

واختار لنفسه تخصص اللغة العربيّة وقضى سنتين في تعلم الأدب العربي تتبّع ذوق وتحليل واستقصاء؛ ولكن تغيّر في سنة 1945 من الأدب إلى متخصص في اللغة الإنكليزية.

لقد تخرّج السيّاب في الجامعة عام 1948، وفي تلك الأثناء عُرف بميوله السياسية اليسارية كما عُرف بنضاله الوطني في سبيل تحرير العراق من الاحتلال الإنكليزي، وفي سبيل القضية الفلسطينية.

وبعد أن أُسندت إليه وظيفة تعليم اللغه الإنكليزية في الرمادي، وبعد أن مارسها عدة أشهر فُصل منها بسبب ميوله السياسية وأودع السجن.

ولمّا رُدّت إليه حريته اتجه نحو العمل الحر ما بين البصرة وبغداد كما عمل في بعض الوظائف الثانوية، وفي سنة 1952 اضطُر إلى مغادرة بلاده والتوّجه إلى إيران فإلى الكويت، وذلك عقب مظاهرات اشترك فيها.

وفي سنة 1954 رجع الشاعر إلى بغداد ووّزع وقته ما بين العمل الصحافي والوظيفة في مديرية الاستيراد والتصدير.

ولكن الذي يظهر من خلال سيرة السيّاب أنه لم يأنس ولم يتكيّف في المدينة (بغداد) بل ظل يحنّ إلى قريته التي ولد فيها (جيكور).

وقد أشار إلى ذلك الأديب الفلسطيني إحسان عباس حيث قال: «وأما السياب فإنه لم يستطع أن ينسجم مع بغداد لأنها عجزت أن تمحو صورة جيكور أو تطمسها في نفسه (لأسباب متعددة) فالصراع بين جيكور وبغداد، جعل الصدمة مزمنة، حتى حين رجع السياب إلى جيكور ووجدها قد تغيرت لم يستطع أن يحب بغداد أو أن يأنس إلى بيئتها، وظل يحلم أن جيكور لا بد أن تبعث من خلال ذاته»

وبعد سقوط النظام الملكي سنة 1958 انتقل من وظيفته إلى تدريس الإنكليزية، وفي سنة 1959 انتقل من وظيفة التعليم إلى السفارة الباكستانية يعمل فيها.

وبعدما أعلن انفصاله من الحزب الشيوعي عاد إلى وظيفته في مديرية الاستيراد والتصدير، ثم انتقل إلى البصرة وعمل في مصلحة الموانئ.

كان بدر شاكر السياب ضئيلاً، نحيل الجسم، قصير القامة. ذا ملابس فضفاضة حيث وصفه إحسان عباس بقوله:

بدر شاكر السياب غلام ضاوٍ نحيل كأنه قصبة، رُكب رأسه المستدير، كأنه حبة الحنظل، على عنقٍ دقيقة تميل إلى الطول، وعلى جانبي الرأس أُذنان كبيرتان.

وتحت الجبهة المستعرضة التي تنزل في تحدّب متدرّج أنف كبير يصرفك عن تأمله أو تأمل العينين الصغيرتين العاديتين على جانبيه فم واسع.

هذا من الناحية الخَلقيّة. أما من الناحية الخُلقيّة فبدر شاكر السيّاب رجل الحرمان الذي أراد الانتقام لحرمانه من الناس والزمان.

فانضوى إلى الشيوعية لا عن عقيدة فلسفية بل عن نقمة اجتماعية، وراح يطلب فيها ما لم يجد في بيئته من طمأنينة حياتية، وكان مفرط الحساسية يشعر بالغربة ولا يجد له في المجتمع مُستَقَراً.

وينظر إلى الوجود من خلال غربته النفسيّة ومن خلال فرديّته التي كانت تحول دون اندماجه في المجتمعات التي عاش فيها.

وقد حاول أن يجد في المرأة ما يزيل من نفسه شبح الغربة فخاب أمله ونقم على المرأة ورأى أنها تقود الرجل إلى الهاوية.

وكان من أشدّ الناس طموحاً، ومن أشدّهم ميلاً إلى الثورة السياسية والاجتماعية، ولكن تقلّبات الأحوال والأيّام وصراعات الشعوب والحكّام ملأت نفسه اشمئزازاً، أعانه على ذلك ميل في أعماقه إلى التشاؤم، وعُقد نفسية وأمراض ونكبات زادته نقمةً وحدّةً وهياجاً.

عُرف عن السيّاب حبه الشديد للمطالعة والبحث، وقراءة كل ما يقع بيده من كتب وأبحاث على اختلاف مواضيعها.

وقد أشار إلى ذلك صديقه الأستاذ فيصل الياسري حيث يقول: «وكان السياب قارئاً مثابراً فقد قرأ الكثير في الأدب العالمي والثقافة العالميّة، كما أنه قرأ لكبار الشعراء المعاصرين قراءة أصيلة عن طريق اللغة الإنكليزية التي كان يجيدها.

وكان يقرأ الكتب الدينية كما يقرأ الكتب اليسارية، ويستمر الياسري في وصفه للسياب ليكشف لنا بعضاً من صفاته التي لا يعرفها إلا القليل.

«وكذلك السيّاب على ما أذكر لم يكن كثير الكلام، ولكنه كان يفتخر أنه من البصرة؛ المدينة التي أنجبت الأخفش وبشار بن برد والجاحظ وسيبويه والفرزدق وابن المقفع... والفراهيدي واضع عروض الشعر.

لبدر شاكر السيّاب عدة دواوين صدرت للشاعر في فترات مختلفة، وهي (أزهار ذابلة 1947)، و(أساطير 1950)، و(المومس العمياء 1954)، و(الأسلحة والأطفال 1955)، و(حفّار القبور)، و(أنشودة المطر 1960).

ويُذكر للشاعر شعر لم ينشر بعد، وهو ولا شكّ من أخصب الشعراء، ومن أشدّهم فيضاً شعريّاً، وتقصيّاً للتجربة الحياتيّة، ومن أغناهم تعبيراً عن خلجات النفس ونبضات الوجدان.

كان السيّاب شاعراً فذّاً اصطبغ شعره بصبغة الأطوار التي تقلّبت فيها حياته المعاشيّة والاجتماعية والفكريّة.

عصَره الألم في شبابه، وشعر بالغربة القاسية وهو في بيت أبيه، كما شعر بها وهو في بيئته.

لم يجد قلبه الشديد الحساسيّة مَن يخرجه من أتون آلامه، ولم يجد في طريقه فتاة أحلامه، تلك الفتاة التي يسكب روحه في روحها، فتنتشله من أحلامه وأوهامه، وتُغرقه في عالمٍ من الحنان والرقة.

ورافق ذلك كله تتبّع فكريّ وعاطفي لحركة الرومانطيقية التي شاعت في أوروبّا والتي ازدهرت في بعض الأقطار العربيّة ولاسيّما لبنان المقيم والمهاجر.

فاندفع في تلك الحركة، وراح في قصائده الأولى يداعب شجونه في جوّ من الضبابية اليائسة، وفي انحطام لا يخلو من نبضات ثورية حالمة.

وراح يناجي الموت، وينظر إلى مصيره نظرة اللوعة، ويهوي في لجة عالمه المنهار:

تلك كانت المرحلة الأولى من مراحل شعر السيّاب؛ أما المرحلة الثانية فهي مرحلة الخروج من الذاتية الفرديّة إلى الذاتية الاجتماعية.

وقد انطلق الشاعر، في نزعته الاشتراكيّة ورومانطيقيّته الحادة، يتحدث عن آلام المجتمع وأوصاب الشعب، ويُهاجم الظلم في أصحابه، ويُصوّره في (حفار القبور) مارداً جشعاً يرقص على جثث الموتى ويتغذى جشعه بأرواحهم.

وبعد هذه المرحلة نرى السيّاب ينزع نزعة الواقعية الجديدة ويعمل على تحليل المجتمع تحليلاً عميقاً، وعلى تصويره تصويراً واقعيّاً فيه من الحقائق الحياتية ما يستطيع الشاعر ادراكه بنفاذ بصره وقوة انطباعيته.

وقد امتاز بدر في هذه الفترة من حياته بنزعته القوميّة العربيّة وذلك بعد تركه للحزب الشيوعيّ، وقد بدأت بوادر ذلك في رسائله التي كان يكتبها لأصدقائه ففي الرسائل المبكرة بين الدكتور سهيل إدريس والسياب أوضح

صاحب الآداب للشاعر انه قطع على نفسه العهد "بخدمة المجموعة العربية وأدبها السائر نحو النور "وكان توجيها للشاعر في الطريق الجديد.

ولهذا جاءت الرسائل تحمل نغمة جديدة لم نكن نسمعها مثل: "اننا نؤمن بالإنسانية وبالأمة العربية لا بأشخاص بذاتهم ولا بحزب سياسي بذاته" ومثل: "أن النصر لنا ولأمتنا وما أشبه ذلك وراح السيّاب يصوّر واقع بلاده الأليم ويحلم لها بمستقبل تزدهر فيه حرة، متطورة، ينقلب فيها الجهل إلى نور، والجمود إلى حركة، والتزمت إلى انفتاح.

يرى بعض الباحثين ان السياب تأثر بشعراء عرب وأجانب في مراحل تطور تجربته الشعرية وبخاصة في الخمسينيات "في مرحلة الالتزام الماركسي وما تلاها" وقد نقل عن السيّاب قوله إنه يحب البريطانيين وليام شكسبير وجون كيتس.

وقال السيّاب كان يقول: «وأكاد أعتبر نفسي متأثراً بعض التأثر بكيتس من ناحية الاهتمام بالصور بحيث يعطيك كل بيت صورة، وبشكسبير من ناحية الاهتمام بالصور التراجيدية العنيفة.

وأنا معجب بتوماس إليوت.. متأثر بأسلوبه لا أكثر.

إن السياب ذكر عام 1956 أن البحتري "أول شاعر تأثر به ثم وقع تحت تأثير الشاعر المصري علي محمود طه (الذي توفي عام 1949) فترة من الزمن وعن طريقه تعرف على آفاق جديدة من الشعر حين قرأ ترجماته للشعراء الإنجليز والفرنسيين.

كما تأثر السيّاب بكل من أبي تمام والبريطانية سيتويل وينقل عنه قوله: «حين أراجع إنتاجي الشعري ولا سيّما في مرحلته الأخيرة أجد أثر هذين الشاعرين واضحاً فالطريقة التي أكتب بها أغلب قصائدي الآن هي مزيج من طريقة أبي تمام وطريقة إديث سيتويل.

ولطالما أشاد السياب بالشاعر العراقي المعروف محمد مهدي الجواهري

(1899-1997) الذي كان يلقب (متنبي العصر) واعتبره "أعظم شاعر" في ختام النهج التفعيلي للشعر العربي.

يقف السيّاب من الشعر الحديث موقف الثائر الذي يعمل على قلب الأوضاع الشعريّة، ونقل الشعر من ذهنية التقليد وتقديس الأنظمة القديمة إلى ذهنية الحياة الجديدة التي تنطق بلغة جيدة، وطريقة جديدة، وتعبّر عن حقائق جديدة.

وساعدَ السيّاب في عمله جرأة في طبيعته، وتحرُّك اجتماعيّ وسياسيّ ثوري هز العالم الشرقيّ هزاً عنيفاً، ثم انفتاح على أدب الغرب وأساليب الغرب في التفكير والتعبير.

وقد أدخل السيّاب على الشعر العربي ثورته التي قام بها في مجتمعه، فحوّله من نظام العروض الخليلي إلى نظام الحرية، وأخرج الأوزان القديمة من قواعدها المألوفة إلى أوزان أملَتْها عليه معانيه ونبضات وجدانه.

وتصرف بالتفاعيل والقوافي وفاقاً للمزاجيّة الشعريّة التي يوحي بها مقتضى الحال، هذا فضلاً عن التيارات الفكرية والتحليلات العميقة التي زخر بها شعره وانساق في مجاريها انسياقاً فُراتيّاً يمتدّ امتداداً حافلاً بالغنى ومتأججاً بتأجّج العاطفة والحياة والخيال التي ينطلق منها.

السيّاب الذي يعتبر شاعر التحرُّر وشاعر الحياة والعنفوان..

تروعك في شعر السيّاب تلك الثروة الفكرية، وتلك الغزارة المعنوية، وذلك التلاحق الهائج المائج في تدفّقه الذي يجمع الصّخب إلى التغلغل في طوايا النفس، وذلك العصف الفكري والعاطفي، ثم تلك الواقعية اللفظية الضارية، والإلحاح على المشهد المثير واللفظة المعبّرة عن الثورة الحياتية المتفجرة.

ثم أخيراً تلك الرمزية التصويرية تستعين بالميثولوجيا والإشارات التاريخيّة التي تزيد الكلام حدّةً وبُعد آفاق.

ويمثل شعر بدر أهم الاتجاهات الشعرية التي عرفها عصره، وكانت له حصيلة واسعة من الموروث الشعري الكلاسيكي، بالإضافة إلى ترجماته لمختارات من الشعر العالمي إلى العربية.

بدأ بدر كلاسيكياً، ثم تأثّر برومانسية أبي شبكة من لبنان وبودلير من فرنسا، لكن إضافاته الشعرية وإنجازاته بدأت بشعره الواقعي، ولاسيما قصائد حفّار القبور؛ المومس العمياء؛ الأسلحة والأطفال.

وشعر بدر أبدع ما ترك من آثار، لاسيما ديوان أنشودةّ المطّر، ففيه نماذج كثيرة للقصيدة العربية الحديثة، التي توفر فيها شكل فني حديث متميّز، ومضمون اجتماعي هادف في آن واحد.

بالإضافة إلى أنها تعد وقصيدة غريب على الخليج صوتاً مميزاً في الشعر العربي الحديث، وفيهما يظهر صوته الشعري المصفى وقدرته الإبداعية العميقة.

وقصيدة غريب على الخليج التي تصور معاناة السياب الحقيقية مع المرض، يرجّح أنها آخر ما كتبه من شعر، فتشف عن رؤية شوق عارم لوطنه العراق وخشيته الموت بعيداً عن أرض هذا الوطن، وهي مثال لشعر الاغتراب في الأدب العربي.

وشعر السياب فيه جزالة وصحة في التراكيب ومحافظة على الوزن، فهو مع ريادته للتجديد في الشكل لم يترك الوزن الشعري أو يتحرر من القافية، وكان ذلك من أسباب فحولته بين الشعراء المحدثين.

قام بعض رواد الشعر في العراق ومنهم السيّاب بمحاولات جادّة للتخلص من رتابة القافية في الشعر العربي.

فقد تأثر السيّاب بالشعر الإنجليزي ويشاركه بذلك البياتي ونازك الملائكة، وأرادوا نقل تلك الحرية التي شاهدوها في الشعر الأجنبي إلى الشعر العربي.

وفي الواقع كانت هناك محاولات قبل هؤلاء الثلاثة للتغيير ولكنها كانت مجرد استطراف، وأما هؤلاء الثلاثة فقد كانت محاولاتهم جادّة وتتخذ من هذا التغيير مذهباً تدافع عنه وتنافح من أجله.

والذي يميّز هذه الحركة عن كل ما سبقها أن اعتمادها للشكل الشعري الجديد أصبح مذهباً لا استطرافاً، وأن إيمانها بقيمة هذا التحول كان شمولياً لا محدوداً، وأن أفرادها في حماستهم لهذا الكشف الجديد رأوا أن هذا الشكل يصلح دون ما عداه وعاء لجمع التجربة الإنسانية إذا أريد التعبير عنها بالشعر.

إلا أنه وقع كلام بين الباحثين في تحديد الرائد الأول للشعر الحديث، فالمعروف أن هناك نزاعاً بين السيّاب ونازك الملائكة على الريادة.

كان السيّاب يجيد اللغة الإنجليزية ولذا ساهم مساهمة فعّالة في ترجمة الكثير من الأعمال العالمية لأدباء العالم، وممن ترجم لهم السيّاب الإسباني فدريكو جارسيا لوركا والأمريكي إزرا باوند والهندي طاغور والتركي ناظم حكمت والإيطالي أرتورو جيوفاني.

وقد أصدر السيّاب مجموعة ترجماته لأول مرة عام 1955 في كتاب أسماه: (قصائد مختارة من الشعر العالمي الحديث).

ففي ترجمته الرائعة لقصيدة «الوطن» للشاعرة البلجيكية إميلى كامير يقول السياب «إنه صوت بذاتِه: صوت جرس في برج بعيد، وهو ضوء الشمس على الغبراء بين الشجر، أو غبٌّ ديمة من المطر، وهو سقف بذاته، تحت سماء بالذات، وأريج ممشى في شاعر بالذات، وحدورٍ تجثو لديه مزرعةٌ، وإحساسك بالعشب تحت الأقدام، وأريج ممشى في شارع بالذات، ونظرة خاطفة، واهتزاز يد بيضاء: شيء من الماضي، يعيا على الفهم من سرعته.

وفي سنة 1961 بدأت صحة السياب بالتدهور حيث بدأ يشعر بثقل في الحركة وأخذ الألم يزداد في ظهره، ثم ظهرت بعد ذلك حالة الضمور في جسده وقدميه، وظل يتنقل بين بغداد وبيروت وباريس ولندن للعلاج دون فائدة.

أخيراً ذهب إلى دولة الكويت لتلقي العلاج في المستشفى الأميري حيث قام هذا المستشفى برعايته وأنفق عليه خلال مدة علاجه.

فتوفي بالمستشفى هناك في 24 ديسمبر عام 1964 عن 38 عاماً ونُقل جثمانه إلى البصرة وعاد إلى قرية (جيكور) في يوم من أيام الشتاء الباردة الممطرة، وقد شيّعه عدد قليل من أهله وأبناء محلته، ودفن في مقبرة الحسن البصري في الزبير.

(٨) الأديب نجيب الكيلاني

نجيب الكيلاني، أديب مصري ولد في قرية (شرشابة) التابعة لمركز (زفتي) التابعة لمحافظة (الغربية) في مصر، وكان في اليوم الأول من شهر (يونيو 1931م).

وعلى غرار عادة أهل الريف في هذا الوقت التحق نجيب الكيلاني بكُتَاب القرية، وعمره أربع سنوات، وظل به حتى السابعة من عمره.

وفي هذا دلالة على أنه نشأ في بداية حياته نشأة دينية، حيث إنه من خلال هذه المدة التي قضاها في الكُتَاب أَلَمَّ بقواعد القراءة، وبعض الأحاديث النبوية، ومقتطفات من السيرة، وبعض القصص القرآنية.

وكانت لهذه المؤهلات في هذه السن المبكرة، عوامل مؤثرة في نتاجه الأدبي، ولهذا كان الكيلاني مديناً في تأسيس حياته العلمية بالكثير لكُتَاب الشيخ (محمد درويش).

ونشأ الكيلاني في أسرة تعمل بالزراعة، ولهذا كان يشارك أسرته في أعمال الحقل المعروفة.

كما كان يساعد أهله في زراعة المحاصيل المختلفة، وفي هذا دلالة على أنه كان يمارس حياته العادية كأي إنسان من أبناء القرية، ولد في أكناف البيئة الريفية.

بدأت المراحل التعليمية عند نجيب الكيلاني بكُتَاب الشيخ (محمد درويش) كما ذكرنا بالإضافة إلى المدرسة الأولية، التي كان التعليم فيها إلزامياً، وكانت هذه المدرسة هي الوحيدة آنذاك في قرية (شرشابة).

وبناء على ذلك نشأ الكيلاني مرتبطاً بالكُتّاب في الفترة الصباحية، وبالمدرسة الأولية في فترة الظهيرة، وكان هذا الارتباط له أكبر الأثر في تكوين عقليته العلمية، والأدبية، وكان بمنزلة المورد الأول لثقافته.

أما المورد الآخر لثقافة الكيلاني في هذا الوقت. فكان يتمثل في عمه (عبد الفتاح)، الذي كان منكبا على قراءة كتب المنفلوطي، والرافعي، ودواوين شوقي ومسرحياته، والقليل من مؤلفات طه حسين، وبعض كتب التراث.

وكان الكيلاني - في هذه السن المبكرة - يأخذ بعض هذه الكتب ويحاول القراءة فيها، فيفهم بعضها، ولا يستطيع استيعاب البعض الآخر، فكان عمه (عبد الفتاح) هو الملجأ لشرح ما غمض عليه فيها.

ثم التحق الكيلاني بعد ذلك بمدرسة (الأمريكان) الابتدائية بقرية (سنباط)، حيث تدرب فيها على الخطابة، وحفظ مأثورات الشعر، وتربية ملكة التمييز بين المواهب، وإبداء الرأي الآخر، ثم التحق بمدرسة (كشك) الثانوية بمدينة (زفتي).

وكانت دراسة المرحلة الثانوية - في هذا الوقت - خمس سنوات، وأراد الكيلانى أن ينتقل إلى مدرسة طنطا الثانوية، ولكنه وجد أن الصف الأول الثانوي بطنطا ليس به مكان شاغر، فاضطر إلى أن يتحول إلى مدرسة (الزراعة الثانوية بطنطا).

ليتمكن في السنة القادمة من التحويل إلى أي مدرسة ثانوية صرفه، وفعلا تحول في العام التالي إلى مدرسة (طنطا الثانوية)، وكان لهذا الانتقال أثر كبير في اكتسابه بعض الخبرات، والمعارف العلمية، والأدبية.

وبعد انتهاء المرحلة الثانوية بنجاح، التحق الكيلاني بكلية الطب (جامعة القاهرة) في شهر (سبتمبر1951م)، وتخرج فيها، وعمل بوظيفة (طبيب امتياز) في مستشفى (أم المصريين) بالجيزة عام (1961م)، ثم طبيباً ممارساً بقريته (شرشابة).

ثم انتقل ليعمل في وزارة النقل والمواصلات، وتسلم عمله في القسم الطبي بهيئة السكك الحديدية، ثم سافر إلى دولة (الكويت) ليعمل طبيباً هناك، ثم انتقل منها إلى دولة (الإمارات العربية)، وقضى بها ما يقرب من (ستة عشر) عاما، كانت حافلة بالتجارب، والرؤى، والممارسات العلمية، والثقافية، والأدبية.

كانت هذه المراحل التعليمية المختلفة في حياة نجيب الكيلاني هي الرافد الأول من روافد ثقافته العلمية، والدينية، والأدبية، حيث كان يستغل كل مرحلة من هذه المراحل في التزود من العلوم المقررة عليه، وكان يحاول أن يكون من المتفوقين، ومن المتميزين عن أقرانه.

وقد نجح في ذلك نجاحا مبهرا، حيث كان الكيلاني ضمن أوائل الطلاب الذين حصلوا على إتمام الشهادة الابتدائية، وكان ترتيبه الخامس على جميع طلبة منطقة وسط الدلتا.

كما كان يستغل الإجازة الصيفية في كل مرحلة من هذه المراحل في القراءة والكتابة، فمنذ التحاقه بالمرحلة (الابتدائية) وهو يقضي الإجازة الصيفية في القراءة والكتابة.

وفي مدرسة (الزراعة الثانوية) بطنطا كان الكيلاني يدخل المكتبة العامة عصر كل يوم، ويأخذ كُتُب كِبَار الأُدباء، ويقرأها بشغف زائد، ويُسجل في كراسته الصغيرة بعض المقتطفات المهمة، وكان يلتقي بمجموعة أصدقاء المكتبة، فيتبادل معهم الآراء، والأفكار حول بعض الكتب المهمة.

وفي المرحلة (الجامعية) كان الكيلاني يقضي إجازته الصيفية في القراءة وممارسة الألعاب الرياضية، وإعطاء بعض الدروس الخصوصية للطلبة الذين لم يحالفهم الحظ في امتحان الدور الأول.

كما كان يشارك في إلقاء بعض الدروس الدينية في المساجد، وكانت دروسه تمزج بين الدين والسياسة.

وكانت معظم قراءات الكيلاني في فترة الصيف في كُتُب الأدب والدين.

وكان مُولِعاً أشد الولع بكُتب الشعر والقصة، وخاصة قصص الجيب، والروايات البوليسية، والترجمات العديدة، بالإضافة إلى حفظ القرآن، والكثير من الأحاديث النبوية والشعر القديم والحديث، وبعض النصوص البلاغية، وسير القدماء والمحدثين، وغيرهم.

فالقراءة كانت متعته الحقيقية، لذلك كان يُخَيّل إليه أنه لم يكن يشبع منها أبداً، فقد أصبحت نوعاً من الإدمان بالنسبة له، وكان يقرأ كل شيء يقع في يده، كما كان لديه القدرة على حفظ الكثير من النصوص.

فقد اتصف الدكتور نجيب الكيلاني ببشاشة الوجه وروح الدعابة والتواضع الجم، وهو الخطيب المفوه صاحب الفكر المتفتح.

يقول عنه أحد أبنائه تشعر أن خلقه القرآن، يرى الخالق في كل معاملاته، يتحامل على نفسه من أجل إسعاد أهله وذويه ولم تكن طموحاته كبيرة في الدنيا لأنه كان يحمل قوة إيمان عميقة وتواضعاً جماً.

ولقد تحمل الكيلاني آلام مرضه دون أن يبث همه وألمه لأحد حتى أقرب الناس إليه، فقد صبر على آلام الكبد الوبائي ثم آلام السرطان مستمسكًا بحبل الله وكيف له أن ييأس أو يخنع وهو الراضي بقضاء الله وقدره.

استطاع الأديب الراحل نجيب الكيلاني أن يثبت أنه وثيق الصلة بواقع الحياة، ويقف شامخا في مواجهة الآداب الأخرى، ويرد علميًا على الإبداعات التافهة، عبر حياة جادة كانت حافلة بالعطاءات الأدبية كما قال العلامّة أبو الحسن الندوي.

معروف عنه أنه الأديب الوحيد الذي خرج بالرواية خارج حدود بلده، وطاف بها ومعها بلدان أخرى كثيرة، متفاعلا مع بيئاتها المختلفة.

فكان مع ثوار نيجيريا في (عمالقة الشمال) وفى أثيوبيا في (الظل الأسود)، ودمشق في (دم لفطير صهيون)، و(على أسوار دمشق)، وفي فلسطين (عمر يظهر في القدس) ، وإندونيسيا في "(عذراء جاكرتا).

يرى د. جابر قميحة أن الكيلاني لديه إحساس عميق بتكثيف الجمال الفني المرتبط بالغموض أحيانًا في بعض أعماله، إلا أنه لا ينسى مسؤوليته تجاه القارئ، وخوفه من أن يقع في براثن الفهم الخاطئ، فتراه في كل أعماله ينبض بخيوط الوعي المتيقظ، التي تجعل من كتاباته الروائية متعة خاصة وفنًا مكتملاً.

كما يؤكد د. حلمي القاعود أن نجيب الكيلاني كان فريداً في فك الفضاءات المكانية والمجالات الزمانية في أعماله عبر احترافه وحفاوته بالتحليل الدقيق والمنمنمات، واستطاع أن يملأ الساحة بالبديل الصحيح؛ حيث يعتبر أغزر الكتاب إنتاجاً على الإطلاق، بينما يأتي "نجيب محفوظ" والسحار في المرتبة الثانية من حيث الكم.

ويرى د. محمد حسن عبد الله أن كل إنتاج الكيلاني ذو هادفية مؤمنة، وعمق وشفافية متصوفة تبدو كومض الخاطر بين السطور، وهو جاد وعميق

ومؤثر، ومتصل أوثق الاتصال بروح هذا الشعب، ويملك التأثير في حياة قومه التي كان واحداً من أفذاذها المتفردين.

وقد قال عنه نجيب محفوظ في أكتوبر عام 1989: إن نجيب الكيلاني هو منظّر الأدب الإسلامي الآن.

ذلك لأن مقولاته النقدية، وأعماله الروائية والقصصية تشكل ملامح نظرية أدبية لها حجمها وشواهدها القوية، التي عززتها دراساته حول "آفاق الأدب الإسلامي" و"الإسلامية والمذاهب الأدبية"، و"الأدب الإسلامي بين النظرية والتطبيق" و"مدخل إلى الأدب الإسلامي"، و"تجربتي الذاتية في القصة الإسلامية".

أول عمل نثري للكيلاني بالمعتقل سنة 1956م دشنه برواية "الطريق الطويل"، التي نالت جائزة وزارة التربية والتعليم سنة 1957م ثم قررت للتدريس على طلاب المرحلة الثانوية في الصف الثاني الثانوي عام 1959م.

ورواية "اليوم الموعود"، عام 1960، التي نالت جائزة المجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب بمصر في العام نفسه، ورواية "في الظلام" نالت نفس الجائزة في العام التالي 1961م و(رواية قاتل حمزة) و(أهل الحميدية).

أما قصصه (عند الرحيل) و(موعدنا غداً) و(العالم الضيق) و(رجال الله).

فحصل الكيلاني على عدة جوائز منها (جائزة الرواية 1958) و(القصة القصيرة وميدالية طه حسين الذهبية من نادي القصة 1959).

وجائزة (المجلس الأعلى للفنون والآداب 1960) (وجائزة مجمع اللغة العربية 1972)، (والميدالية الذهبية من الرئيس الباكستاني 1978).

الكيلاني في شعره لا يقل منزلة عن قصصه ورواياته، فهو شاعر "الأمل الطريد"، الذي يمتلك ناصية الإيقاع والإبداع عبر دواوينه الثمانية، التي تنطق بالفن الأصيل، ذي الضوابط والغايات، عبر اللفظة الموحية، والنغمة الربانية، والتلمس الراهف لقواعد الفن الجميل.

واستطاع الكيلاني – رحمة الله ، أن يوظف كثيرًا من آليات الفن القصصي في شعره، فاستخدم الرمز والقناع والحوار والسرد والتعبير المتلاحق، والارتداد والمفارقة، واللقطات المقتطعة من خلال الأشكال والمضامين التعبيرية المتفردة.

وكانت آخر إبداعاته الروائية ملكة العنب، واعترافات عبد المتجلي وحكاية جاد الله، وقبل رحيله ترك ثلاثين فكرة لثلاثين رواية إسلامية، ودونها في مفكرة صغيرة عن مشكلات المجتمع المسلم.

في أيام الرحيل أبدع مسرحية "حبيبتي سرايبفو" التي لم ينتبه إليها القرّاء والنقّاد وقتها، وكانت تعالج الأوضاع المأساوية في البوسنة والهرسك، وتقدم الأمل من خلال رسالة التبشير والتطهير التي يحملها الفن الإسلامي.

تحول الكثير من أعماله الروائية إلى أعمال فنية، حيث فاز فيلم ليل وقضبان عن روايته ليل العبيد بالجائزة الأولى لمهرجان طشقند السينمائي عام 1964.

كما تحولت رواية الليل الموعود إلى مسلسل إذاعي وتليفزيوني إنتاج مصري ليبي مشترك قدّم في شهر رمضان باسم (ياقوتة ملحمة الحب والسلام) عام 1973.

وترجمت الكثير من أعماله إلى اللغات الإنجليزية والفرنسية والتركية والروسية والأردية والفارسية والصينية والإندونيسية والإيطالية والسويدية.

وكتبت عنه الكثير من الدراسات، منها الواقعية الإسلامية في روايات نجيب الكيلاني، تأليف: حلمي محمد القاعود.

ودراسة الترابط النصي في رواية النداء الخالد لنجيب الكيلاني، تأليف عيدة العمري.

وقد توفي الدكتور نجيب الكيلاني عن 64 عاما في 2 شوال 1415 هـ الموافق 7 مارس عام 1995.

(٩) الشيخ رفاعة رافع الطهطاوي

رفاعة رافع الطهطاوي، بدأ حياته معلماً ومربياً بالفطرة، حيث كان شيخًا يتحلق حوله طلبة الأزهر، وأنهى حياته معلمًا للأمة.

فرفاعة لا يرى سبيلا لتقدم الأمة إلا بعلم يتاح لكل الناس لا فرق فيه بين غني وفقير أو ذكر وأنثى، وبذل من نفسه ما بذل من جهد لتحقيق هذا الغرض، فوضع الكتب والمؤلفات التي تعين على ذلك.

ذهب إلى فرنسا في البعثة التي أرسلها محمد علي لتلقي العلوم الحديثة، فلم تقعد به همته عند حدود وظيفته التي كلف بها، بل سعى من أول لحظة إلى أن يقف على حضارة الغرب وثقافته، وبدأ في تعلم الفرنسية وهو على ظهر السفينة التي تقل البعثة إلى باريس.

وما فعله هذا الشيخ كان وليد قرار قد اتخذه في نفسه من قبل، بفعل اتصاله بالشيخ حسن العطار الذي تتلمذ عليه وسمع منه عن علوم الفرنسيين الواسعة وفنونهم.

لم تكن مثل هذه الفرصة تفوت على رفاعة الطهطاوي الشغوف بالمعرفة، المحب للإصلاح، الراغب في الجديد، الداعي إلى الإحياء والتجديد، فانكب على الدرس والتحصيل والقراءة والترجمة.

وتحول الإمام الفقيه إلى دارس يتعلم ويبحث، وغدا إمام البعثة أنجب المبعوثين.

ولما رجع إلى الوطن أدرك ما يحتاجه النهوض فتبنى حركة الترجمة المنظمة، وأنشأ مدرسة الألسن، وبعث حياة جديدة في التعليم والصحافة.

ولد رفاعة رافع الطهطاوي في السابع من جمادى الثانية سنة 1216هـ الموافق 15 أكتوبر سنة 1801م في مدينة طهطا، في محافظة سوهاج بصعيد مصر.

ونشأ في أسرة كريمة الأصل شريفة النسب، فأبوه ينتهي نسبه إلى الحسين بن علي بن أبي طالب، وأمه فاطمة بنت الشيخ أحمد الفرغلي، ينتهي نسبها إلى قبيلة الخزرج الأنصارية.

وقد لقي رفاعة عناية من أبيه، على الرغم من تنقله بين عدة بلاد في صعيد مصر، فحفظ القرآن الكريم، ثم رجع إلى موطنه طهطا بعد أن توفي والده.

ووجد من أسرة أخواله اهتماما كبيرا حيث كانت زاخرة بالشيوخ والعلماء فحفظ على أيديهم المتون التي كانت متداولة في ذلك العصر، وقرأ عليهم شيئا من الفقه والنحو.

ولما بلغ رفاعة السادسة عشرة من عمره التحق بالأزهر وذلك في سنة 1817م، متسلحا بما سبق أن تعلمه على يد أخواله، الأمر الذي ساعده على مواصلة الدراسة مع زملائه الذين سبقوه في الالتحاق بالأزهر.

وشملت دراسته في الأزهر الحديث والفقه والتفسير والنحو والصرف وغير ذلك.

وتتلمذ على يد عدد من علماء الأزهر العظام، وكان من بينهم من تولى مشيخة الجامع الأزهر، مثل الشيخ حسن القويسني، وإبراهيم البيجوري، وحسن العطار، وكان هذا الأخير ممن وثق الطهطاوي صلته به ولازمه وتأثر به.

وكان لرفاعة الطهطاوي امتياز خاص عند أستاذه الشيخ العطار إذ كان يلازمه في غير الدروس ليتلقى عنه علوماً أخرى كالتاريخ والجغرافيا والأدب، وكان يشترك معه في الاطلاع على الكتب الغربية التي لم تتداولها أيدي علماء الأزهر.

وبعد أن أمضى رفاعة في الأزهر عدة سنوات، جلس للتدريس فيه سنة 1821م وهو في الحادية والعشرين من عمره، والتف حوله الطلبة يتلقون عنه علوم المنطق والحديث والبلاغة والعروض.

وكانت له طريقة آسرة في الشرح جعلت الطلبة يتعلقون به ويقبلون على درسه، ثم ترك التدريس بعد عامين والتحق بالجيش المصري النظامي الذي أنشأه محمد علي إماما وواعظا لإحدى فرقه، واستفاد من هذه الفترة الدقة والنظام، واستمر في هذا العمل حتى سنة 1826، سنة إيفاده ببعثة علمية كبيرة إلى باريس.

في سنة 1826م قررت الحكومة المصرية إيفاد بعثة علمية كبيرة إلى فرنسا لدراسة العلوم والمعارف الإنسانية، في الإدارة والهندسة الحربية، والكيمياء، والطب البشري والبيطري، وعلوم البحرية، والزراعة والعمارة والمعادن والتاريخ الطبيعي.

وبالإضافة إلى هذه التخصصات يدرسون جميعا اللغة والحساب والرسم والتاريخ والجغرافيا.

وتنوع تخصصات هذه البعثة يشير إلى عزم الوالي محمد علي النهوض بمصر والدفع بها إلى مصاف الدول المتقدمة، والوقوف على الحضارة الأوروبية الحديثة.

وحرصا على أعضاء البعثة من الذوبان في المجتمع الغربي قرر محمد علي أن يصحبهم ثلاثة من علماء الأزهر الشريف لإمامتهم في الصلاة ووعظهم وإرشادهم.

وكان رفاعة الطهطاوي واحدا من هؤلاء الثلاثة، وقد رشحه لذلك شيخه حسن العطار.

وما إن تحركت السفينة التي تحمل أعضاء البعثة حتى بدأ الطهطاوي في تعلم الفرنسية في جدية ظاهرة، وكأنه يعد نفسه ليكون ضمن أعضاء البعثة لا أن يكون مرشدها وإمامها فحسب.

ثم استكمل تعلم الفرنسية بعدما نزلت البعثة باريس؛ حيث استأجر لنفسه معلما خاصًا يعطيه دروساً في الفرنسية نظير بضعة فرنكات كان يستقطعها من مصروفه الشخصي الذي كانت تقدمه له إدارة البعثة.

وأخذ يشتري كتبًا خاصة إضافية غير مدرجة في البرنامج الدراسي، وانهمك في قراءتها.

ومن شدة حرصه على مداومة القراءة والدرس تأثرت عينه اليسرى، ونصحه الطبيب بعدم الاطلاع ليلاً، لكنه لم يستجب لنصحه، واستمر في إشباع نهمه للمعرفة.

وأمام هذه الرغبة الجامحة في التعلم قررت الحكومة المصرية ضم رفاعة إلى بعثتها التعليمية، وأن يتخصص في الترجمة؛ لتفوقه على زملائه في اللغة العربية والثقافة الأزهرية.

وقد لقي الفتى الذكي عناية ظاهرة من العالم الفرنسي جومار الذي عهد إليه محمد علي بالإشراف العلمي على البعثة، ومن المستشرق الفرنسي الكبير دي ساسي.

واجتاز كل الامتحانات التي عقدت له بنجاح باهر، وبعد سنوات خمس حافلة ، أدى رفاعة امتحان الترجمة، وقدّم مخطوطة كتابه الذى نال بعد ذلك شهرة واسعة : تَخْلِيصُ الإِبْرِيزِ في تَلْخِيصِ بَارِيز.

في سنة 1832م عاد الطهطاوي إلى مصر من بعثته وكانت قد سبقته إلى محمد علي تقارير أساتذته في فرنسا تحكي تفوقه وامتيازه وتعلق عليه الآمال في مجال الترجمة.

وكانت أولى الوظائف التي تولاها بعد عودته من باريس، وظيفة مترجم بمدرسة الطب، فكان أول مصري يعين في مثل هذا العمل.

وفي سنة 1833 م انتقل رفاعة الطهطاوي من مدرسة الطب إلى مدرسة الطوبجية (المدفعية) بمنطقة (طره) إحدى ضواحي القاهرة كي يعمل مترجماً للعلوم الهندسية والفنون العسكرية.

ويعتبر الطهطاوي أول من أنشأ متحفاً للآثار في تاريخ مصر، بالإضافة إلى إنشائه صحيفة أخبار في الديار المصرية حيث قام بتغيير شكل جريدة

(الوقائع المصرية) التي صدر عددها الأول في 3 ديسمبر 1828م أي عندما كان الطهطاوي في باريس.

لكنه لما عاد تولى الإشراف عليها سنة 1842م وكانت تصدر باللغتين العربية والتركية حيث جعل الأخبار المصرية المادة الأساسية بدلاً من التركية.

ويعتبر الطهطاوي أول من أحيا المقال السياسي عبر افتتاحيته في جريدة الوقائع، وأصبح للجريدة في عهده محررون من الكتاب كان من أبرزهم أحمد فارس الشدياق، والسيد شهاب الدين.

وفى هذه الفترة تجلى المشروع الثقافي الكبير لرفاعة الطهطاوي؛ ووضع الأساس لحركة النهضة التي صارت في يومنا هذا، بعد عشرات السنين إشكالاً نصوغه، ونختلف حوله يسمى الأصالة أم المعاصرة !

كان رفاعة أصيلاً ومعاصراً من دون إشكالٍ ولا اختلاف ، ففي الوقت الذى ترجم فيه متون الفلسفة والتاريخ الغربي، ونصوص العلم الأوروبي المتقدِّم؛ نراه يبدأ في جمع الآثار المصرية القديمة ويستصدر أمراً لصيانتها ومنعها من التهريب والضياع.

وظل جهد رفاعة يتنامى؛ ترجمةً، وتخطيطاً، وإشرافاً على التعليم والصحافة.. فأنشأ أقساماً متخصِّصة للترجمة وأنشأ مدرسة المحاسبة لدراسة الاقتصاد، ومدرسة الإدارة لدراسة العلوم السياسية.

وكانت من ضمن مفاخره استصدار قرار تدريس العلوم والمعارف باللغة العربية (وهي العلوم والمعارف التي تدرّس اليوم في بلادنا باللغات الأجنبية).

وإصدار جريدة الوقائع المصرية بالعربية بدلاً من التركية؛ هذا إلى جانب عشرين كتاباً من ترجمته، وعشرات غيرها أشرف على ترجمتها.

وكان رفاعة الطهطاوي يأمل في إنشاء مدرسة عليا لتعليم اللغات الأجنبية، وإعداد طبقة من المترجمين يقومون بترجمة ما تنتفع به الدولة من كتب الغرب.

وتقدم باقتراحه إلى محمد علي ونجح في إقناعه بإنشاء مدرسة للمترجمين عرفت بمدرسة الألسن، مدة الدراسة بها خمس سنوات، وقد تزاد إلى ست.

وافتتحت المدرسة بالقاهرة سنة 1835م، وتولى رفاعة الطهطاوي نظارتها، وكانت تضم في أول أمرها فصولاً لتدريس اللغة الفرنسية والإنجليزية والإيطالية والتركية والفارسية، إلى جانب الهندسة والجبر والتاريخ والجغرافيا والشريعة الإسلامية.

لقد بذل رفاعة جهدًا عظيمًا في إدارته للمدرسة، وكان يعمل فيها عمل أصحاب الرسالات ولا يتقيد بالمواعيد المحددة للدراسة، وربما استمر في درسه ثلاث ساعات أو أربعا دون توقف واقفاً على قدميه دون ملل أو تعب يشرح لهم الأدب والشرائع الإسلامية والغربية.

وقد تخرجت الدفعة الأولى في المدرسة سنة 1839م وكان عددها عشرين خريجًا، وكانت مترجمات هؤلاء الخريجين قد طبعت أو في طريقها إلى الطبع.

وقد اتسعت مدرسة الألسن، فضمت قسماً لدراسة الإدارة الملكية العمومية سنة 1844م، لإعداد الموظفين اللازمين للعمل بالإدارة الحكومية، وقسمًا آخر لدراسة الإدارة الزراعية الخصوصية بعد ذلك بعامين.

كما ضمت قسمًا أنشئ سنة 1847م لدراسة الشريعة الإسلامية على مذهب أبي حنيفة النعمان لإعداد القضاة، وأصبحت بذلك مدرسة الألسن أشبه ما تكون بجامعة تضم كليات الآداب والحقوق والتجارة.

وكان رفاعة الطهطاوي يقوم إلى جانب إدارته الفنية للمدرسة باختيار الكتب التي يترجمها تلاميذ المدرسة، ومراجعتها وإصلاح ترجمتها، لكن حصل ما لم يكن في الحسبان.

خمسة عشر عاماً، كانت المدرسة خلالها مشعلاً للعلم، ومنارة للمعرفة، ومكانًا لالتقاء الثقافتين العربية والغربية.

إلى أن عصفت بها يد الحاكم الجديد عباس الأول، الذي قام بإغلاقها لعدم رضاه عن سياسة جده محمد علي وعمه إبراهيم باشا وذلك في سنة 1849م.

ولم يكتف بذلك بل أمر بإرسال رفاعة إلى السودان بحجة توليه نظارة مدرسة ابتدائية يقوم بإنشائها هناك.

وتلقى رفاعة الأمر بجلد وصبر، وذهب إلى هناك، وظل فترة دون عمل استغلها في ترجمة رواية فرنسية شهيرة بعنوان "مغامرات تلماك".

ثم قام بإنشاء المدرسة الابتدائية، وكان عدد المنتظمين بها نحو أربعين تلميذاً، ولم يستنكف المربي الكبير أن يدير هذه المدرسة الصغيرة، ويتعهد نجباءها برعاية خاصة.

وبعد وفاة عباس الأول سنة 1854م عاد الطهطاوي إلى القاهرة، وأسندت إليه في عهد الوالي الجديد "سعيد باشا" عدة مناصب تربوية.

فتولى نظارة المدرسة الحربية التي أنشأها سعيد لتخريج ضباط أركان حرب الجيش سنة 1856م.

وقد عنى بها الطهطاوي عناية خاصة، وجعل دراسة اللغة العربية بها إجبارية على جميع الطلبة.

وأعطى لهم حرية اختيار أجدى اللغتين الشرقيتين: التركية أو الفارسية، وإحدى اللغات الأوربية: الإنجليزية أو الفرنسية أو الألمانية.

ثم أنشأ بها فرقة خاصة لدراسة المحاسبة، وقلمًا للترجمة برئاسة تلميذه وكاتب سيرته صالح مجدي، وأصبحت المدرسة الحربية قريبة الشبه بما كانت عليه مدرسة الألسن.

ولم يكتف رفاعة بهذه الأعمال العظيمة، فسعى إلى إنجاز أول مشروع لإحياء التراث العربي الإسلامي، ونجح في إقناع الحكومة بطبع عدة كتب من عيون التراث العربي على نفقتها.

مثل تفسير القرآن للفخر الرازي المعروف بمفاتيح الغيب، ومعاهد التنصيص على شواهد التلخيص في البلاغة، وخزانة الأدب للبغدادي، ومقامات الحريري، وغير ذلك من الكتب التي كانت نادرة الوجود في ذلك الوقت.

غير أن هذا النشاط الدؤوب تعرض للتوقف سنة 1861م حيث خرج رفاعة من الخدمة، وألغيت مدرسة أركان الحرب، وظل عاطلاً عن العمل حتى تولى الخديوي إسماعيل الحكم سنة 1863م.

فعاد رفاعة إلى ما كان عليه من عمل ونشاط على الرغم من تقدمه في السن، واقتحم مجالات التربية والتعليم بروح عالية يحاول أن يأخذ بيد أمته إلى مدارج الرقي والتقدم.

فأشرف على تدريس اللغة العربية بالمدارس، واختيار مدرسيها وتوجيههم، والكتب الدراسية المقررة، ورئاسة كثير من لجان امتحانات المدارس.

ومن أبرز الأعمال التي قام بها رفاعة في عهد الخديوي إسماعيل نظارته لقلم الترجمة الذي أنشئ سنة 1863م لترجمة القوانين الفرنسية.

ولم يكن هناك من أساطين المترجمين سوى تلاميذ الطهطاوي من خريجي مدرسة الألسن، فاستعان بهم في قلم الترجمة، ومن هؤلاء: عبد الله السيد وصالح مجدي ومحمد قدري.

وكان مقر قلم الترجمة حجرة واحدة بديوان المدارس، ولم يحل ذلك دون إنجاز أعظم الأعمال، فترجموا القانون الفرنسي في عدة مجلدات وطبع في مطبعة بولاق.

ولم تكن هذه المهمة يسيرة، إذ كانت تتطلب إلمامًا واسعًا بالقوانين الفرنسية وبأحكام الشريعة الإسلامية، لاختيار المصطلحات الفقهية المطابقة لمثيلاتها في القانون الفرنسي.

وحين عهد إلى الطهطاوي إصدار مجلة روضة المدارس، سنة 1870م جعل منها منارة لتعليم الأمة ونشر الثقافة بين أبنائها.

فقد نظمها أقسامًا، وجعل على رأس كل قسم واحدًا من كبار العلماء من أمثال عبد الله فكري الأديب الكبير، وإسماعيل الفلكي العالم الرياضي والفلكي، ومحمد باشا قدري القانوني الضليع، وصالح مجدي، والشيخ حسونة النواوي الفقيه الحنفي المعروف، وغيرهم.

وكانت المجلة تنشر مقالات تاريخية وجغرافية واجتماعية وصحية وأدبية وقصصاً وأشعاراً، كما كانت تنشر ملخصًا لكثير من الدروس التي كانت تلقى بمدرسة "دار العلوم". واعتادت المجلة أن تلحق بأعدادها كتبًا أُلفت لها على أجزاء توزع مع كل عدد من أعدادها بحيث تكون في النهاية كتابًا مستقلاً.

فنشرت كتاب "آثار الأفكار ومنثور الأزهار" لعبد الله فكري، و"حقائق الأخبار في أوصاف البحار" لعلي مبارك، و"الصحة التامة والمنحة العامة" للدكتور محمد بدر، و"القول السديد في الاجتهاد والتجديد" للطهطاوي.

وعلى الرغم من كثرة المسؤوليات التي تحملها رفاعة وأخذت من وقته الكثير، فإنه لم ينقطع عن الترجمة والتأليف فيما يعود بالنفع على الأمة، ولم يقض وقته إلا فيما فيه فائدة.

وقد وصفه تلميذه صالح مجدي بأنه "قليل النوم، كثير الانهماك على التأليف والتراجم". وقد بدأ رفاعة إنتاجه الفكري منذ أن كان مبعوثًا في فرنسا، ومن أهم كتبه: (مناهج الألباب المصرية في مباهج الآداب العصرية) و(المرشد الأمين في تربية البنات والبنين) و(أنوار توفيق الجليل في أخبار مصر وتوثيق بني إسماعيل) و(نهاية الإيجاز في سيرة ساكن الحجاز) وهو آخر كتاب ألفه الطهطاوي، وسلك فيه مسلكاً جديداً في تأليف السيرة النبوية تبعه فيه المحدثون.

أما الكتب التي قام بترجمتها فهي تزيد عن خمسة وعشرين كتابًا، وذلك غير ما أشرف عليه من الترجمات وما راجعه وصححه وهذبه.

ومن أعظم ما قدمه الرجل تلاميذه النوابغ الذين حملوا مصر في نهضتها الحديثة، وقدموا للأمة أكثر من ألفي كتاب خلال أقل من أربعين عامًا، ما بين مؤلف ومترجم.

وكان رفاعة قد بلغ فوق السبعين من العمر حين ولي أمر مجلة الروضة، لكنه ظل مشتعل الذكاء وقاد الفكر، لم تنل الشيخوخة من عزيمته، فظل يكتب فيها مباحث ومقالات حتى توفي في (1 من ربيع الآخر 1290هـ الموافق 27 من مايو 1873م).

(١٠) الأديب توفيق الحكيم

الأديب توفيق الحكيم، أديب مسرحي، برع في كتابة القصص المسرحية.

فهو يعتبر واحداً من أكثر الكتّاب نتاجاً، وقد تنوعت مؤلفاته ما بين القصة، والمقالة، والسيرة الذاتية والمسرح الذي توزعت أعماله فيه على المسرح الاجتماعي، والمسرح الذهني، والمرتكز إلى الفكر الفلسفي.

ونظرا إلى تنوع كتاباته، وعمق طروحاته الفكرية، سنركز أكثر على الجانب المسرحي، وذلك من خلال مسرحياته، في محاولة لتسليط الضوء على ما ورد فيها من أجل استنباط خصائصها وميزاتها العامة.

فالحكيم أحد الرواد القلائل للرواية العربية والكتابة المسرحية في العصر الحديث؛ فهو إحدى العلامات البارزة في الحياة الأدبية والفكرية والثقافية في العالم العربي.

وقد امتد تأثيره لأجيال كثيرة متعاقبة من الأدباء والمبدعين، وهو أيضا رائد للمسرح الذهني ومؤسس هذا الفن المسرحي.

وهو ما جعله يعد واحدا من المؤسسين الحقيقيين لفن الكتابة المسرحية، ليس على مستوى الوطن العربي فحسب إنما أيضا على المستوى العالمي.

ولد توفيق إسماعيل الحكيم بضاحية الرمل بمدينة الإسكندرية عام 1898م لأب من أصل ريفي وأم من أصل تركي وكانت ابنة لأحد الضباط الأتراك المتقاعدين، وترجع جذوره إلى محافظة البحيرة.

عاش توفيق الحكيم في جو مترف، حيث حرصت أمه على أن يأخذ الطابع الأرستقراطي، وقد سعت منذ اللحظة الأولى إلى أن تكون حياة بيتها مصطبغة باللون التركي، وساعدها على ذلك زوجها.

في هذا الجو المترف نشأ توفيق الحكيم، وتعلقت نفسه بالفنون الجميلة وخاصة الموسيقى، وكان قريبا إلى العزلة؛ فأحب القراءة وخاصة الأدب والشعر والتاريخ.

وعاش الحكيم أيام طفولته في البحيرة، وعندما بلغ السابعة عشرة من عمره التحق بمدرسة دمنهور الابتدائية حتى انتهى من تعليمه الابتدائي سنة 1915م.

وقرر والده أن يلحقه بالمدرسة الثانية ولم تكن في منطقته مدرسة ثانوية؛ فرأى أن يوفد إلى أعمامه بالقاهرة ليلتحق بالمدرسة الثانوية.

وقد عارضت والدته في البداية، ولكنها ما لبثت أن كفت عن معارضتها بعد حين.

انتقل الحكيم ليعيش مع أعمامه في القاهرة والتحق بمدرسة محمد علي الثانوية، وفي تلك الفترة اشتعلت شرارة الثورة الشعبية المصرية سنة 1919م فشارك الحكيم وأعمامه مع جموع المصريين في تلك الثورة؛ فقبض عليهم واعتقلوا بالقلعة بتهمة التآمر على الحكم.

وعندما علم أبوه بالخبر أسرع إلى القاهرة وسعى بأمواله وعلاقاته أن يفرج عن ابنه وإخوته، ولكن السلطات العسكرية لم تتساهل ومانعت بشدة الإفراج عن أي من المعتقلين، إلا أنه استطاع بعد جهد كبير أن ينقلهم من معسكر الاعتقال بالقلعة إلى المستشفى العسكري.

وبعد أن هدأت الأحداث بدأت السلطات العسكرية تفرج عن المعتقلين، وكان الحكيم وأعمامه أول من أفرج عنهم فخرج من المعتقل، وقد تركت الحادثة أثرا قويا في نفسه بالنقمة على المستعمرين وشعورا دافقا بالوطنية والوعي التحرري.

وعاد الحكيم في سنة 1920م إلى دراسته؛ وقد حصل بعد ذلك على إجازة البكالوريا سنة (1921م).

وبرغم ميل الحكيم إلى دراسة الفنون والآداب إلا أنه التحق بمدرسة الحقوق نزولا عند رغبة أبيه، وتخرج منها سنة 1925، وخلال سنوات دراسته بالجامعة أخرج الحكيم عدة مسرحيات.

فلما أنهى دراسته في كلية الحقوق قرر السفر إلى فرنسا لاستكمال دراساته العليا في القانون، ولكنه هناك انصرف عن دراسة القانون، واتجه

إلى الأدب المسرحي والقصص، وتردد على المسارح الفرنسية ودار الأوبرا.

عاشق توفيق الحكيم في فرنسا نحو ثلاثة أعوام حتى أواسط عام (1934م) كتب خلالها مسرحية بعنوان "أمام شباك التذاكر".

ثم عاد إلى مصر ليلتحق بسلك القضاء في وظيفة وكيل نيابة.

وتنقل بحكم وظيفته بين مدن مصر وقراها، وكتب خلال هذه الفترة التي استمرت إلى عام 1934م يومياته الشهيرة "يوميات نائب في الأرياف".

وكذلك عددا من المسرحيات مثل مسرحية "أهل الكهف" و"شهرزاد" و"أهل الفن"، وعددا آخر من القصص مثل "عودة الروح" و" عصفور من الشرق" و"القصر المسحور".

ازداد تألق الحكيم، واشتهر ككاتب مسرحي بعد النجاح الذي حققته مسرحية "أهل الكهف" التي نشرت عام (1933م)، التي مزج فيها بين الرمزية والواقعية على نحو فريد يتميز بالخيال والعمق دون تعقيد أو غموض.

وأصبح هذا الاتجاه هو الذي يكّون مسرحيات الحكيم بذلك لأسلوب المتميز الذي عرف به.

ويتميز الرمز في أدب توفيق الحكيم بالوضوح وعدم المبالغة في الإغلاق أو الإغراق في الغموض.

فيجمع بين الواقعية والرمزية معا على نحو جديد، وتتخلى مقدرة الحكيم الفنية في قدرته الفائقة على الإبداع وابتكار الشخصيات وتوظيف الأسطورة والتاريخ على نحو يتميز بالبراعة والإتقان.

ويكشف عن مهارة تمرس وحسن اختيار للقالب الفني الذي يصب فيه إبداعه، سواء في القصة أو المسرحية.

بالإضافة إلى تنوع مستويات الحوار لديه بما يناسب كل شخصية من شخصياته، ويتفق مع مستواها الفكري والاجتماعي؛ وهو ما يشهد بتمكنه ووعيه.

ويمتاز أسلوب توفيق الحكيم بالدقة والتكثيف الشديد وحشد المعاني والدلالات والقدرة الفائقة على التصوير؛ فهو يصف في جمل قليلة ما قد لا

يبلغه غيره في صفحات طوال، سواء كان ذلك في رواياته أو مسرحياته.

يعتني الحكيم عناية فائقة بدقة تصوير المشاهد، وحيوية تجسيد الحركة، ووصف الشعورية والانفعالات النفسية بعمق وإيحاء شديدين.

وقد مرت كتابات الحكيم بثلاث مراحل حتى بلغ مرحلة النضج، فالمرحلة الأولى وهي التي شهدت الفترة الأولى من تجربته في الكتابة، كانت عباراته فيها لا تزال ضعيفة.

فاتسمت بشيء من الاضطراب حتى إنها لتبدو أحيانا فضفاضة إلى حد كبير، ومن ثم فقد لجأ فيها إلى اقتباس كثير من التعبيرات السائرة لأداء المعاني التي تجول في ذهنه، وهو ما جعل أسلوبه يشوبه القصور وعدم النضج وفي هذه المرحلة كتب مسرحية أهل الكهف، وقصة عصفور من الشرق، وعودة الروح.

أما المرحلة الثانية فقد حاول فيها العمل على مطاوعة الألفاظ للمعاني، وإيجاد التطابق بين المعاني في عالمها الذهني والمجرد والألفاظ التي تعبر عنها من اللغة.

وفي المرحلة الثالثة وهي مرحلة تطور الكتابة الفنية عند الحكيم التي تعكس قدرته على صوغ الأفكار والمعاني بصورة جيدة وخلال هذه المرحلة ظهرت مسرحياته: "سر المنتحرة" و"نهر الجنون" و"سلطان الظلام"، و"بجماليون".

وبالرغم من الإنتاج المسرحي الغزير للحكيم، الذي يجعله في مقدمة كتاب المسرح العرب وفي صدارة رواده، فإنه لم يكتب إلا عددا قليلا من المسرحيات التي يمكن تمثيلها على خشبة المسرح ليشاهدها الجمهور.

وإنما كانت معظم مسرحياته من النوع الذي يمكن أن يطلق عليه "المسرح الذهني".

الذي كتب ليُقرأ فيكتشف القارئ من خلاله عالما من الدلائل والرموز التي يمكن إسقاطها على الواقع في سهولة ويسر؛ لتسهم في تقديم رؤية نقدية للحياة والمجتمع تتسم بقدر كبير من العمق والوعي.

توفيق الحكيم يحرص على تأكيد تلك الحقيقة في العديد من كتاباته، ويفسر صعوبة تجسيد مسرحياته وتمثيلها على خشبة المسرح؛ فيقول.

"إلى اليوم أقيم مسرحي داخل الذهن، وأجعل الممثلين أفكارا تتحرك في المطلق من المعاني مرتدية أثواب الرموز... لهذا اتسعت الهوة بيني وبين خشبة المسرح، ولم أجد قنطرة تنقل مثل هذه الأعمال إلى الناس غير المطبعة".

لا ترجع أهمية توفيق الحكيم إلى كونه صاحب أول مسرحية عربية ناضجة بالمعيار النقدي الحديث فحسب، وهي مسرحية "أهل الكهف"، وصاحب أول رواية بذلك المعنى المفهوم للرواية الحديثة وهي رواية "عودة الروح"، وهما اللتان نشرتا عام 1932م وإنما ترجع أهميته أيضا إلى كونه أول مؤلف إبداعي استلهم في أعماله المسرحية والروائية مواضيع مستمدة من التراث المصري.

وقد استلهم هذا التراث عبر عصوره المختلفة، سواء كانت فرعونية أو رومانية أو قبطية أو إسلامية، كما أنه استمد أيضا شخصياته وقضاياه المسرحية والرومانية من الواقع الاجتماعي والسياسي والثقافي المعاصر لأمته.

سنتحدث عن أنماط أعماله المسرحية التي تركزت في المسرح الذهني (مسرح الأفكار والعقل) حيث كتب الحكيم الكثير من المسرحيات الذهنية ومن أشهرها، مسرحية أهل الكهف ونشرت عام 1933، كما ذكرنا في الحلقة الماضية.

وتعتبر هذه المسرحية الذهنية من أشهر مسرحيات الحكيم على الإطلاق.

وقد لاقت نجاحاً كبيراً وطبعت هذه المسرحية مرتين في عامها الأول كما ترجمت إلى الفرنسية والإيطالية والإنجليزية وهذا أكبر دليل على شهرتها.

كما أن المسرح القومي قد افتتح بها نشاطه المسرحي؛ فكانت أول العروض المسرحية المعروضة فيه، وكان ذلك عام 1935 وقد أخرجها الفنان الكبير زكي طليمات.

ولكن للأسف كان الفشل حليفها، وُصدم الجميع بذلك حتى توفيق الحكيم نفسه الذي عزا السببٍ في ذلك إلى أنها كتبت فكرياً ومخاطبة للذهن ولا يصلح أن تعرض عملياً.

إن محور هذه المسرحية يدور حول صراع الإنسان مع الزمن، وهذا الصراع بين الإنسان والزمن يتمثل في ثلاثة من البشر يبعثون إلى حياة بعد نوم يستغرق أكثر من ثلاثة قرون ليجدوا أنفسهم في زمن غير الزمن الذي عاشوا فيه من قبل.

وكان لكل منهم علاقات اجتماعية تربطهم بالناس والحياة، تلك العلاقات والصلات التي كان كل منهم يرى فيها معنى حياته وجوهرها.

وفي حينها وعندما يستيقظون مرة أخرى يسعى كل منهم ليعيش ويجرد هذه العلاقة الحياتية، لكنهم سرعان ما يدركون أن هذه العلاقات قد انقضت بمضي الزمن.

الأمر الذي يحملهم على الإحساسِ بالوحدة والغربة في عالم جديد لم يعد عالمهم القديم وبالتالي يفرون سريعاً إلى كهفهم مؤثرين موتهم على حياتهم.

مسرحية بيجماليون التي نشرت عام 1942، من المسرحيات الذهنية الشهيرة للحكيم، واعتمد فيها على الأساطير، وخاصة أساطير الإغريق القديمة.

والأساطير إدراك رمزي لحقائق الحياة الإنسانية التي قد تكون قاسية.

وهدفها خلق نوع من الانسجام بين الحقائق الإنسانية حتى تستطيع أن تستجمع إرادتنا وتوحد قوانا ويتزن كياننا المضطرب.

وحسب هذا المفهوم استغل الحكيم الأساطير وخاصة اليونانية، فكتب عدة مسرحيات أحداثها مستوحاة من التراث الإغريقي الأسطوري ومنها: بيجماليون والملك أوديب.

ولكنه بث في هذه المسرحيات أفكاره ورؤيته الخاصة في الموضوع الذي تتحدث عنه كل مسرحية.

لم تتجل الموهبة العبقرية للحكيم كما تجلت في مسرحيته "محمد" وهي أطول مسرحياته بل أطول مسرحية عربية.

وربما بسبب طولها فإنه من الصعب وضعها على المسرح، وقد استقى الحكيم مادتها من المراجع الدينية المعروفة. والمسرحية بمنزلة سيرة للرسول عليه الصلاة والسلام، إذ إنها تشمل فقرات من حياة الرسول صلى الله عليه وسلم تغطي أهم جوانب تلك الحياة.

وهناك الكثير غير هذه المسرحيات التي كتبها الحكيم، ومن أشهر مسرحياته: "شهرزاد وسليمان الحكيم وإيزيس والسلطان الحائر".

أما مسرح اللامعقول الذي يقول عنه الحكيم:

إن اللامعقول عندي ليس هو ما يسمى بالعبث في المذاهب الأوربية، ولكنه استكشاف لما في فننا وتفكيرنا الشعبي من تلاحم المعقول في اللامعقول.

ولم يكن للتيارات الأوربية الحديثة إلا مجرد التشجيع على ارتياد هذه المنابع فنياً دون خشية من سيطرة التفكير المنطقي الكلاسيكي الذي كان يحكم الفنون العالمية في العصور المختلفة..

فما إن وجدنا تيارات ومذاهب تتحرر اليوم من ذلك حتى شعرنا أننا أحق من غيرنا بالبحث عن هذه التيارات في أنفسنا، لأنها عندنا أقدم وأعمق وأشد ارتباطاً بشخصياتنا.

ولقد كتب الحكيم في هذا المجال العديد من المسرحيات ومن أشهرها، مسرحية الطعام لكل فم.

وهي مزيج من الواقعية والرمزية، ويدعو الحكيم في هذه المسرحية إلى حل مشكلة الجوع في العالم عن طريق التفكير في مشروعات عملية خيالية لتوفير الطعام للجميع.

أما مسرحية "نهر الجنون" وهي مسرحية من فصل واحد، فتتضح فيها أيضاً رمزية الحكيم وفيها يعيد علينا ذكر أسطورة قديمة عن ملك شرب جميع رعاياه من نهر - كما رأى الملك في منامه - كان مصدراً لجنون جميع الذين شربوا من مائه.

ثم يعزف الملك هو ورفيق له عن الشرب، وتتطور الأحداث حتى يصدق رعاياهم فعلاً أن هذين الاثنين اللذين لم يشربا مثلهم - بما فيهما من اختلاف عنهم - لابد أنهما هما المجنونان.

وعلى أثر ذلك فإن عليهما أن يشربا مثلهم، وهكذا فإننا نستطيع أن نشعر بصورة أكثر وضوحاً لاعتراض الحكيم ضد هذا القسر الذي يزاوله المجتمع على الإنسان فيجبره على الانسياق والتماثل.

وهناك العديد من المسرحيات الأخرى بطابع اللامعقول، ومن أهمها: رحلة إلى الغد ولو عرفت الشباب.

ففي المسرحية الأولى يسافر رجلان خمسمائة سنة في المستقبل وفي الثانية يسترد رجل مسن شبابه ويحاول هؤلاء جميعاً التكيف مع حياتهم الجديدة ولكنهم يخفقون.

ويخرج الحكيم من هذا بأن الزمن لا يقهر، والخلود لا ينال، ولأنهما أبعد من متناول أيدينا.

وإلى جوار فكرة الزمن يشير الحكيم إلى النتائج الخطيرة التي يمكن أن تنجم عن البحث العلمي والتقدم فيه.

جمع الحكيم بين المذاهب الأدبية المسرحية في كتاباته، حيث نلمس عنده المذهب الطبيعي والواقعي والرومانسي والرمزي.

كما أن نتيجة لثقافة الحكيم الواسعة واطلاعه على الثقافات والأجنبية أثناء إقامته في فرنسا فقد استطاع أن يستفيد من هذه الثقافات على مختلف أنواعها.

واستفاد كذلك من التراث الأسطوري لبعض هذه الثقافات، ورجع إلى الأدب العربي أيضاً لينهل من تراثه الضخم ويوظفه في مسرحياته.

استطاع الحكيم في أسلوبه أن يتفادى المونولوج المحلي الذي كان سمة من سبقه واستبدله بالحوار المشع والحبكة الواسعة.

كما تميزت مسرحيات الحكيم بجمال التعبير، إضافة إلى حيوية موضوعاتها، حيث تزخر مؤلفات الحكيم بالتناقض الأسلوبي.

فهي تلفت النظر لأول وهلة بما فيها من واقعية التفصيلات وعمق الرمزية الفلسفية بروحها والفكاهة وعمق شاعريتها وبنزعة حديثة مقترنة في كثير من الأحيان بنزعة كلاسيكية.

كذلك تظهر البيئة المصرية بوضوح في مسرحياته الاجتماعية حيث يسلط الضوء عليها من خلال قدرته البارعة في تصوير مشاكل المجتمع المصري في ذلك الوقت.

وقد ظهرت المرأة في مسرح توفيق الحكيم على صورتين متناقضتين، كان في أولاهما معادياً لها، بينما كان في الأخرى مناصراً و متعاطفاً معها

ونتيجة لاتصال الحكيم بالمسرح العربي فقد كتب عدة مسرحيات كانت مواضيعها شرقية ويدل على ذلك عناوينها مثل المرأة الجديدة والعريس وخاتم سليمان وعلي بابا.

ومما يؤخذ على المسرحيات الذهنية عند الحكيم مسألة خلق الشخصيات، فالشخصيات في مسرحه الذهني لا تبدو حية نابضة منفعلة بالصراع متأثرة ومؤثرة فيه.

في باريس عاصر الحكيم مرحلتين انتقاليتين مهمتين في تاريخ المسرح هناك.

ففي المرحلة الأولى عاصر الحكيم فيها مرحلة المسرح بعد الحرب العالمية الأولى عندما كانت (المسارح الشعبية) في الأحياء السكنية، أو (مسارح البوليفار) تقدم مسرحيات هنري باتاي، وهنري برنشتن، وشارل ميريه، ومسرحيات جورج فيدو الهزلية، وكانت هذه المسرحيات هي المصدر الذي يلجأ إليه الناقلون في مصر عن المسرح الغربي.

أما المرحلة الثانية فتتمثل في الحركة الثقافية الجديدة التي ظهرت شيئا فشيئا في فرنسا. وتعتمد على مسرحيات ابسن و براندللو وبرنارد شو وأندريه جيد وكوكتو وغيرهم.

وقد حاول الحكيم خلال إقامته في فرنسا التعرف على جميع المدارس الأدبية في باريس، إذ يقول الحكيم عن ذلك: إن اللامعقول والخوارق جزء لا يتجزأ من الحياة في الشرق.

وخلال إقامته فيها مدة ثلاث سنوات استطاع ان يطلع على فنون الأدب هناك وخاصة المسرح الذي كان شغله الشاغل.

فكان نهار أيامه يقضيه في الاطلاع والقراءة والدراسة، وفي الليالي كان يتردد على المسارح والمحافل الموسيقية قاضياً فيها وقته بين الاستفادة والتسلية.

وقد عرف الحكيم أن أوروبا بأكملها أسست مسرحها على أصول المسرح الإغريقي.

فقام بدراسة المسرح اليوناني القديم وقرأ المسرحيات اليونانية تراجيدية كانت أو كوميدية التي قام بكتابتها الشعراء المسرحيون اليونانيون.

كما اطلع على الأساطير والملاحم اليونانية العظيمة.

وانصرف الحكيم بعد ذلك إلى دراسة القصة الأوروبية ومضامينها الوطنية مما حدا به إلى كتابة قصة الشعب المصري، فكتب قصة عودة الروح بالفرنسية، ثم حولها فيما بعد إلى العربية ونشرها عام 1933.

وقد فاز توفيق الحكيم بعدة جوائز ومنها، قلادة الجمهورية عام 1957م، وجائزة الدولة التقديرية في الآداب عام 1960، وقلادة النيل عام 1975م، والدكتوراه الفخرية من أكاديمية الفنون عام 1975.

كما أطلق اسمه على فرقة (مسرح الحكيم) في عام 1964 حتى عام 1972، وعلى مسرح محمد فريد في عام 1987.

وخلال حياة الحكيم في مصر ظهرت لنا كتاباته أدبية كانت أو مسرحية أو مقالات أو غيرها. وترك لنا الكثير من الآثار الأدبية المتنوعة في أساليب كتاباتها.

وفي يوليو من عام 1987 غربت شمس من شموس الأدب العربي الحديث ورمز من رموز النهضة الفكرية العربية، شمس سيبقى بريقها حاضراً في العقلية العربية جيلاً وراء جيل من خلال ذلك الإرث الأدبي و المسرحي الذي أضافه للمكتبة العربية وبلغت مسرحياته نحو 100 مسرحية و62 كتاباً.

فقد رحل نائب الأرياف توفيق الحكيم عن عمر يزيد على الثمانين، بعد حياة حافلة بالعطاء عمادها الفكر وفلسفتها العقل و قوامها الذهن.

(11) الأديب أحمد محمد السقاف

الأديب أحمد محمد السقاف ولد في الكويت في نهاية عام 1919م بعد انتهاء الحرب العالمية الاولى، يرجع نسبه إلى الأسرة الهاشمية المنتشرة في كثير من الأقطار العربية في الوطن العربي في الكويت والسعودية واليمن والعراق ومصر.

بعد إتمام دراسته عين عام 1944 مدرسا للغة العربية في المدرسة المباركية، وكانت هذه هي المدرسة الرسمية الوحيدة في الكويت في تلك الفترة.

وفي عام 1950 عُين مديرا للمدرسة الشرقية.

وفي عام 1948 اصدر اول مجلة كويتية تصدر وتطبع بالكويت اسماها مجلة كاظمة.

ثم ترأس تحرير مجلة الإيمان بعد ذلك أنشأ النادي الثقافي القومي بالاشتراك مع نخبة من المثقفين وكانت مجلة الإيمان هي لسان حال النادي.

وفي منتصف الخمسينيات عندما أرادت الكويت أن تصدر مجلة ثقافية كبرى تم اختياره للسفر إلى القاهرة وغيرها من المدن الثقافية لانتقاء العاملين في تحريرها وكتابها فتعاقد مع الأديب الكبير الدكتور أحمد زكي ابو شادي ليرأس تحريرها، كما تعاقد مع بعض الكتاب والفنانين التشكيليين للعمل بالمجلة.

أما حياته السياسية او العمل السياسي في الدولة فقد بدأت في أوائل الستينيات حيث عين وكيلا لوزارة الإرشاد والإعلام (وزارة الإعلام حالياً) ثم انتقل للعمل في الهيئة العامة للجنوب والخليج العربي بدرجة سفير سنة 1965.

وقد شهدت هذه الفترة واحداً من أجل أعمال السقاف التربوية والطبية ليس في الكويت فقط إنما على الصعيدين الخليجي والعربي.

اذ كلف السقاف من قبل هذه الهيئة العامة للجنوب والخليج العربي المرتبطة بوزير الخارجية بالإشراف والتخطيط لبناء المدارس والمستشفيات والمعاهد العليا في الكويت وفي كثير من البلدان العربية.

كتب السقاف العديد من المؤلفات منها كتاب (شعر أحمد السقاف) الذي ضم آثاره الشعرية.

ومن مؤلفاته ايضا (كتاب المقتضب في معرفة لغة العرب) و(كتاب أنا عائد من جنوب الجزيرة العربية) و(كتاب تطور الوعي القومي في الكويت) و(كتاب حكايات من الوطن العربي الكبير) و(كتاب قطوف دانية، عشرون شاعراً جاهلياً ومخضرماً) و(كتاب أحاديث في العروبة والقومية).

أما عن آثاره الفنية فله أكثر من قصيدة مغناة لعل أشهرها قصيدته "أعد الحقيبة" التي غنتها الفنانة نجاة الصغيرة، وقصيدة "يا ظالمي" التي غنتها الفنانة نور الهدى وقصيدة "اللقاء العظيم" التي غناها المطرب الخليجي محمد مرشد ناجي والفنان محمد حسن العطروش وغيرهما.

فالسقاف شاعر عرف برومانسيته وحبه للطبيعة وكل ما يكتنفه او من حوله فشعره تتمثل فيه رقة وعذوبة تنساب من بين ابيات قصائده.

شعره الجميل غزير المعاني ذو قابلية شعرية فذة شكل قصيدة جمع بين العمود القديم وقصيدة التفعيلة الحديثة المتجددة.

يقول الدكتور محمد حسن عبد الله عن كتابات السقاف وأسلوبه اللغوي: لسنا في حاجة إلى أن ننبه إلى اللغة النقية الصافية التي كتب بها السقاف مقالته، فهذا الأسلوب السهل الممتنع لا يستطيع كتابته إلا أديب قدير ملك قلمه وسيطر على لغته.

أسلوب السقاف اخذ من القدماء ما لا يجب التفريط فيه وما لا يستغني

الأديب عنه، الصحة اللغوية والدقة في التعبير عن الفكرة واستقامة الجمل وترابطها بحيث تأخذ القارئ على صفحاتها المنسابة من البداية حتى تسلمه إلى النهاية.

كما اخذ من أساليب المحدثين أطيب ما عندهم فهو بعيد عن التعقيد والتغني بالأغراب وشطحات الفكر أو الخيال ملتزم بوحدة الموضوع في المقالة الواحدة، يمضي مع فكرته حتى يجلوها من شتى جوانبها.

ويكشف عن موقف أصيل، ويخاطب قارءه من مستوى العقل والعاطفة معا، ويكتب إليه من موقف المتحدث الملاصق.

هذا الأسلوب يستمد من انسياقه من وحدة الفكرة، ثم ترتيب جزئياتها، ومن عدم العبث باللغة، فهي تستخدم في حدود ما يتطلب الموقف من حجج العقل وإثارة الوجدان بقدر من التوازن والتمازج.

يبث في شعره أجمل معاني القيم الإنسانية الروحية ويعبر عن شخصيته الطموحة المتطلعة إلى حياة الاستقلال والتقدم والحرية، ويتميز شعره بالحماسة الثورية والأمل في أن تحرز أمته مزيدا من الحرية والتقدم.

كتب القصيدة الكلاسيكية العمودية بمعان متجددة نابضة بالحس الشعوري الفياض دون تقيد ولا جمود كما لم يقف عند الشكل العمودي فقط بل أبدع في شعر التفعيلة في كثير من أعماله.

وقال الفيلسوف الفرنسي جان جيتون عن السقاف في كتابه "همسات الروح": ساهم السقاف بشكل كبير في نشر الثقافة والمعرفة ليس في الكويت فحسب إنما في الأقطار العربية، من خلال مركزه في دائرة المطبوعات والنشر، قبل استقلال الكويت، وفي وزارة الإرشاد والأنباء بعد الاستقلال حين عين وكيلاً للوزارة.

توفي الشاعر احمد السقاف في 15 اغسطس عام 2010 في الكويت

رحم الله شاعرنا الكبير أحمد السقاف.

(١٢) الأديب إبراهيم عبدالمحسن العريض

وصلنا في رحلتنا مع أدباء الأمة العربية، إلى مملكة البحرين ومع الأديب والشاعر إبراهيم عبد المحسن العريض فهو كاتب وشاعر يعتبر أحد أعظم الشعراء في البحرين وأحد قادة الحركة الأدبية البحرينية في القرن العشرين.

ولد العريض في 8 مارس عام 1908، حيث بدأ تعليمه في المدرسة الأولى في البلاد مدرسة الهداية الخليفية على الرغم من عدم إقامته الدائمة في البحرين.

سافر بعد ذلك إلى بومباي في عام 1926 والتحق بمدرسة محلية حيث حصل على شهادة الدراسة الثانوية.

في هذه المدرسة درس العريض اللغتين الفارسية والإنجليزية إلى جانب الأردية وأعرب عن رغبة عميقة في الأدب الأردي.

في عام 1927 عاد العريض إلى البحرين وعين مدرسا للغة الإنجليزية في المدرسة "الهداية الخليفية" وهو المنصب الذي شغله لمدة أربع سنوات.

قام بكتابة بعض المسرحيات باللغتين العربية والإنكليزية وأخرجها لتمثل على خشبة المدرسة.

أصبح في وقت لاحق نائب مدير المدرسة الجعفرية رغم أنه اضطر إلى ترك عمله بسبب خلافات مع السلطات البريطانية، بعد ذلك شغل منصب أمين الصندوق في دائرة الجمارك.

وفي عام 1937 أصبح رئيساً لقسم الترجمة في شركة بحرينية لم تستمر نتيجة لاندلاع الحرب العالمية الثانية.

وفي عام 1943 سافر إلى دلهي وعمل في محطة إذاعية، وعاد بعد ذلك إلى البحرين حيث عمل في شركة نفط البحرين حتى عام 1967م عندما تقاعد.

وفي سن مبكرة بدأ العريض في كتابة الشعر مع أول مجموعة له من القصائد التي نشرت في بغداد في عام 1931 وبما أنه يجيد أكثر من لغة فقد ترجم أعمال الشعراء بين الفارسية والهندية والأردية والإنجليزية والعربية.

اشترك في المؤتمرات الأدبية المنعقدة في العراق وسوريا ومصر والكويت. طلبت الجامعة الأميركية في بيروت منه إلقاء محاضرات في الأدب العربي ووافق على ذلك.

عكف يقرأ لأبو تمام وأبو فراس الحمداني وإيليا أبو ماضي كما تأثر بعدد من الشعراء الإنجليز من بينهم وليم شكسبير، وبيرسي بيش شيلي، وجورج غوردون بايرون، ووالت ويتمان.

وفي ديوانه الذكرى ترجم للشاعر الايرلندي توماس مور، وتأثر بنحو خاص بالشاعر الإنجليزي إدوارد فيتزجيرالد.

عكف يقرأ أشعار ورباعيات الخيام الفارسية واهتم كثيراً بدراسة الأدب الفارسي حتى استطاع في مراحل اخرى من حياته كتابة أهم دراسة عربية في شعر عمر الخيام وكانت باسم رباعيات الخيام كتبت بين عامي 1933 و1934 وطبعت سنة 1966 واضاف للترجمة رونقاً جميلاً للشعر الفارسي لأنه اهتم خلالها بروح عمر الخيام الشعرية.

كان أيضاً مصلحا وقام بإنشاء مدرسة وعين في عام 1973 رئيس المجلس الدستوري، ثم أصبح بعدها سفيرا مفوضا فوق العادة في وزارة الخارجية عام 1975 وهو منصب ظل يشغله حتى وفاته.

حاز العريض الكثير من الأوسمة ففي العام 1974 منحه الشيخ عيسى بن سلمان آل خليفة وسام الكفاءة من الدرجة الأولى.

كما قلّده الملك حمد بن عيسى آل خليفة وسام الشيخ عيسى بن سلمان آل خليفة من الدرجة الاولى تقديرا لجهوده المتميزة في مجال الثقافة والأدب ودوره إبّان عمله سفيرا في وزارة الخارجية وقد اختير من بين رواد الفكر العربي ليكرم من قبل دار سعاد الصباح للنشر.

ومن إصداراته أيضاً، الذكرى وامعتصماه والعرائس وأرض الشهداء ورباعيات الخيام وقبلتان وشموع والمختار من الشعر العربي الحديث وديوان العريض ومذكرات شاعر.

توفي العريض في 1 مايو 2002 في سن الرابعة والتسعين بعد معاناة من مشاكل في التنفس. دفن في مقبرة المنامة بجانب ابنته ليلى التي توفيت في عام 2001.

وبعد وفاته أمر الملك حمد بن عيسى آل خليفة بإطلاق اسمه على أحد الشوارع المهمة في البحرين والذي يقع مقابل مرفأ البحرين المالي.

وفي عام 2006 تحول بيته القديم في القضيبية في العاصمة المنامة إلى مركز ثقافي باسم بيت إبراهيم العريض وهو مفتوح للسياح ومكان اجتماع للشعراء.

وفي عام 2008 عقدت "يونسكو" معرضاً تكريماً للعريض في مقرها في باريس عاصمة فرنسا.

(١٣) الروائي هاني محمد الراهب

سنطير في رحلتنا إلى بلاد الشام وتحديداً إلى سوريا، شخصيتنا هو هاني محمد الراهب الذي ولد في عام 1939 في قرية مشقيتا بمحافظة اللاذقية.

عانى هاني الراهب في طفولته من ترحال عائلته بين قريته ومدينة اللاذقية، ومن آثار عواصف الحرب العالمية الثانية، التي كانت تهب من كل اتجاه وتنذر بتدمير العالم.

وقد خزّن الكاتب في قبو ذاكرته مشاعر الخوف، والظلم، والقلق والنّقمة لتنعكس صوراً في رواياته، وجراحاً لم تندمل حتّى وفاته.

أمضى هاني طفولته في رعاية أمّه وأبيه وبعض أخوته، وبدأ دراسته في مدرسة القرية الابتدائية، إلى أن توفي أخوه عليّ، الذي كان يعمل في اللاذقية ويتولّى رعاية العائلة بكاملها.

وتولّى أخوه سليمان، رعاية هاني الصغير، حتّى حصل على الدرجة الثانية في الثانوية العامة، فمنح مقعداً مجانياً في جامعة دمشق، قسم اللغة الإنكليزية.

تخرّج هاني الراهب في كلية الآداب وعُيّن معيداً في قسم اللغة الإنكليزية، ثم ما لبث أن منحته الأمم المتحدة مقعداً في الجامعة الأمريكية في بيروت.

وخلال عام واحد، حصل على شهادة الماجستير في الأدب الإنكليزي، وحصل في لندن على شهادة الدكتوراه خلال سنتين ونصف.

واثر ظروف عديدة سافر الراهب إلى دولة الكويت، وأصيب بعد ذلك بمرض السرطان، وظل الأطباء عاماً كاملاً يؤكدون بعد كل كشف دوري، أن جسده أصبح خالياً من المرض.

وليس عليه سوى أن يتجنب البرد والتوتر العصبي والقلق النفسي.

وعندما عاد إلى مأواه في دمشق كان مطمئناً إلى أنه يتمتع بكل العافية، وإلى أنه وفر من المال ما يكفيه وعائلته لتأمين حياة مستقرة وكريمة تؤمن له المناخ الملائم للكتابة والتأليف.

وسرعان ما نشر روايتيه الأخيرتين (خضراء كالبحار) و(رسمت خطاً في الرمال) ولم يمض طويل من الوقت حتى اكتشف فجأة أن مرض السرطان قد انتشر مرة أخرى في أعضاء جسده كافة.

يعتبر هاني الراهب أنموذجا للروائي المجدد والمتجدد، عمل على تطوير الرواية السورية من خلال اشتغاله وبحثه الدؤوب عن التعبير الروائي والتقنية الروائية واقتصاد اللغة.

فالتعبير اللغوي عنده يستمد نسيجه من تصور موحد للغة وفي هذا قال الراهب يوما:

(ما دامت الرواية ظاهرة تكاد أن تكون حديثة العهد في تراثنا الأدبي، فينبغي أن يحتويها بناء لغوي وأسلوب جديد).

وقد كان لكتاباته تأثير مميز على الرواية العربية شكلا ومضمونا وشكلت علامة بارزة في مسيرة الرواية العربية المعاصرة وتطورها.

وكان في عام 1960 أعلنت دار الآداب، عن مسابقة للرواية العربية اشترك فيها أكثر من مئة وخمسين كاتباً عربياً، وكان هاني الراهب طالباً في جامعة دمشق، لم يتجاوز عمره الثانية والعشرين. وكانت المفاجأة بأن فازت روايته «المهزومون» بالجائزة الأولى.

وقد ألف كذلك رواية (ألف ليلة وليلتان) وفيها يحكي قصة ثلاثين شخصاً كل واحد منهم يظن نفسه قائماً بذاته إلى أن ينصدم بهزيمة حزيران (يونيو) فيكتشف أنه جزء صغير من مجتمع مهزوم وعمر هذه الهزيمة ألف عام.

وقد تمثلت الرواية في بنيتها شكل هذا المجتمع، والزمن فيها هو زمن تجاوري أو تزامني، وعنها يقول الراهب: "أحسست بالثقة الكافية لتقديم حطام رواية ، أنا مدين إلى حد ما إلى بنية (ألف ليلة وليلة) التي تحكي ألف حكاية".

كتب هاني الراهب روايتي (خضراء كالمستنقعات) و(خضراء كالحقول) بعد انهيار الاتحاد السوفييتي، وقد انعكس هذا الإحساس على أدواته الفنية وأسلوبه في الكتابة.

وعكف على كتابة مجموعة من الروايات الصغيرة بعنوان (كل نساء المدينة) وعندما صدر منها (خضراء كالمستنقعات) ظن البعض أنها رواية قائمة بذاتها واستغربوا وضعها على هذه الحالة.

كما كتب رواية (التلال) التي نشرت عام 1989 في بيروت، ولم يستخدم التحاور بل استعاض عنه بالدلالات، حيث تتناول عالمين متناقضين ظاهرياً عالم الأسطورة والأحلام والرغبات والهواجس المولدة من عذابات المجتمع.

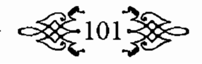
وفي الجانب الآخر هناك عالم التاريخ الواقعي تماماً والمعروف فيها عدة أزمنة متداخلة مثل الزمن التاريخي المشار إليه مباشرة في الرواية (الحرب العالمية الأولى والثانية) وهناك الزمن النفسي الذي يبدو جلياً في العديد من شخصيات الرواية، وهناك الزمان الأسطوري الذي تمثله فيضه وهناك أيضاً ما أسماه الراهب زمن اللازمان والذي يمثله الدراويش.

وهي رواية تتكلم عن العرب، عن تجربة التقدم في تاريخ الأمة العربية المعاصر، وهي لا تخص بلداً عربيا دون آخر، فاستعمل أسماء الشخصيات والبلدان ذات الدلالة الخاصة والمستمدة من تاريخ المنطقة.

لا يعتبر الراهب نفسه كاتب قصة قصيرة، وهو يقول إنه إذا نجحت عندي بعض القصص وهي أربع أو خمس قصص فهذا بالمصادفة، ويعتبر نفسه كذلك قصير الباع بها ويفضل تسميتها بالأقصوصة.

هو يعبر على الدوام عن عدم استيائه من هذا الموضوع، فقد كان يكتب القصة كنوع من استراحة المحارب بين رواية وأخرى حيث يقول (عندما أعايش الحياة وأرى فيها أو ألتقط منها ما يمكنني التعبير عنه تعبيرا أدبيا، لا يخطر في بالي أن أفعل ذلك عن طريق الأقصوصة إنما عن طريق الرواية).

وقد كتب الراهب خلال حياته ثلاث مجموعات قصصية (المدينة الفاضلة) و(جرائم دونكيشوت) و(خضراء كالعلقم) والأخيرة نشرت بعد وفاته.



وقد كتب معظم قصص المجموعة الأخيرة بين مطلع الثمانينيات وأوائل التسعينيات.

وقد تميزت القصص فيها بالحبكة المحكمة وبلغة متفردة ومميزة استطاع عبرها أن يدخل إلى أعماق الشخوص ويستبط دواخلها الإنسانية والتباسات ضياع فرصها في الحياة دون أن يبتعد فيها عن الهم القومي والاجتماعي لتلك الشخوص.

لقد كان الراهب هنا حكاء بارعا خفيف الظل وعميق المعنى.

المكان عموما في روايات هاني الراهب إشكالي، فهو موجود ومحدد في بعضها، وفي الآخر مبهم، فنجد في رواياته الثلاث الأولى أن المكان هو دمشق، وفي الوباء هو اللاذقية، وفي بلد واحد هو العالم يبدو المكان كأنه حارة عربية وفي التلال هو مدينة، قد تكون دمشق أو القاهرة أو بغداد.

سلك هاني الراهب منحى جديداً في الكتابة الروائية واستفاد كثيراً من مطالعاته وقراءاته في الآداب والثقافات العالمية المختلفة ووظف كثيراً مما اكتسبه في آثاره وأعماله.

فصدرت له عدة ترجمات لأعمال نقدية عالمية كرواية «غبار»، وله في القصة القصيرة «المدينة الفاضلة» وفي الرواية «المهزومون».

انطلق هاني الراهب من رواية "المهزومون"، ولم يشأ وربما لم يستطع الخروج من فكرة الهزيمة، لقد كتب كلّ أعماله من واقعها ذاته، ما يُذكر برأي محمود درويش في كتابه "ذاكرة للنسيان" حول صعوبة فك الهوية عن هزيمتها.

وتعتبر "الوباء" أشهر أعمال هاني، وفي الوقت ذاته هي أكثر أعماله خصوصية في الحياة السورية، إذ اشتغل على قرابة مائة عام من تاريخ هذا البلد، وقدم تصوره للمجتمع وكيف تشكل.

وفي ألف ليلة وليلتان تناول فيها الأزمنة العربية، والأزمات المتجددة من الصراعات وقدم تصورًا شاملًا للحلول وجعل العدل والحرية والوحدة مقاييس يطرح تصوراته للنجاة على ضوئها.

قبل أن يصل في روايته "رسمت خطًا في الرمال" إلى تصور أكثر دقة، وهو مأزق الثقافة العربية المسيطرة، وقصورها على النمو إذ إنّها ثقافة عالقة في عصور سحيقة.

يصعب على قارئ هاني الراهب الإفلات من القدرة التنبؤية التي ميزت أعماله.

حتى أمكن القول، إنّه حقق انتصارًا، غير مردود، للكتابة داخل الوعي، كونها تحمل رؤىً استشرافية.

إذ برزت الكتابة لدى أحد أهم المجربين في الرواية السورية على أنّها إعادة إخراج للتاريخ بصورة تعكس الأفق، وعلى أنّها، تحليل روائي للمادة التاريخية، لا تصويرًا لها أو تقديمها تقديمًا سرديًا خالٍ من النقد.

يقع القارئ في روايات هاني الراهب على الكثير من الإشارات المباشرة، لما يحصل في العالم اليوم، كرواية "بلد واحد هو العالم".

ويحاول هاني الراهب في نصوصه رسم ونقل هموم وعذابات أبناء جيله ووصف حالة الانهزام والسقوط والتكيف في ظل الهزيمة.

فنجده في قصة «الخامس الدائم من حزيران» يحكي عن مجموعة من الشباب المرح الذي يستسلم للهو والرقص للهروب من الواقع ونسيان ما يقلق البال وتنتهي حفلة الرقص بحادثة تقضي على الفرح الكاذب عندما تظهر لاجئة فلسطينية طالبة الخبز لأطفالها الجياع.

تحدث عنه د. عبد الله أبو هيف حيث قال: هاني الراهب من الروائيين العرب القلائل الذين جددوا السرد الروائي، وحدثوا التعبير الاستعاري الشامل عن تأزم الذات العربية ومحن الوجود العربي من خلال تعاضد رؤاه الفكرية مع تعليقاته الوجودية والتاريخية.

ويضيف د. أبو هيف: لفت الراهب النظر إلى إبداعه الروائي الحديث بقوة في روايته "ألف ليلة وليلتان" التي وسع استخدام كلماته الروائية الجديدة فيها، ولاسيما الشاعرية والكثافة وانفتاح المنظور السردي على مصراعيه لتعدد مكونات الفضاء الروائي من الواقعية إلى المرجعية التاريخية.

أما الناقد والروائي نبيل سليمان فيقول: تعثرت تجربة الراهب في "التلال" من ناحية اللا تعيين، لذلك لم يتابع مشروعه في الجزأين الثالث والرابع منها، وظل ذلك إشكالاً مريراً بينه وبين نفسه.

وفي روايته "خضراء كالبحار" يشتغل من جديد على تطبيق هذه الاستراتيجية، لكن يمكن للقراءة أن تستعين ببعض المؤشرات، فالبلد قد يكون لبنان أو سورية من خلال وجود ضابط أسير لدى إسرائيل.

كما اشتغلت الرواية على التلاقح مع الفن التشكيلي ومع الموسيقى.

أقام بيننا هاني الراهب ليرحل، حاملاً بخفّة خيمته، بحثاً عن ماء بهي، يكون جديراً بعطشه، تاركاً آثار خطواته تغوص في ثلج الحقيقة، ممتثلاً لأوامر الرّيح، تحمله إلى أماكن بعيدة، واسمه لا يزال على طرف ألسنتنا.

نريد أن نناديه، نودّعه، لنقول له: هاني الرّاهب، شكراً لقلمك، الذي بعث الشباب في وجه الرواية المعاصرة، موقظاً إيّاها من سباتها العميق، معيداً الألق والشّعلة لنظراتها.

ارتاح هاني الراهب في السادس من فبراير عام 2000 من صخب الحياة وهمومها، ونام بجانب تلك الصّومعة التي كانت مصدر إلهامه، في لحدٍ نديّ التّربة، طاهر الجنبات، يحرسه ضريح رخامي أنيق التّكوين.

يرتفع فوق تلةٍ عالية، ليطلّ إلى الأبد، على بحيرات وغابات وجبال قرية مشقيتا، الممتدّة حتّى الحدود التركيّة.

١٤) الروائي إحسان عبدالقدوس

إحسان عبد القدوس هو صحفي وروائي مصري من أصل تركي من جهة أبويه، فهو ابن السيدة فاطمة اليوسف التركية الأصل اللبنانية المولد وهي مؤسسة مجلة روز اليوسف ومجلة صباح الخير، أما والده فقد كان ممثلا ومؤلفا.

يعتبر إحسان من أوائل الروائيين العرب الذين تناولوا في رواياتهم قصص الحب وتحولت أغلب قصصه إلى أفلام سينمائية.

ويمثل أدب إحسان عبد القدوس نقلة نوعية متميزة في الرواية العربية، إذ نجح في الخروج من المحلية إلى حيز العالمية وترجمت معظم رواياته إلى لغات اجنبية متعددة.

فقد ولد إحسان عبد القدوس في الأول من يناير عام 1929 وفي طفولته كانت هوايته المفضلة هي القراءة، فقد اهتم والده بحسن تعليمه وتشجيعه على القراءة.

وقد تخرج في مدرسة الحقوق في عام 1942، وعمل محامياً تحت التمرين بمكتب احد كبار المحامين وهو ادوارد قصيري وذلك بجانب عمله كصحفي بمجلة روز اليوسف.

وفي عام 1944 بدأ إحسان عبد القدوس كتابة نصوص افلام وقصص قصيرة وروايات.

وبعد ذلك ترك مهنة المحاماة ووهب نفسه للصحافة والادب فقد شعر أن الأدب والصحافة بالنسبة له كانا من ضروريات الحياة التي لا غنى عنها.

واصبح بعد اقل من بضع سنوات صحفياً متميزاً ومشهوراً، وروائياً، وكاتباً سياسياً.

وبعد العمل في روز اليوسف، تهيأت له كل الفرص والظروف للعمل في جريدة الاخبار لمدة 8 سنوات ثم عمل بجريدة الاهرام وعين رئيساً لتحريرها.

وكان لإحسان شخصية محافظة للغاية، لدرجة ان شخصيته تتناقض مع كتاباته، فالبيئة التي تربى فيها جعلت منه انسانا صعبا للغاية، فقد كان ملتزما بالمعنى الاجتماعي.

إن أدب احسان عبد القدوس يمثل نقلة نوعية متميزة في الرواية العربية الى جانب ابناء جيله الكبار من امثال نجيب محفوظ ويوسف السباعي ومحمد عبد الحليم عبد الله.

لكن إحسان تميز عنهم جميعا بأمرين أحدهما أنه تربى في حضن الصحافة، وتغذى منذ نعومة اظفاره على قاعدة البيانات الضخمة التي تتيحها الصحافة لاختراق طبقات المجتمع المختلفة.

فالصحافة وصالون روز اليوسف والعلاقات المباشرة بكبار الادباء والفنانين والسياسيين ونجوم المجتمع هي المنبع الذي اتاح لإحسان عبد القدوس أن يصور الجوانب الخفية في الحياه المصرية.

ويتخطى بذلك كثيرا من الحواجز التي حالت بين زملائه وبين معرفه هذه البيانات.

اما الميزة الثانية لأدب احسان فهي انه كان عميق الايمان بقضية الحرية، بمختلف مستوياتها السياسية والاقتصادية والاجتماعية.

وشارك بإسهامات بارزة في المجلس الأعلى للصحافة ومؤسسة السينما.

وكان احسان عبد القدوس كاتباً مثمراً، فبجانب اشتراكه المتميز بالصحافة كتب 49 رواية تم تحويلها نصوص لأفلام، و5 روايات تم تحويلها الى نصوص مسرحية.

و9 روايات تم تحويلها الى مسلسلات إذاعية، و10 روايات تم تحويلها الى مسلسلات تليفزيونية، بالإضافة إلى 56 كتاباً.

وقد حصل على جوائز عديدة منها، وسام الاستحقاق من الدرجة الاولى منحه له الرئيس الراحل جمال عبد الناصر، ووسام الجمهورية من الدرجة الاولى منحه له الرئيس السابق محمد حسني مبارك في عام 1990 والجائزة الاولى عن روايته: "دمي ودموعي وابتساماتي" في عام 1973، وجائزة احسن قصة فيلم عن روايته "الرصاصة لا تزال في جيبي".

التكوين الاجتماعي منع احسان عبد القدوس من الاعتراف بأسراره الخاصة، فلم يعترف الا بعلاقته النسائية الاولى حيث يقول:

(الحب الاول في حياتي كان لبنت الجيران، كانت صديقة لابنة عمتي، وكان حبا اعتبره من ارقى وانظف واعمق انواع الحب الذي يجمع بين صبي وصبية، كان عمري وقتها 14 عاما، وهي 13 عاما، كان حبا قويا بالنسبة لي شخصيا).

هذا المدخل يمكن أن نعتبره باردا لموضوع عن بعض الاعترافات لأشهر الأدباء والكتاب العرب، لكنها كانت مهمة لنفض الاشتباك حول ما يثار عن احسان عبد القدوس.

فالناس يظنونه كاتبا متحررا من كل التقاليد والاعراف الاجتماعية إلا أن الواقع يقول عكس ذلك.

فهو صاحب فكرة ومؤسس وكاتب مذكرة برنامج انشاء المجلس الأعلى للآداب والفنون سابقا والتي قدمها للرئيس المصري الراحل جمال عبد الناصر، غير ان احسان فوجئ باستبعاده من العضوية العليا للمجلس بعد انشائه.

ولعل استبعاده من العضوية، يعتبر السبب الاول بجانب عديد من العوامل جعلت احسان عبدالقدوس يرفض في حياته الجائزة التقديرية.

حيث فقد الثقة في معايير الاختيار، البعيدة كل البعد عن قيمة وجدارة الرمز الفكري والثقافي والادبي ومدى تأثيره في مسار الادب كما يصف ذلك.

عاش إحسان عبدالقدوس ودرس ككاتب سياسي وروائي فهو ينتسب لجيل الاربعينيات وهو نفس جيل ضباط يوليو1952.

فهو كصحفي يؤمن بحرية الرأي والتعددية وحق الاختلاف.

فلم يكن إحسان يؤمن بزعيم معين من القدامى ودرس كطالب في الحقوق واحتك بالقوى السياسية الجديدة.

فاختار استقلالية الرأي وكان صوتا ديمقراطياً يدعو إلى الحرية ويأبى

الاستبداد والتسلط ولا جدال ان البيئة الفنية والصحفية التي تفتح عليها وعيه ساعدته على شق طريقه الصحفي، فالأب محمد عبد القدوس كاتب ومثقف مهندس وممثل له تميزه والام فاطمة اليوسف التي شقت طريقها منذ ان جاءت الي مصر في العشرينيات صبية مهاجرة من لبنان واصبحت من رموز مسرح رمسيس وانتهى الحال بإحسان عبدالقدوس في بعض الأحيان إلى السجن لدفاعه عن أفكار ومبادئ يؤمن بها ويدعو إليها بينما يرفضها كثيرون على أرض الواقع.

بعد أن صمت عن الكتابة في السياسة انفجرت موهبته القصصية والروائية فأبدع كماً غزيراً من الاعمال بعد قراره الا يتولى مناصب صحفية أو رسمية.

يقول الدكتور مفيد شهاب عن احسان عبد القدوس ومعركته مع الحياة، منذ ان كان تلميذا بمدرسة السلحدار حتى تخرج في كلية الحقوق بجامعة القاهرة ثم اشتغاله بالمحاماة لمده عام ثم التحاقه بعدها بالعمل في روز اليوسف ودخوله السجن بسبب احد مقالاته حيث تهيأت له كل الفرص والظروف للعمل في جريدة الاخبار لمدة 8 سنوات ثم عمل بجريدة الاهرام وعين رئيسا لتحريرها.

وأسهب احسان في الحديث عن الحرية في اعماله الأدبية والصحفية حتى امتزجت لديه النزعة الأدبية الأصيلة مع الحرفة الصحفية.

وكانت كتابات احسان بالمقارنة بزميله نجيب محفوظ ويوسف السباعي اقرب الى روح الشباب كما كانت رواياته تصدر عن حس وطني مؤثر كرواية على مقهى في الشارع السياسي والتي تكشف عن حبه العميق لوطنه.

وتقول الكاتبة وداد الكواري لم يتعرض كاتب عربي، على ما أذكر، للهجوم، بقدر ما تعرض الكاتب القدير إحسان عبدالقدوس.

وكلما قرأت له وعنه ازداد تقديري وإعجابي به، ولعلّه من الكتّاب القلائل الذين آمنوا بما كتبوا ولم تختلف مبادئهم الخاصة، عن المبادئ التي سطّروها على الورق.

لقد اضطرت والدته "روز اليوسف"، لمّا رأت أنه موشك على الانهيار، إلى اطلاعه على ما كُتب عنها في مجلة اسمها "الكشكول"، تخصصت في الشتم ببذاءة.

فلمّا قرأ ما كُتب عن أُمه وكيف استمرت ونجحت، على الرغم من عنف وقسوة الهجوم، استردّ ثقته بنفسه. ومن الغريب أن أعداءه كان أغلبهم من أبناء مهنته، وكانوا يتحيَّنون الفرص لاصطياد، أو افتعال أي خطأ قد يُطيح به أو يوقفه عن الكتابة.

ولم يسلَم إحسان من القهر حيّاً وميتاً، فبعد مماته أعطى بعض الناشرين أنفسهم الحق في تحريف كتبه، وحذف وإضافة ما يرغبون، لولا أن تصدّى لهم ابنه وقاتل بشراسة لكي تُطبع كما هي.

قال الدكتور صلاح فضل رئيس قسم اللغة العربية وآدابها بجامعه عين شمس ان ادب احسان عبد القدوس يمثل نقلة نوعية متميزة في الرواية العربية الى جانب ابناء جيله الكبار.

وتقول الأستاذة لوتس عبد الكريم رئيسة تحرير مجلة شموع: عرفت الاستاذ احسان عبد القدوس منذ 15 عاما حيث كنت اواظب على زياراته الأسرية كصديق للعائلة وتوطدت العلاقة مع عائلته.

فابنه محمد اخذ الجانب الديني من جده ومثل الاتجاه الديني في والده، واما احمد فهو رجل اعمال واما والدتهم فقد كتب عنها الاستاذ احسان في كثير من رواياته وكان يسميها رئيسة مجلس إدارة حياتي لقدرتها الفائقة على ادارة دفة الحياة كلها.

وفي روايته (لا تطفئ الشمس) قال عنها انها الحياة ومحور الحياة وكتب لها اهداء قال فيه:

(الى الهدوء الذي صان ثورتي والعقل الذي اضاء فني والصبر الذي غسل ذنوبي).

وفي تعليقها على أعمال إحسان عبد القدوس تتساءل الناقدة: لماذا لم ينل إحسان عبد القدوس حظا وافرا من اهتمام النقاد؟ ثم تجيب: لعل وصف العقاد لأدب إحسان بأنه أدب فراش لا يزال يتردد صداه في آذان النقاد.

وفي رأيها فإن أعمال عبد القدوس تنتسب إلى الإعداد السينمائي بأكثر من انتسابها إلى لون أدبي آخر.

ومع ذلك فإن الحفاوة بأعمال إحسان عبد القدوس عقب وفاته قد أسفرت عن بعض الملامح في الملفات التي أصدرتها المجلات الثقافية عن الكاتب وفي عشرات المقالات والأحاديث التي تناولت حياته وأدبه.

لذا تحاول الناقدة أن تناقش بعض آراء إحسان عبد القدوس سواء تلك التي تضمنتها أعماله أو أدلى بها في حوارات وأحاديث.

وعلى سبيل المثال ترى الناقدة أن إحسان ابتدع بعض التقاليد غير الموجودة في مجتمع الريف، وحاول أن يوهم القارئ أن هذه التقاليد راسخة في الريف المصري.

وهي ترى أن احسان لم يناقش مشكلات القرية الحقيقية، ولا تناول مشكلات المرأة الريفية، بل إنه تعرض لسلطة الرجل سواء كان زوجاً أو أخاً، وهي تضرب مثالاً على ذلك بشخصية جمعة في قصة "اكتشاف الألومنيوم".

كان لإحسان عبد القدوس دور بارز في صناعة السينما، ليس فقط عن طريق الأفلام التي أعدت من قصصه ورواياته، ولكن بالتي شارك في كتابة السيناريو والحوار للكثير منها.

فقد كان على النقيض من الأديب نجيب محفوظ فهو لم يكن يؤمن بأن صاحب العمل الأدبي الأصلي لا علاقة له بالفيلم أو المسرحية التي تعد من عمله الأدبي.

فقد شارك في صياغه وكتابة حوار العديد من الأفلام مثل فيلم (لا تطفئ الشمس) للمخرج صلاح أبو سيف الذي كتب نص الحوار.

كما كتب الحوار أيضاً لفيلم (إمبراطورية ميم) الذي كانت قصته مكتوبة على أربع أوراق فقط والذي أخرجه حسين كمال.

كما شارك كذلك الكاتبين سعد الدين وهبة ويوسف فرنسيس في كتابة سيناريو فيلم (أبي فوق الشجرة).

وقد وصلت عدد روايته التي تحولت إلى أفلام ومسلسلات قرابة ال 70 فيلماً ومسلسلاً سينمائياً وتلفزيونياً منها ما عرض ومنها ما لم يعرض ليتربع بذلك على عرش أكثر كاتب وروائي له أفلام ومسلسلات في تاريخ السينما والتلفزيون المصرية ولا ينافسه في ذلك إلا الأديب نجيب محفوظ.

وقد أخرج لإحسان عبد القدوس عدد من المخرجين وصل الى 16 مخرجاً، وقد كان نصيب الأسد منها للمخرجين حسين كمال وصلاح أبو سيف وحسام الدين مصطفى وأحمد يحيى، وهذا يدل على أنه لم يكن يتعامل مع أي مخرج يعرض عليه إخراج أعماله، بل يتعامل فقط مع من يثق في قدراتهم في استيعاب أعماله بصورة جدية وجيدة.

وقد أخرج المخرج حسين كمال 9 أفلام من روايات إحسان عبد القدوس أولها فيلم (أبي فوق الشجرة) الذي اعتبر في وقته نقلة جديدة في السينما الاستعراضية.

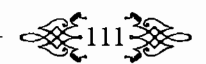
ومن ثم اتبعهم بفيلم (أنف وثلاث عيون) من بطولة نجلاء فتحي ومحمود ياسين، وتلاها تقديم فيلم (إمبراطورية ميم) كما ذكرنا قبل قليل والذي كان نقلة نوعية جديدة في السينما المصرية، وقد شهد فيه عودة سيدة الشاشة العربية فاتن حمامة.

وبعدها فيلم (دمي ودموعي وابتسامتي) من بطولة نجلاء فتحي ونور الشريف، وكذلك فيلم (بعيدا عن الارض)، ومن ثم قدم فيلمين للنجمة نبيلة عبيد هما (العذراء والشعر الأبيض) و(أرجوك اعطني هذا الدواء)، وآخر تعاون بين المخرج حسين كمال وإحسان عبد القدوس كان فيلم (أيام في الحلال).

وبالرغم من كمية الافلام التي انتجت من رواياته إلا أن هنالك جزءاً منها نجح نجاحاً باهراً في السينما المصرية مثل أفلام (لا أنام) وهو من بطولة فاتن حمامة وإخراج صلاح أبو سيف.

و(في بيتنا رجل) من بطولة زبيدة ثروت وعمر الشريف وغير ذلك من الافلام التي أثرت السينما المصرية.

ولكن كذلك هنالك بعض الأفلام التي كتبها لم تنجح كما كان متوقعاً لها بل وصفها بعض النقاد بأنها فشلت فشلاً ذريعاً.



ويقول إحسان عبد القدوس: اما الممثلات اللاتي استطعن أن يجدن تمثيل شخصيات قصصي في مقدمتهن كانت فاتن حمامة فقد استطاعت أن تصور خيالي عندما مثلت دور (نادية) في فيلم (لا أنام)، وعندما جسدت دور (فايزة) في فيلم (الطريق المسدود).

يستكمل احسان عبد القدوس حديثه، أذكر اني ذهبت يوما انا ويوسف السباعي إلى الاستديو أثناء تصوير مشاهد من فيلم (لا أنام) ووقفت انا ويوسف السباعي مشدودين ونحن ننظر إلى فاتن حمامة فقد كانت تشبه البطلة الحقيقية للقصة التي كتبتها.

كان إحسان عبد القدوس يكتب للناس ولا يضع عينيه على النقاد، ولكن مثلما كانت له معارك سياسية في قصصه ورواياته التي كتبها كانت له أيضا منازلات فنية مع السينما والرقابة ومنها:

فيلم "البنات والصيف" تدخلت الرقابة في القصة وقامت بتعديل نهاية الفيلم وذلك بانتحار البطلة مريم فخر الدين عقاباً لها لأنها خانت زوجها في الفيلم وذلك عكس مجريات القصة الحقيقية.

وفيلم "لا أنام" قامت الرقابة بتعديل نهاية الفيلم بحرق بطلة الفيلم فاتن حمامة لأنها كانت بنت شريرة رغم أن القصة لم تكن كذلك.

وفيلم الطريق المسدود طلبت الرقابة تعديل نهايته بدلاً من انتحار البطلة الى ان تتزوج البطلة.

وفيلم "يا عزيزي كلنا لصوص" رفضت الرقابة اسم الفيلم بحجة انه يدل على أن فيه حكماً على كافة البلد بانهم لصوص، ووزير الثقافة في ذلك الوقت أوقف الفيلم سنتين حتى تمت الموافقة عليه بعد ذلك.

وفيلم حتى لا يطير الدخان عندما عرضت قصته على الرقابة رُفضت تماما، حتى أن منتج الفيلم تخلى عن انتاجه، ومن ثم بعدها بفترة قام مخرج الفيلم أحمد يحيى بعمل استئناف إلى لجنة التظلمات وكانت معركة طويلة حتى تمت الموافقة على الفيلم.

توفي احسان عبد القدوس في الحادي عشر من يناير عام 1990، ومازال اسمه يلمع عالميا بأعماله وإبداعاته المتميزة.

(١٥) الأديب عباس محمود العقاد

الأديب عباس محمود العقاد، أحد أهم الأدباء المصريين في العصر الحديث، أسس بالتعاون مع إبراهيم المازني وعبد الرحمن شكري "مدرسة الديوان"، وكانت هذه المدرسة من أنصار التجديد في الشعر والخروج به عن القالب التقليدي العتيق.

وُلِدَ عباس محمود العقاد في مدينة أسوان بصعيد مصر، في يوم الجمعة الموافق 28 من يونيو 1889.

نشأ في أسرة كريمة، وتلقى تعليمه الابتدائي بمدرسة أسوان الأميرية، وحصل منها على الشهادة الابتدائية سنة 1903م وهو في الرابعة عشرة من عمره.

وفي أثناء دراسته كان يتردد مع أبيه على مجلس الشيخ أحمد الجداوي، وهو من علماء الأزهر الذين لزموا جمال الدين الأفغاني.

وكان مجلسه مجلس أدب وعلم، فأحب الفتى الصغير القراءة والاطلاع، فكان مما قرأه في هذه الفترة "المُسْتَطْرَف في كل فن مستظرف" للأبشيهي، و"قصص ألف ليلة وليلة"، وديوان البهاء وغيرهما.

فشعر بميل وحب للاطلاع والقراءة، ما زاد إقباله على مطالعة الكتب العربية والإفرنجية، وبدأ في نظم الشعر.

ولم يكمل العقاد تعليمه بعد حصوله على الشهادة الابتدائية، بل عمل موظفًا في الحكومة بمدينة قنا سنة 1905م ثم انتقل إلى الزقازيق سنة 1907م وعمل في القسم المالي بمديرية الشرقية، وفي هذه السنة توفي أبوه، فانتقل إلى القاهرة واستقر بها.

ضاق العقاد بحياة الوظيفة وقيودها، ولم يكن له أمل في الحياة غير صناعة القلم، وهذه الصناعة ميدانها الصحافة، فاتجه إليها.

وكان أول اتصاله بها في سنة 1907م حين عمل مع العلامة محمد فريد وجدي في جريدة الدستور اليومية التي كان يصدرها، وتحمل معه أعباء

التحرير والترجمة والتصحيح من العدد الأول حتى العدد الأخير، فلم يكن معهما أحد يساعدهما في التحرير.

وبعد توقف الجريدة عاد العقاد سنة 1912م إلى الوظيفة بديوان الأوقاف، لكنه ضاق بها، فتركها.

واشترك بعد ذلك في تحرير جريدة المؤيد التي كان يصدرها الشيخ علي يوسف، وسرعان ما اصطدم بسياسة الجريدة، فتركها وعمل بالتدريس فترة مع الكاتب الكبير إبراهيم عبد القادر المازني.

وعاد بعد ذلك إلى الاشتغال بالصحافة في جريدة الأهالي سنة 1917م وكانت تَصْدُر بالإسكندرية، ثم تركها وعمل بجريدة الأهرام سنة 1919م.

واشتغل بالحركة الوطنية بعد ثورة 1919م، وصار من كُتَّابها الكبار مدافعًا عن حقوق الوطن في الحرية والاستقلال، وأصبح الكاتب الأول لحزب الوفد، المدافع عنه أمام خصومه من الأحزاب الأخرى، ودخل في معارك حامية مع منتقدي سعد زغلول حول سياسة المفاوضات مع الإنجليز بعد الثورة.

وبعد فترة انتقل للعمل مع عبد القادر حمزة سنة 1923م في جريدة البلاغ، وارتبط اسمه بتلك الجريدة، وملحقها الأدبي الأسبوعي لسنوات طويلة، ولمع اسمه، وذاع صيته وانُتخب عضوا بمجلس النواب.

لم يتوقف إنتاجه الأدبي، رغم ما مر به من ظروف قاسية؛ حيث كان يكتب المقالات ويرسلها إلى مجلة فصول، كما كان يترجم لها بعض الموضوعات.

أما عن أعماله الفكرية الأدبية فهي كثيرة للغاية، لكن بداية ظهوره في الإنتاج الأدبي كان في سنة 1916.

فديوانه يتمثل في عشرة أجزاء هي: هداية الكروان، وأعاصير مغرب، ووحي الأربعين، وعابر السبيل، ويقظة الصباح، ووهج الظهيرة، وأشباح الأصيل، وأشجان الليل، وبعد الأعاصير، وما بعد البعد.

من أشهر أعمال العقاد سلسلة العبقريات الاسلامية التي تناولت بالتفصيل سير أعلام الإسلام.

ولم يكتب إلا رواية واحدة هي "سارة"، ومن أهم مؤلفاته أيضا: الفلسفة القرآنية، والله، وإبليس، الانسان في القران الكريم ومراجعات في الأدب والفنون.

منحه الرئيس المصري جمال عبد الناصر جائزة الدولة التقديرية في الآداب غير أنه رفض تسلمها، كما رفض الدكتوراه الفخرية من جامعة القاهرة.

اشتهر بمعاركه الفكرية مع الدكتور زكي مبارك والأستاذ محمود شاكر والدكتورة عائشة عبد الرحمن (بنت الشاطئ).

اخُتير العقاد عضوًا في مجمع اللغة العربية بمصر سنة 1940، واخُتير عضوًا مراسلا في مجمع اللغة العربية بدمشق وبغداد، وحصل على جائزة الدولة التقديرية في الآداب سنة 1959.

وتُرجمت بعض كتبه إلى اللغات الأخرى، فتُرجم كتابه المعروف "الله" إلى الفارسية، ونُقلت عبقرية محمد وعبقرية الإمام علي، وأبو الشهداء إلى الفارسية، والأردية، والملاوية، كما تُرجمت بعض كتبه إلى الألمانية والفرنسية والروسية.

وأطلقت كلية اللغة العربية بالأزهر اسمه على إحدى قاعات محاضراتها، وسمي باسمه أحد أشهر شوارع القاهرة وهو شارع عباس العقاد الذي يقع في مدينة نصر.

تجاوزت مؤلفات العقاد مائة كتاب، شملت جوانب مختلفة من الثقافة الإسلامية، والاجتماعية بالإضافة إلى مقالاته العديدة التي تبلغ الآلاف في الصحف والدوريات.

تبوأ العقاد مكانة عالية في النهضة الأدبية الحديثة ندر من نافسه فيها، فهو يقف بين أعلامها، وكلهم هامات شاهقة، وأعلام شامخة.

واجتمع له ما لم يجتمع لغيره من المواهب والملَكات، فهو كاتب كبير، وشاعر لامع، وناقد بصير، ومؤرخ حصيف، ولغوي بصير، وسياسي حاذق، وصحفي نابه.

ولم ينل منزلته الرفيعة بجاه أو سلطان، أو بدرجات، وشهادات، بل نالها بمواهبه المتعددة، وهمته العالية، ودأبه المتصل، عاش من قلمه وكتبه، وترفع عن الوظائف والمناصب لا كرها فيها، بل صونًا لحريته واعتزازًا بها، وخوفًا من أن تنازعه الوظائف عشقه للمعرفة.

وحياة العقاد سلسلة طويلة من الكفاح المتصل والعمل الدؤوب، صارع الحياة والأحداث وتسامى على الصعاب، وعرف حياة السجن وشظف العيش.

لكن ذلك كله لم يُوهِنّ عزمه أو يصرفه عما نذر نفسه له، خلص للأدب والفكر مخلصًا له، وترهب في محراب العلم؛ فأعطاه الله ما يستحق من مكانة وتقدير.

بدأ نشاط العقاد الصحفي يقل بالتدريج وينتقل إلى مجال التأليف، وإن كانت مساهماته بالمقالات لم تنقطع إلى الصحف، فشارك في تحرير صحف روز اليوسف، والهلال، وأخبار اليوم، ومجلة الأزهر.

عُرف العقاد منذ صغره بنهمه الشديد في القراءة، وإنفاقه الساعات الطوال في البحث والدرس، وقدرته الفائقة على الفهم والاستيعاب، وشملت قراءاته الأدب العربي والآداب العالمية.

فلم ينقطع يومًا عن الاتصال بهما، فلا يمنعه شيء عن قراءة ومتابعة كل جديد يتم إصداره، وبلغ من شغفه بالقراءة أنه يطالع كتبًا كثيرة لا ينوي الكتابة في موضوعاتها.

حتى إن أديبًا زاره يومًا، فوجد على مكتبه بعض المجلدات في غرائز الحشرات وسلوكها، فسأله عنها، فأجابه بأنه يقرأ ذلك توسيعًا لنهمه وإدراكه، حتى ينفذ إلى بواطن الطبائع وأصولها الأولى، ويقيس عليها دنيا الناس والسياسة.

وكتب العقاد عشرات الكتب في موضوعات مختلفة، فكتب في الأدب والتاريخ والاجتماع مثل: مطالعات في الكتب والحياة، ومراجعات في الأدب والفنون، وأشتات مجتمعة في اللغة والأدب، وساعات بين الكتب، وعقائد المفكرين في القرن العشرين، وجحا الضاحك المضحك، وبين الكتب والناس، والفصول، واليد القوية في مصر.

ووضع في الدراسات النقدية واللغوية مؤلفات كثيرة، أشهرها كتاب "الديوان في النقد والأدب" بالاشتراك مع المازني، وأصبح اسم الكتاب عنوانًا على مدرسة شعرية عُرفت بمدرسة الديوان، وكتاب "ابن الرومي حياته من شعره"، وشعراء مصر وبيئاتهم في الجيل الماضي، ورجعة أبي العلاء، وأبو نواس الحسن بن هانئ، واللغة الشاعرية، والتعريف بشكسبير.

للعقاد في السياسة عدة كتب يأتي في مقدمتها: "الحكم المطلق في القرن العشرين"، و"هتلر في الميزان"، "وأفيون الشعوب"، "وفلاسفة الحكم في العصر الحديث"، و"الشيوعية والإسلام"، و"النازية والأديان"، و"لا شيوعية ولا استعمار".

وهو في هذه الكتب يحارب الشيوعية والنظم الاستبدادية، ويمجد الديمقراطية التي تكفل حرية الفرد، الذي يشعر بأنه صاحب رأي في حكومة بلاده.

وهو يُعدُّ الشيوعية مذهبًا هدَّامًا يقضي على جهود الإنسانية في تاريخها القديم والحديث، ولا سيما الجهود التي بذلها الإنسان للارتفاع بنفسه إلى مرتبة المخلوق الذي يعرف حرية الفكر وحرية الضمير.

وله تراجم عميقة لأعلام من الشرق والغرب، مثل "سعد زغلول، وغاندي وبنيامين فرانكلين، ومحمد علي جناح، وعبد الرحمن الكواكبي، وابن رشد، والفارابي، ومحمد عبده، وبرناردشو، والشيخ الرئيس ابن سينا".

وأسهم في الترجمة عن الإنجليزية بكتابين هما "عرائس وشياطين، وألوان من القصة القصيرة في الأدب الأمريكي".

تجاوزت مؤلفات العقاد الإسلامية أربعين كتابًا، شملت جوانب مختلفة من الثقافة الإسلامية، فتناول أعلام الإسلام في كتب ذائعة، عرف كثير منها باسم العبقريات.

وهو في هذه الكتب لا يهتم بسرد الحوادث، وترتيب الوقائع، إنما يعني برسم صورة للشخصية تُعرِّفنا به، وتجلو لنا خلائقه وبواعث أعماله، مثلما تجلو الصورة ملامح من تراه بالعين.

وقد ذاعت عبقرياته واُشتهرت بين الناس، وكان بعضها موضوع دراسة الطلاب في المدارس الثانوية في مصر، وحظيت من التقدير والاحتفاء بما لم تحظ به كتب العقاد الأخرى.

ألَّف العقاد في مجال الدفاع عن الإسلام عدة كتب، يأتي في مقدمتها: حقائق الإسلام وأباطيل خصومه، والفلسفة القرآنية، والتفكير فريضة إسلامية، ومطلع النور، والديمقراطية في الإسلام، والإنسان في القرآن الكريم، والإسلام في القرن العشرين وما يقال عن الإسلام.

وهو في هذه الكتب يدافع عن الإسلام أمام الشبهات التي يرميه بها خصومه وأعداؤه، مستخدمًا علمه الواسع وقدرته على الحجة، وإفحام الخصوم بالمنطق السديد، فوازن بين الإسلام وغيره وانتهى من الموازنة إلى شمول حقائق الإسلام من شوائب الملل الغابرة حين حُرِّفت عن مسارها الصحيح.

وقد رد العقاد في بعض هذه الكتب ما يثيره أعداء الإسلام من شبهات ظالمة يحاولون ترويجها بشتى الوسائل، مثل انتشار الإسلام بالسيف، وتحبيذ الإسلام للرق، وقد فنَّد الكاتب هذه التهم بالحجج المقنعة والأدلة القاطعة في كتابه "ما يقال عن الإسلام".

لم يكن العقاد كاتبًا فذا وباحثًا ومفكرًا عميقًا فقط، بل كان شاعرًا مجددًا، له عشرة دواوين، هي: يقظة الصباح، ووهج الظهيرة، وأشباح الأصيل، وأعاصير مغرب، وبعد الأعاصير، وأشجان الليل، ووحي الأربعين، وهدية الكروان، وعابر سبيل، وديوان من دواوين، وهذه الدواوين العشرة هي ثمرة ما يزيد على خمسين عامًا من التجرية الشعرية.

بايعه طه حسين بإمارة الشعر بعد موت شوقي، وحافظ إبراهيم، قائلا: "ضعوا لواء الشعر في يد العقاد، وقولوا للأدباء والشعراء أسرعوا واستظلوا بهذا اللواء، فقد رفعه لكم صاحبه".

ظل العقاد عظيم الإنتاج، لا يمر عام دون أن يسهم فيه بكتاب أو عدة كتب، حتى تجاوزت كتُبُه مائةَ كتاب، بالإضافة إلى مقالاته العديدة التي تبلغ الآلاف في بطون الصحف والدوريات، ووقف حياته كلها على خدمة الفكر الأدبي حتى لقي الله في الثاني عشر من مارس 1964م، رحمه الله.

(١٦) الأديب أنيس منصور

أنيس منصور، هو كاتب صحفي وفيلسوف وأديب مصري، اشتهر بالكتابة الفلسفية عبر ما ألفه من إصدارات، جمع فيها إلى جانب الأسلوب الفلسفي الأسلوب الأدبي الحديث.

ولد أنيس منصور في 18 أغسطس 1924 في إحدى قرى محافظة الدقهلية الواقعة في شرق دلتا النيل في مصر، حفظ القرآن كله وهو في سن التاسعة عند كتاب القرية وكان له في ذلك الكتاب حكايات عديدة حكى عن بعضها في كتابه عاشوا في حياتي، كما كان يحفظ آلاف الأبيات من الشعر العربي والأجنبي.

كانت بداية أنيس منصور الأدبية مع القرآن، حيث حفظه في سن صغيرة في كتّاب القرية وكان له في ذلك الكتاب حكايات عديدة حكى عن بعضها في كتابه "عاشوا في حياتي".

كان الأول في دراسته الثانوية على كل طلبة مصر حينها، ثم التحق بكلية الآداب في جامعة القاهرة برغبته الشخصية.

دخل قسم الفلسفة الذي تفوق فيه وحصل على ليسانس آداب عام 1947، عمل أستاذاً في القسم ذاته، لكن في جامعة عين شمس لفترة، ثم تفرغ للكتابة والعمل الصحافي في مؤسسة أخبار اليوم.

تعلم أنيس منصور لغات عدة منها: الإنكليزية والألمانية والإيطالية واللاتينية والفرنسية والروسية، وهو ما مكنه من الاطلاع على ثقافات عديدة، ترجم عنها عددًا كبيرًا من الكتب الفكرية والمسرحيات، كما سافر إلى العديد من بلدان العالم.

آثر أن يتفرغ للكتابة مؤلفاً وكاتباً صحفياً، وترأس العديد من مناصب التحرير لعدد من الصحف والمجلات، إذ صحب هذا المشوار الصحفي اهتمامه بالكتابة الصحفية.

وحافظ على كتابة مقال يومي تميز ببساطة أسلوبه استطاع من خلاله أن يصل بأعمق الأفكار إلى البسطاء.

ظل يعمل في أخبار اليوم حتى تركها في عام 1976 ليكون رئيساً لمجلس إدارة دار المعارف، ثم أصدر مجلة الكواكب.

عرف بأن له عادات خاصة بالكتابة حيث كان يكتب في الرابعة صباحاً ولا يكتب نهاراً، ومن عاداته أيضاً أنه كان حافي القدمين ويرتدي البيجاما وهو يكتب، كما عرف عنه أنه لا ينام إلا ساعات قليلة جداً، وكان يعاني من الأرق ويخشى الإصابة بالبرد دائماً.

حصل في حياته على الكثير من الجوائز الأدبية من مصر وخارجها ومن أبرزها الدكتوراه الفخرية من جامعة المنصورة، وجائزة الفارس الذهبي من التلفزيون المصري، وجائزة الدولة التشجيعية في مصر في مجال الأدب.

كما له تمثال بمدينة المنصورة يعكس مدى فخر بلده به.

ظل أنيس منصور لفترة لا هم له إلا شراء الكتب ودراسة الفلسفة حتى وقعت له نقطة تحول مهمة، هي حضوره لصالون عباس محمود العقاد، والذي كان بالنسبة له بمنزلة بوابة على عالم آخر لم يعهده من قبل.

وسجل كل ذلك في كتاب في صالون العقاد كانت لنا أيام وقدم فيه مشاكل جيله وعذاباته وقلقه وخوفه وآراءه في مواجهة جيل العمالقة من أمثال طه حسين، العقاد، توفيق الحكيم، سلامة موسى وغيرهم الكثير من أعلام الفكر والثقافة في مصر في ذلك الوقت.

كانت بداية أنيس منصور في عالم الصحافة مع مؤسسة أخبار اليوم - إحدى أكبر المؤسسات الصحفية المصرية - حين انتقل إليها مع كامل الشناوي، وتتلمذ على يد مؤسسيها الأستاذين مصطفى وعلي أمين.

ثم ما لبث أن تركها وتوجه إلى مؤسسة الأهرام في مايو عام 1950 حتى عام 1952 ثم سافر أنيس منصور وكامل الشناوي إلى أوروبا، وفي ذلك الوقت قامت ثورة 23 يوليو 1952.

وقام أنيس منصور بإرسال أول مواضيعه إلى أخبار اليوم.

وكان يقول: كانت بدايتي في العمل الصحفي في أخبار اليوم وهذا بالضبط ما لا أحب ولا أريد فأنا أريد أن أكتب أدباً وفلسفة، لا أحب العمل الصحفي البحت أنا أديب كنت وسأظل أعمل في الصحافة.

تراوح بين الصحافة والأدب والفن والفلسفة وكان من أصغر رؤساء التحرير في مصر حيث تولى رئاسة تحرير مطبوعة وهو لم يكمل الثلاثين من عمره.

وتنقل بين أشهر المؤسسات الصحفية في مصر أخبار اليوم وآخر ساعة والأهرام والهلال، حتى كلفه الرئيس السادات بتأسيس مجلة أكتوبر في 31 أكتوبر 1976م وهي مجلة عربية سياسية اجتماعية شاملة ليكون رئيساً لتحريرها ورئيساً لمجلس إدارة دار المعارف حتى سنة 1984.

وكان أنيس منصور الصحفي الأول للسادات بعد 1975 وكان صديقاً مقرباً وكاتماً للأسرار، ويعلم الكثيرون أن ما في خزانة منصور من الأسرار والحوارات والوثائق والتسجيلات لا يقدر بثمن ولم يكشف عنها لأسباب لم يفصح عنها، ورافقه في زيارته إلى القدس عام 1977.

عاش أنيس منصور طوال حياته وهو ملء السمع والبصر معروفاً مشهوراً، مزهواً بثقافته ومكانته، عاصر الملكية وشهد حكم عبد الناصر وعاصر السادات وكان مقرباً منه، وعاش سنوات حكم الرئيس السابق محمد حسني مبارك.

كتب منصور في جريدة الأهرام المقال اليومي الأكثر قراءة "مواقف" ويكتب أيضاً في صحيفة الشرق الأوسط.

وترأس تحرير العديد من المجلات منها: الجيل، وهي، وآخر ساعة، وأكتوبر، والعروة الوثقى، ومايو، وكاريكاتير، والكاتب.

ونقلت مقالاته التي كان يكتبها قديماً الى صحيفة آخر لحظة، وعاش أنيس منصور محبا للآداب والفنون دارساً للفلسفة ومدرساً لها مشتغلاً بالصحافة وأستاذاً من أساتذتها.

ومساهماً في كل تلك المجالات وغيرها بكتب ومؤلفات قاربت مائتي كتاب تشكل في مجموعها مكتبة كاملة متكاملة من المعارف والعلوم والفنون والآداب والسياسة والصحافة والفلسفة والاجتماع والتاريخ والسياسة والمرأة.

وكتب في مجلات متنوعة عكست نظرته ورؤيته للكون والإنسان والحياة وساهمت في تشكيل وجدان وثقافة أجيال عديدة من الشباب في العالم العربي كله.

وأجاد أنيس منصور عدة لغات إلى جانب العربية ومنها الإنجليزية والألمانية والإيطالية. كما اطلع على كتب عديدة في هذه اللغات وترجم بعضاً من الكتب والمسرحيات المكتوبة بغير العربية.

سافر أنيس منصور كثيراً وكتب الكثير في أدب الرحلات، وألف في ذلك عدداً من الكتب منها "كتاب حول العالم في 200 يوم" الذي يعتبر الأكثر انتشاراً باللغة العربية، و"بلاد الله لخلق الله"، و"غريب في بلاد غريبة"، و"اليمن ذلك المجهول" و"أنت في اليابان" وبلاد أخرى، و"أعجب الرحلات في التاريخ".

كانت كتابات أنيس منصور في ما وراء الطبيعة في فترة من الفترات هي الكتابات المنتشرة بين القراء والمثقفين، ومن أشهر كتبه في هذا المجال (الذين هبطوا من السماء)، و(الذين عادوا إلى السماء)، و(لعنة الفراعنة).

كما ترك أنيس منصور عددا من المؤلفات التي تحولت لأعمال سينمائية ومسرحية وتلفزيونية ومن اشهرها مسرحية "حلمك يا شيخ علام"، و"من الذي لا يحب فاطمة"، و"هي وغيرها"، و"عندي كلام".

كان لأنيس منصور نشاط واسع في ميدان الترجمة، حيث ترجم إلى العربية عدداً من الكتب والأعمال الأدبية الأجنبية، بلغت نحو 9 مسرحيات و5 روايات من لغات مختلفة، إلى جانب 12 كتاباً لفلاسفة أوروبيين.

وفي الوقت ذاته اهتمت دور النشر العالمية بترجمة كثير من أعماله إلى اللغات الأوروبية وخاصة الإنجليزية والإيطالية.

ثم تفرغ في أواخر حياته لكتابة المقال السياسي والاجتماعي المعروف باسم مواقف في جريدة الأهرام اليومية إلى جانب عموده اليومي في جريدة الشرق الأوسط.

كانت كتاباته عن الوجودية من أفضل ما كتب عنها باللغة العربية، وكان أكبر قارئ في العالم العربي كما وصفه الأديب طه حسين، وساعده على ذلك إجادته لعدة لغات أجنبية.

لم يكن أنيس منصور يترجم ما يقرأ من مصادر أجنبية، بل كان يهضم ما يقرأ تماماً ثم يبدأ في كتابة مقال عن الموضوع بعقل المفكر الفيلسوف فيضيف إليه معلومات ورؤية جديدة.

وكان حريصاً في عموده اليومي على أن يقدم للقارئ المصري والعربي معلومة جديدة أو أكثر في كل مقال، لقد كانت له طريقة وتوليفة خاصة في الكتابة يصعب تقليدها وانجذب لها ملايين القراء في الوطن العربي.

بالرغم من كل هذا لم يكن المفكر أنيس منصور متكبراً أو مغروراً على الإطلاق كما يظن البعض بل كان متواضعاً، لكن في نفس الوقت كان على درجة عالية من الثقة والاعتداد بالنفس ربما يفسرها من لا يعرفه بالغرور والتعالي.

كانت في شخصيته المتواضعة كبرياء، وكان في كبريائه تواضع، وربما أنه تأثر بهذه الصفة من علاقته المبكرة وقربه وإعجابه بالأديب عباس محمود العقاد.

لم يكن أنيس منصور كاتباً صحفياً كبيراً فحسب بل كان موسوعة بشرية متنقلة، كان ظاهرة وحالة فكرية وأدبية خاصة في الكتابة والصحافة في مصر والوطن العربي.

وكان فيلسوفاً ومفكراً مبدعاً متعدد المواهب، ومواطناً عالمياً انفتح في سن مبكرة على العالم وثقافاته المختلفة ودون أن ينسى جذوره المصرية.

توفي انيس منصور صباح يوم الجمعة الموافق 21 أكتوبر عام 2011 عن عمر ناهز 87 عاماً بمستشفى الصفا بعد تدهور حالته الصحية على إثر إصابته بالتهاب رئوي.

(١٧) الأديب فهد بن يوسف الدويري

وصلنا إلى شخصية أدبية من دولة الكويت، شخصيتنا فهو واحد من أدبائها وكُتّابها الذين عاصروا نهضتها الأدبية وهو ممن ساهموا بفعالية في وضع اللبنة الأساسية لصرح الثقافة والأدب فيها، وهو أيضا من الرواد الأوائل في الحركة الأدبية والثقافية في دولة الكويت الذين تركوا بصمات واضحة على مسيرة العلم والثقافة والفن الأدب والفكر في بلادنا، إنه القاص المرحوم الأستاذ فهد بن يوسف الدويري.

ولد فهد يوسف الدويري في دولة الكويت يوم الثلاثاء الأول من شهر فبراير عام 1921م، في أحضان عائلة عربية كويتية مسلمة محافظة.

تلقى الفقيد الراحل الأستاذ فهد الدويري تعليمه الأولي في المدرسة المباركية في الكويت ثم واصل تعليمه وأتمه في البصرة بالعراق.

شارك في إصدار مجلة (الرائد) الكويتية التي كانت تصدر عن نادي المعلمين في الكويت بالتعاون مع الأديبين الراحلين المرحومين حمد الرجيب واحمد العدواني.

وكان الأديب الدويري كاتباً سياسياً منذ نعومة أظفاره ومتحدثاً لبقاً في السياسة وما إليها، فقد كتب وتحدث كثيراً عن قضية فلسطين ونكبة الشعب العربي الفلسطيني عام 1948م، حيث نشر أكثر من مقال في الصحف العربية.

وفي يوليو عام 1948م، كتب في مجلة (كاظمة) الكويتية التي كان يرأس تحريرها الأستاذ الشاعر احمد السقاف وكانت أول قصة كتبها بعنوان «من الواقع» وهو من الذين اجادوا في كتابة القصة حيث استمر يكتب القصص ذات الدلالات الواضحة عن عمق تفكيره وسعة أفقه ورؤيته الصائبة لتطور الأوضاع، لكنه توقف عن الكتابة في القصة في عام 1954م.

وعاد للكتابة ثانية ولكن هذه المرة كانت على صفحات مجلة (العربي) التي تصدرها وزارة الإعلام بدولة الكويت ومجلة «البيان» التي تصدرها رابطة الأدباء الكويتية، ونظراً لتفوقه في كتابة القصة فقد لقب بـ «أمير القصة الكويتية» و«شيخ القصاصين الكويتيين».

كان المرحوم الأستاذ فهد الدويري غزير الإنتاج الادبي والفكري وكان مخلصاً في عمله ويكتب بأكثر من اسم مستعار في العدد الواحد من الصحيفة او المجلة التي يكتب فيها، كما قال عنه الاديب المرحوم الاستاذ خالد سعود الزيد انه «شيخ القصاصين الكويتيين» بلا منازع.

فهو «بن جبير» وهو «العجوز» وهو «قصاص» وهو «أبو ذر» وهو «ابن العاقول» وهو نفسه فهد يوسف الدويري.

قاد المرحوم الدويري حملة في مجلة (الرائد) الكويتية من اجل تطبيق مشروع الضمان الاجتماعي في دولة الكويت وكان ذلك في عام 1952م، بل انه قدم مشروعاً متكاملاً تحدث فيه عن مواد المشروع ووسائل تنفيذه وهيكله التنظيمي.

فهو يعد من رواد ادب الرحلات في الصحافة الكويتية فقد كتب العديد من المواضيع المفيدة عن مشاهداته وتنقلاته في الاردن وفلسطين وكان يذيل تلك المشاهدات والتنقلات بتوقيع (ابن جبير).

وله ايضاً مجموعة متنوعة من القصص القصيرة تقترب من الاربعين منها (من الواقع) و(العنيفة) و(متى يدافع الشعب) وغيرها من القصص التي تميزه عن غيره من القصاصين الكويتيين.

ان غياب شاعرنا الكبير وأديبنا الراحل الاستاذ فهد يوسف الدويري يعتبر بحق خسارة كبيرة لا تعوض للأدب والثقافة في دولة الكويت.

فقد وهب هذا الاديب الكبير كل حياته لخدمة وطنه ومجتمعه من خلال الثقافة والاعلام والفن والفكر في مختلف الميادين.

فهو علم من أعـلام المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب في دولة الكويت وكان عطاؤه متميزاً خلال عضويته في هذا المجلس، كما اسهم بفعالية عندما كان عضواً في مجلس ادارة وكالة الانباء الكويتية (كونا) في تطوير هذه المؤسسة الاعلامية الاخبارية في مجالات الثقافة والاعلام على مختلف المستويات.

وبعد حياة حافلة بالمنجزات الادبية والثقافية وبعد حياة مليئة بالعطاء والتضحية لوطنه الكويت ولأمته وناسه انتقل اديبنا الراحل إلى رحمة الله مع الخالدين يوم الاربعاء الموافق 21 مايو 1999م حيث شيع الى مثواه الاخير في موكب مهيب شارك فيه أعضاء رابطة الادباء الكويتية وجمعية الصحفيين الكويتية وجمع من محبي الادب من كويتيين وعرب.

(١٨) الأديب خالد سعود الزيد

الأديب خالد سعود الزيد، ولد في 27 من يناير عام 1937 في الكويت.

حيث بدأ الدراسة في المدرسة القبلية عام 1943م ثم المدرسة المباركية عام 1951م، لكنه ترك الدراسة للعمل عام 1957 وظل يعمل حتى أحيل على التقاعد عام 1986م.

يعتبر الأديب خالد الزيد أول من وضع موسوعة تاريخية أدبية لأدباء الكويت، وأول من وضع كتاباً عن تاريخ المسرح موثقا تاريخه ومسيرته ثم جمع مسرحياته التي نشرت في المجلات والصحف.

وكذلك يعتبر أول من وضع مقدمة عن تاريخ القصة في الكويت فجمع بدايات فن القصة في الكويت من الصحف والمجلات منذ بداية الصحافة في الكويت ووضع أيضاً كتاباً عن أدب الرحلات في الكويت.

بالإضافة إلى أنه يعتبر أول من اكتشف آثارا تاريخية لمدينة قديمة بمنطقة الصبية في الكويت أوائل الثمانينيات من القرن العشرين.

لقد أسهم الشاعر الأديب والمؤرخ الكويتي خالد سعود الزيد في وضع لبنة حقيقية للمعرفة في العالم العربي.

حين أنكر البعض في حقبة ما بعد الاستقلال وجود أدب وأدباء في الكويت، وراحوا يكتبون ذلك في الصحف والمجلات.

انبرى الزيد للتاريخ ولأدباء هذا الوطن وعكف على تأليف كتابه "أدباء الكويت في قرنين" الذي صدر في ثلاثة أجزاء في الفترة من 1966 حتى عام 1982م.

وقد أرخ فيه لبدايات الحركة الأدبية والفكرية والثقافية في الكويت من خلال أدباء لم يحفل أحد من أبنائهم بجمع إنتاجهم الأدبي، ولم يلتفت أحد من الأدباء قبله للترجمة لهم على هذا النحو الواعي بأهمية دورهم الأدبي في تاريخ الكويت.

ولم يتوقف الزيد عند هذا الجهد التأسيسي بل راح يجمع كل ما من شأنه التأكيد على وجود أدب وأدباء في الكويت.

فجمع من المجلات القديمة القصص اليتيمة التي سطرها أدباء كويتيون في كتابه "قصص يتيمة في المجلات الكويتية".

ووضع لهم مقدمة لم تسبق عن تاريخ القصة في الكويت بل كانت عماداً لكل من جاء بعده يدرس القصة الكويتية من أمثال الدكتورة هيفاء السنعوسي التي أشارت في مقدمة كتابها عن القصة القصيرة في الكويت أنه لولا كتاب الزيد عن القصة وجمعه لهذه القصص لما تمكنت من إنجاز بحثها عن القصة القصيرة في الكويت.

وكذلك الأستاذ الدكتور سليمان الشطي الذي وضع كتاباً عن القصة القصيرة في الكويت معتمداً على ما أنجزه الزيد وسطره في هذا الكتاب المهم.

وللزيد الريادة في معظم مؤلفاته وأنشطته الثقافية والأدبية، إذ انه أول من وضع كتاباً عن الأمثال العامية في الكويت في العام 1961م جمع فيه الأمثال الكويتية القديمة.

كذلك فإنه أول من أخرج مادة الكويت من "دليل الخليج" لمؤلفه الإنجليزي لوريمر الذي يقع في أربعة عشر مجلداً.

أحس الزيد بأهمية تلك المادة التاريخية والجغرافية عن الكويت، فعكف على إخراج المادة الخاصة بدولة الكويت والتعليق عليها وضبطها وتصحيح ما ورد في الكتاب من أخطاء.

وقد صدر كتابه في جزأين الأول عنوانه: "الكويت في دليل الخليج" "السفر التاريخي" والثاني عنوانه "الكويت في دليل الخليج "السفر الجغرافي" عام 1982م.

كما كان الزيد أول من وضع كتاباً مستقلاً عن الأديب الشاعر خالد الفرج (1954-1898م) وكذلك كتاباً عن شيخ القصاصين في الكويت الأديب الأستاذ

فهد الدويري ترجم فيه لسيرة حياته ومسيرته الأدبية وجمع فيه كل ما سطره الدويري من قصص.

وفي العام 1990م أقام الزيد معرضاً للمخطوطات العربية والمطبوعات الكويتية النادرة التي يمتلكها في الفترة ما بين (13إلى 20 فبراير) في رابطة الأدباء.

وقد احتوى هذا المعرض على أكثر من ثلاثمائة مخطوط عربي، فضلاً عن مخطوطات ومطبوعات كويتية تمثل النواة الحقيقية لنشأة الأدب في الكويت.

وقد أهدى الزيد هذا المعرض إلى سمو أمير البلاد الراحل الشيخ جابر الأحمد الجابر الصباح رحمه الله، ليكون نواة لمكتبة وطنية في الكويت.

ونظراً لهذه الجهود الأدبية والفكرية والثقافية التي حققها الزيد للكويت فإنه يعد الأديب الوحيد الذي حاز جائزة الدولة التقديرية مرتين: الأولى في الآداب والفنون لعام 1983م من مؤسسة الكويت للتقدم العلمي في حقل الأدب العربي الحديث، والثانية في الثقافة في العام 2001م.

وكان قد فاز كتابه "شيخ القصاصين الكويتيين فهد الدويري" بالمعرض الأول لرابطة الأدباء في الكويت الذي أقيم عام 1984م، كما حصل على وسام المؤرخين العرب في عام 1990م.

توفي الأديب خالد سعود الزيد في يوم الجمعة الثاني عشر من أكتوبر عام 2001، وبعد وفاته حصل على شخصية العام الثقافية في إمارة الشارقة في دولة الإمارات العربية، في نوفمبر من العام نفسه.

(١٩) الكاتب مصطفى أمين

مصطفى أمين.. عاشق الصحافة ولد وتوأمه علي أمين في فبراير عام 1914 في منزل خال والدتهم سعد زغلول ، وقد ناضلا سويا من اجل صاحبة الجلالة.

التحق مصطفى أمين عام 1935 بكلية الحقوق ثم سافر بعد ذلك للولايات المتحدة حيث التحق بجامعة جورج تاون وحصل في عام 1938 على الماجستير مع مرتبة الشرف في العلوم السياسية والاقتصاد والصحافة والتي عمل خلالها محرراً متجولاً بجريدة المصري.

بدأت علاقة مصطفى أمين مع الصحافة وشقيقه علي أمين عندما أصدرا معاً صحيفة ثم مجلة التلميذ ومجلة الأقلام.

ثم اشترك في تحرير مجلة الرغائب عام 1929 ولكنها توقفت عام 1930 فاشترك في تحرير (روز اليوسف) في نفس العام ثم انفصل عنها عام 1934 واشترك في إصدار آخر ساعة مع محمد التابعي.

تولى بعد ذلك رئاسة آخر ساعة في عام 1938 وفي أغسطس من نفس العام حكم عليه بالسجن مع الشغل لمدة 6 أشهر مع إيقاف التنفيذ لمدة 5 سنوات وتعطيل مجلة آخر ساعة لمدة 3 أشهر.

بعدها عُين رئيسا لقسم الأخبار بالأهرام وعمل في نفس الوقت محررا دبلوماسيا بالجريدة ثم تولى مجلة الاثنين التي أصبحت أوسع المجلات انتشارا وذلك في عام 1941.

كانت البداية الحقيقية له تأسيسه وشقيقه جريدة أخبار اليوم في 1941 التي أُنشئت لها مدرسة صحفية متميزة.

ثم اشترى مجلة آخر ساعة عام 1946 وفي عام 1952 أصدر مصطفى وعلي أمين جريدة الأخبار اليومية.

وفي عام 1960 صدر قانون تنظيم الصحافة وتم تأميم أخبار اليوم وابتعد مصطفى أمين عنها لأول مرة منذ إنشائها وعاد إليها عام 1963 رئيسا لمجلس إدارتها ثم مشرفا عاما لتحريرها.

وقد ألقي القبض على مصطفى أمين عدة مرات وكان أكثرها في عام 1951 حيث ألقي القبض عليه 26 مرة خلالها.

وفي 21 يوليو 1965 ألقي القبض عليه وصدر الحكم عليه بالأشغال الشاقة المؤبدة في 21 أغسطس 1966 وفي عام 1974 أصدر الرئيس أنور السادات قرارا جمهوريا بالعفو عنه وتم تعيينه في نفس العام رئيسا لتحرير أخبار اليوم.

وفي عام 1976 أصبح مصطفى أمين كاتبا متفرغا لعموده اليومي (فكرة) بالأخبار وأخبار اليوم.

كما أصبح مشرفا على عدد ضخم من المشروعات الإنسانية التي أنشاها هو وتوأمه وهي (ليلة القدر) و(لست وحدك) و(دار للأيتام) بـ 6 أكتوبر.

وقد أصدر مصطفى أمين العديد من المؤلفات الأدبية والصحفية كما سجل تجربته القاسية في المعتقل السياسي في تسعة كتب وروايات هي سنة أولى وثانية وثالثة ورابعة وخامسة سجن.

وكذلك روايات هي صاحب الجلالة الحب وصاحبة الجلالة في الزنزانة، وتحولت روايته سنة أولى حب إلى فيلم ثم تحولت رواياته (لا) و(الآنسة كاف) إلى تمثيليات إذاعية ثم تليفزيونية.

كما ألف للسينما (معبودة الجماهير) و(فاطمة) وكان أول إنتاج مصطفى أمين كتابه (أمريكا الضاحكة) عام 1943 والذي نفذت 3 طبعات منه خلال شهرين.

وتزوج من السيدة إيزيس بعد خروجه من المعتقل 1974 والتي رافقته طوال رحلة حياته حتى اللحظات الأخيرة وأوصى بأن تتولى رئاسة جمعية مصطفى وعلي أمين الخيرية.

نشأت جائزة مصطفى وعلي أمين الصحفية والتي تعتبر بمنزلة التتويج الحقيقي لمشاعر الأب الذي يحتضن أبناءه ويشجعهم ويحفزهم على مزيد من النجاح في بلاط صاحبة الجلالة.

ولم يقتصر هذا التكريم على الصحفيين بل امتد للمصورين ورسامي الكاريكاتير وسكرتارية التحرير الفنية وأيضا الفنانين.

ومن الفنانين الذين حصلوا على جائزته فاتن حمامة ويحيى الفخراني ونور الشريف وعبلة كامل ويحيى العلمي وعمار الشريعي وغيرهم.

وكانت علاقات مصطفى أمين جيدة بالفنانين كان اشهرها مع الفنانة أم كلثوم والتي وقفت بجوار أخبار اليوم في عثراتها المالية وعبد الحليم حافظ والموسيقار الكبير محمد عبد الوهاب ونجاة وكامل الشناوي وكمال الطويل وفاتن حمامة وغيرهم.

ويقول مصطفى أمين عن صداقاته للنجوم إن الحياة بجانب النجوم مرهقة ومتعبة ولكنها لذيذة وأنت في بعض الأحيان لا تستطيع أن ترى جمال الصورة إلا إذا ابتعدت عنها فالأضواء الساطعة تعميك.

وعن توأمه علي أمين قال كنا دائما نفكر في الغد لم نعش في الأمس أبدا كنا نكتب أحلامنا على الورق ونحاول تحقيقها كنا نكتبها في مفكرة ونسجل في صفحة أول يناير ما نتمنى أن نصنعه في آخر يوم في ديسمبر.

والغريب أن أحلامنا جميعها تحقق كما تمنيناها ولكن شيئا لم يخطر ببالنا وهو أن يموت واحد منا ويبقى الآخر على قيد الحياة.

وقد عشق مصطفى أمين الكتابة الصحفية ولهذا يقول عشت قصة حب طويلة ولا أتصور أنى أعيش يوما بغير قلم.

فلقد كان هذا القلم دائما صديقي وحبيبي أعطيته واعطاني عشقته واخلص لي وعندما أموت أرجو أن يضعوه بجواري في قبري.

توفي مصطفى أمين في 13 إبريل عام 1997، بعد حياة حافلة، ليلحق بتوأمه الذي توفي عام 1976.

(٢٠) الأديب محمد شكري

الأديب محمد شكري من الروائيين المغاربة، اشتهر بروايته الخبز الحافي التي واجهت موجة عارمة من الانتقادات والتي قال عنها مؤلفها نفسه، ان روايته أي الخبز الحافي تأبى أن تموت بعد أن حاول قتلها بروايات أخرى، وهي في نظره تلاحقه لأنها بكل بساطة ماضيه الخاص.

ولد محمد شكري في سنة 1935 م في آيت شيكر في إقليم الناظور شمال المغرب.

عاش طفولة صعبة وقاسية في قريته الواقعة في سلسلة جبال الريف، ثم عاش في مدينة طنجة التي نزح إليها مع أسرته الفقيرة سنة 1942م.

وصل شكري إلى مدينة طنجة ولم يكن يتكلم بعد العربية لأن لغته الأم كانت هي الأمازيغية، عمل صبي مقهى وهو دون العاشرة، ثم عمل حمّالاً، فبائع جرائد وماسح أحذية ثم اشتغل بعد ذلك بائعًا للسجائر.

انتقلت أسرته بعد ذلك إلى مدينة تطوان لكن هذا الشاب الأمازيغي سرعان ما عاد وحده إلى طنجة.

شكري لم يتعلم القراءة والكتابة إلا وهو ابن العشرين.

ففي سنة 1955 م قرر الرحيل بعيدًا عن العالم السفلي وواقع التسكع والتهريب والسجون الذي كان غارقًا فيه ودخل المدرسة في مدينة العرائش ثم تخرج بعد ذلك ليشتغل في سلك التعليم.

وفي سنة 1966 م نُشِرَت قصته الأولى العنف على الشاطئ في مجلة الآداب اللبنانية.

وحصل شكري بعد ذلك على التقاعد النسبي وتفرغ تمامًا للكتابة الأدبية.

وتوالت بعد ذلك كتاباته في الظهور واشتغل محمد شكري في المجال الإذاعي من خلال برامج ثقافية كان يعدها ويقدمها في اذاعة طنجة، أكثرها شهرة برنامج شكري يتحدث.

عاش شكري في طنجة لمدة طويلة لم يفارقها إلا لفترات زمنية قصيرة.

فهو لم يتزوج طوال حياته ومن أقواله في ذلك (لكي أصبح أبا لابن، عليّ أن أتزوج، لقد عزفت عن الزواج لأني أخشى أن أمارس على من ألد نفس التسلط والقهر اللذين مورسا عليّ، لهذا أنا أخشى أن يكون لي مولود).

تحفل نصوص محمد شكري بصور الأشياء اليومية بتفاصيلها الواقعية وتمنحها حيزًا شعريًا واسعًا، على عكس النصوص التي تقوم بإعادة صياغة أفكار أو قيم بأنماط شعرية معينة.

فشخصيات شكري وفضاءات نصوصه ترتبط ارتباطًا وثيقًا بالمعيش اليومي.

إذ يعتبر شكري "العالم الهامشي" أو "العالم السفلي" قضية للكتابة، فكتاباته تكشف للقارئ عوالم مسكوت عنها، فهو يتطرق لموضوعات محرمة في الكتابة الأدبية العربية وبخاصة في روايته الخبز الحافي أو الكتاب الملعون كما يسميها محمد شكري.

تحتل مدينة طنجة حيزاً مهماً ضمن كتابته، فقد كتب عن وجهها المنسي وظلمتها وعالمها الهامشي الذي كان ينتمي إليه في يوم من الأيام.

ومن أبرز أعماله الأدبية كما ذكرنا الخبز الحافي التي كتبها في عام 1972م، ولم تنشر بالعربية حتى سنة 1982م.

وروايات وجوه ومجنون الورد والخيمة والسوق الداخلي ومسرحية السعادة وغواية الشحرور الأبيض، بالإضافة إلى مذكراته مع جان جنيه، وبول بولز، و تينيسي وليامز.

ما زال الكاتب المغربي محمد شكري شاغل الناس فهو عنوان لتجربة أدبية وإنسانية فريدة من نوعها، حققت لصاحبها ذلك الأمل العزيز والمشروع الذي

يراود المبدعين في أن تعيش أسماؤهم وعناوين تركتهم الفنية والأدبية طويلا بعد أن تفنى أجسادهم.

فبالنسبة لكثير من النقاد المغاربة والعرب والأجانب الذين تابعوا تجربة شكري فإنه يشكل قيمة أدبية أكيدة لا تستمد نسقها فحسب من فرادة التجربة الحياتية لشخص ولد ونما على هامش المدينة والمجتمع، وأنتج صوته الخاص بعدما اهتدى إلى تعلم عصامي متأخر فتح له أبواب التعبير عن الذات والبوح بسيرتها، التي هي "تاريخ لمن ينساهم التاريخ" بتعبير الناقد المغربي محمد برادة.

في المقابل، يربط آخرون صيته العابر للحدود والقارات واقتحامه لأرقى المحافل الأدبية والجامعات باختياره موضوعات ذات جاذبية استشراقيه تثير شهية الغرب للتعرف على أصوات مشاكسة تغرد خارج سرب نظام الأخلاق والكتمان الجماعي.

ويتفق الباحثون على أن قمة التراث الأدبي لمحمد شكري تحققت في مادته السيرة الذاتية، حيث يصبح النص تاريخا شخصيا لشخصية عاشت أياماً صعبة في مدينة مثل طنجة، تلك المدينة المطلة على البحر المتوسط، ذات الثقل الأسطوري التي خلد شكري تاريخها السري في ذلك الوقت.

وقد وجدنا هذه الأبعاد السرية والأدبية صداها في مواد ملف تضمنه العدد الأخير من مجلة "عن الكتب" التي تصدر بمدينة طنجة.

الفضاء الساحر الذي احتضن محمد شكري وصنع وعيه الفردي والأدبي، بليله وعنفه وتناقضاته الاجتماعية والاقتصادية، بالإضافة شهادات وأوراق نقدية وحوارات، لكتاب مغاربة وأجانب، احتفت بتجربة مؤلف "الخبز الحافي"، الذي عرف عنه إقباله على الحياة.

ومن هذه الشهادات، يستعيد الناقد والروائي المغربي أحمد المديني سيرة الراحل كسليل الهامش المنبوذ الذي رغب في تحسين وضعه وصورته مع نفسه وتجاه مجتمعه الذي كان قد نبذه وعاش فيه على الطريق.

وبالنسبة له يعتبر شكري نموذجاً لعصامية فذة وهكذا ينبغي أن يوصف دائما قبالة من تلقوا تعليما منتظما وأصبحوا كتابا في ظروف مناسبة.

ويرى المديني أن الكاتب الأميركي الشهير بول بولز -الذي أقام طويلا في طنجة لعب دورا حاسما في بروز اسم شكري على واجهة الأدب العالمي، حيث كان أول من كتب سيرة شكري بالإنجليزية (الخبز الحافي)، وجمع شتاتها بعد أن تلقاها شفهيا من الكاتب، الذي عاد بعد سنوات إلى كتابتها باللغة العربية.

وبالتالي كانت النسخة الإنجليزية نافذة انفتحت للكاتب المغمور بحيث تواترت بعدها الترجمات والدراسات والكتابات الصحافية حول ظاهرة محمد شكري في سياق اهتمام كاسح من العالم الغربي.

مشاكسات محمد شكري ونصوصه الصادمة لما يسمى بالحس الأخلاقي الجماعي زادت من شهرته ودفعت به خارج حدود القطر المغربي والفضاء العربي.

حيث حظيت نصوصه بإقبال جماهيري مثير حتى في بلدان معروفة بتربيتها الاجتماعية المحافظة، مثل دول الخليج العربي.

كما يلاحظ الناقد والكاتب إبراهيم الخطيب الذي يستعيد الردود الصادرة ضد سيرة الخبز الحافي بعد نزولها إلى المكتبات المغربية، فقد مُنعت الرواية من التداول بعد بضعة أسابيع من صدورها.

ويرى الخطيب أن النقد المحافظ بالغ في إبراز الممنوعات الاجتماعية التي قاربها الكاتب، إلى أن اقتنص الفرصة لشن حملة شرسة، ومغرضة على الرواية، أدت إلى سحب نسخها من المكتبات، وهو ما شكل ضربة مادية قاسية للكاتب الذي طبع الكتاب على نفقته الخاصة.

في ظل المنع، شكل النسخ شبه السري وتداول النسخ القليلة المتوافرة من يد ليد وسيلة حفظت شهرة الرواية بل زادت من جاذبيتها والإقبال عليها محليا.

وقد تجاوز المنع حدود المغرب ليشمل "الخبز الحافي" في مناسبات عديدة، من ضمنها معارض الكتاب في عدة بلدان عربية، بل صدر المنع في فضاءات معروفة بانفتاحها على أوسع آفاق الإبداع الأدبي، على غرار الجامعة الأميركية بالقاهرة التي منعت الرواية لمدة 13 سنة.

ومع ذلك، يرى الخطيب أن مرور سنوات طويلة على صدور النص الإنجليزي لم يزد "الخبز الحافي" إلا قدرة على المشاكسة، إذ ما زالت موضوعا خصبا للبحث والدراسة في العديد من الجامعات الدولية.

ووفق هذا الرأي، فإن الردود الأخلاقية أهملت جوانب التميز في أدب شكري الذي نجح من خلال "الخبز الحافي" في "بناء مجموعة متماسكة من الأحداث بناء محكما تدعمه لغة حسية عنيفة استمدت واقعها من معايشة تلك الأحداث معايشة آنية أو عبر ذاكرة حريصة على استحضار مجريات الماضي.

كانت علاقات شكري كثيرة مع مجموعة الأدباء المغاربة والأجانب الذين تستهويهم روح طنجة وأساطيرها الحية.

ومع ذلك، كان مزاجه الصعب وتقلب أحواله يفقده الكثير من الصداقات الكبيرة.

وتعد صداقته مع الناقد المغربي الشهير محمد برادة واحدة من العلاقات الناجية التي أثمرت عملا مشتركا، عبارة عن رسائل متبادلة بينهما نشرت تحت عنوان "ورد ورماد".

كان برادة يحاول توجيه محمد شكري نحو تعميق تجربته الإبداعية وبعد سنوات على رحيل صديقه، يقر برادة بموهبة صاحب "زمن الأخطاء" و"الشطار" و"مجنون الورد" و"الخيمة".

يرى برادة أن "الخبز الحافي" نص أدبي يكتسي شكل رواية السيرة، ويمزج الواقع بالخيال.

وردا على المشككين في موهبة شكري، يقول الناقد المغربي (من خلال

نصوصه يتجلى بأن شكري واع بعناصر الصنعة الأدبية في مفهومها الحديث فضلا عن جرأته في استنطاق ذاته بعيدا عن الطهورية والاحتشام، وهذه صفات تمنحه عن جدارة صفة الكاتب).

لكنه لا يخفي مرارته بتوقف مشروع شكري في منتصف الطريق ويقول في هذا الجانب (كنت أحس أن باستطاعة شكري أن يكتب أكثر وأن يفتح أفقا جديدا أمام كتابته، خاصة بعد أن حصل على الاعتراف وتوافرت له شروط مادية تسعفه على التفرغ للإبداع).

ويضيف برادة (لكن يخيل إلي الآن أنني كنت أسائل من خلاله وضعية الكتّاب المغاربة الذين لم يستطيعوا الخروج من خانة الهواية و"كتاب يوم الأحد" (يوم العطلة الإدارية في المغرب).. ولعلني كنت متوهما لأن شروط حياته الملموسة كانت تطبق عليه فلم يكن بوسعه الذهاب إلى أبعد من ذلك.

وكان من الممكن أن يبقى شكري رقما مجهولا وسط ملايين الشباب المغربي الذين فرض عليهم أن يعبروا الحياة وهم على الهامش، لكن وعيه الذي جعله يتعلم القراءة والكتابة أتاح ولادة صوت يتكلم باسمه واسم الآلاف من الشباب المغربي الذين فقدوا صوتهم جراء الفقر والأمية" .

وفي شهادة من داخل المشهد الثقافي الغربي، يذهب الكاتب الإسباني الشهير خوان غويتيصولو إلى أن إنجاز شكري لا ينحصر في عملية الفضح ذات الطابع الثقافي والأخلاقي فحسب، بل أيضا ذات البعد اللغوي، حيث إنه تمرد على مستوى تصور الحياة والتجربة الملموسة.

ويخلص الكاتب الإسباني إلى أن حكاية شكري ترمز إلى مصير كل طفل أو شاب تحرمه شروطه الفردية والاجتماعية من الحصول على أي امتيازات معنوية ومادية.

ويلقي الكاتب المغربي حسن العشاب أضواء على جوانب مجهولة من حياة الروائي محمد شكري مؤلف الخبز الحافي، الذي يعتبره تلميذه المتفرد وطفلا أسطورياً انتقل من التشرد ليصبح "أسطورة أدبية" مذ صدرت سيرته الذاتية التي أثارت جدلا ولا تزال.

لكن العشاب يقول في كتابه "محمد شكري كما عرفته" إن هذه السيرة حملت بصمة كاتب أميركي أعاد صياغتها كعمل فني مصطنع، لتحمل طابعا فضائحيا حتى ينال الكتاب الإعجاب.

ويضيف أنه قال لشكري إن بإمكانه أن يجعل من كتاباته المتفرقة مؤلفا، فأجابه بسخرية "كيف لي وأنا أعيش بالخبز الحافي" فبادرته قائلا "لم لا يكون الخبز الحافي هذا عنوانا للكتاب ؟، لأنني أرى أن كتاباتك هذه تستحق هذا العنوان، وكان هذا آخر حوار لطيف دون أن أتوقع أنه سيأتي اليوم الذي سأرى فيه الخبز الحافي يحدث ضجة في الأدب العالمي ويترجم لعشرات اللغات".

رحل الروائي المغربي محمد شكري والنقاش بشأن أعماله الأدبية مازال مثار اهتمام من النقاد والأدباء والقراء وحتى المتخصصين بالتاريخ والاجتماع.

رحل الكاتب لكن طنجة عشيقته التي تغنى بها في كتاباته، باقية تشهد على عظمة من خلدها بجرأته في "الخبز الحافي" و"زمن الأخطاء" و"وجوه" و"السوق الداخلي" و"عزلة طنجة" و"جان جينيه في طنجة".

(٢١) الشاعر أحمد مشاري العدواني

وصلنا في رحلتنا إلى شاعر كويتي حفلت قصائده بظواهر فنية عديدة تمثل رفضه للظلم والعبودية أو الاستسلام للتعسف والدمار، يعتبر رائداً من رواد الحركة الفكرية في الكويت وساهم في تأسيس أهم الاصدارات والبرامج الثقافية، عشق العزلة والتأمل الوجداني وتغنى بعشق الكويت وطن الحب والسلام، كان نموذجا للشاعر النبيل والفارس الذي تجسدت في حياته اتجاهات مضيئة نحو الحب والحرية والسلام.

تنبأ بمحنة الكويت قبل رحيله وكتب قصائد المقاومة والرفض للطغاة.

إنه أحمد مشاري العدواني رائد الحركة الثقافية في الكويت وأحد رجال التنوير والنهضة التي أثرت الحياة الأدبية.

ولد الشاعر والأديب أحمد مشاري العدواني في عام 1923، ما زال ساكنا في وجدان بلاده وقلوب أمته وما زالت قصائده يتغنى بها التلاميذ كل صباح حين يعبرون عن انتمائهم وعشقهم لوطنهم الكويت.

أحمد مشاري العدواني نغمة متفردة تهادت على أوتار الحب والغربة والتمرد، فانبعث اللحن، عابقا بالشجن، دافئا بالعذاب، منحازا إلى الصمت، والسكون حيث التأمل وتجاوز الواقع في صراعاته وجنونه واتجاهاته المادية.

ظل العدواني منذ طفولته يبحث عن منابع وظلال الشجر العالي، ربما حاصرته الحيرة، وسكنته الدهشة فاندفع في موكب البراءة يقرأ حديث النجوم للآفاق، وأسرار الغيوم للأمطار، والمعنى الخفي فيما وراء هذا الكون البديع.

قرأ القرآن في طفولته، وحفظ بعض آياته واستلهم في معانيه بصيصاً من النور بددت وحشة الظلمات وكآبة الواقع.

بدأ في مرحلة مبكرة من حياته في اكتشاف عشقه الجميل للشعر والأدب وطموح عميق إلى التعبير عن الذات في صور شعرية فيها احساس مرهف صادق، ونفس شفافة تنبض بحب الخير والعدل والجمال.

توغل في درب الشعر وعصوره المختلفة حيث حفظ المعلقات وأخذته البطولة والفروسية والتضحية التي اتصف بها شعراء الشرف والمروءة والجهاد والنضال والحرية.

فاتجه للبحث عنها في مكتبة والده وعثر على كنوز الأدب القديم وفاض وجدانه بسحر الشعر، وزها خياله بصورة العاشق الذي يقتحم الصحراء ويشهر سيف النضال من أجل عيون الوطن والأرض والحبيبة.

ورحل العدواني في تلك الفترة مع قصائد المتنبي والشريف الرضي وأبو نواس والبحتري وأبي العلاء المعري ثم جبران خليل جبران وإيليا أبو ماضي والعقاد وشوقي ورواد النهضة الأدبية الحديثة.

ولا شك أن تلك الأمسيات التي كان يعقدها والده مع شعراء الكويت يتطارحون فيها الشعر وقصص الأدب وطرائفه ونوادره قد أثرت في وجدان العدواني وأودعت فيه موهبة الشعر.

وفتحت نوافذ كثيرة على هذا البيان الساحر والكلام العذب والخيال الذي يحلق في فضاء رحب ليحرر الروح من قيود الزمان.

كذلك مكتبة الأب احتوت على مجموعة كبيرة من الكتب في شتى فنون المعرفة، فظل ينهل من هذا النبع الصافي روائع الآداب العربية ويقول: (تعودت على حب المطالعة ومرافقة الكتاب).

تأصلت موهبته وتألقت في داخله صور متباينة لهؤلاء الرواد الذين اقتحموا الأهوال وثابروا وناضلوا حتى زرعوا في أرض الوطن رايات الحرية وقادوا شعوبهم إلى منابع النور وعاشوا حياتهم في تحد للصعاب ويبشرون بنهضة جديدة نحو طموحات العلم والفن في الخلق والابتكار.

في مدرسة المباركية تحسس العدواني دربه نحو منابع النور، تكثفت لحظات القراءة والاطلاع، واحتشدت في ذهنه رؤى نحو الارتقاء عن الواقع والسمو الروحي والتفكير الدائم في لمس حافات الابتكار والتجديد.

وكتب قصائد كثيرة في تلك الفترة تواكب الأحداث الوطنية والمناسبات الدينية وبعضها تعبير رقيق عن مشاعر الحب والأسى.

أحس العدواني في تلك الفترة أن هناك طموحا كبيرا يطلق ذاته من أسر الواقع ويفتح أمامه دربا يطل على العالم ويجادله ويناقضه، يطرح عليه تساؤلاته ويغامر في قلب الوجود بما يمتلك من سمو الروح والهمم العالية والمثل والمبادئ والقيم الجميلة.

ولذلك حين ذهب إلى الدراسة في جامعة الأزهر اندفع يشارك الطلبة المصريين في مظاهراتهم ضد الاحتلال الانجليزي.

تشكلت فلسفته القائمة على مقاومة الطغاة ومناصرة المظلوم، والدعوة إلى الحرية والحق والعدل والسلام.

وحفلت قصائده بظواهر فنية عديدة تمثل رفضه لهذا الظلم والعبودية والخضوع والاستسلام لقوى البطش والتعسف والدمار.

وتؤكد المواقف الحياتية للعدواني أنه كان نموذجا للشاعر النبيل، الذي تجسدت في كيانه الاتجاهات المضيئة نحو حياة خالية من العنف والحرب والفساد، حياة تُشيد فوق القمم النائية العالية التي تعلو فوق ما هو سائد وتلتزم بقيم الإنسان وموقفه النقي البريء.

عاد العدواني بعد دراسته في جامعة الأزهر إلى وطنه ليعمل في التدريس، ولعل احساسه بأنه معلم الأجيال قد بعث في ذاته هذا الإحساس الغامض الذي يحثه على الركض نحو منابع النور، في العلم والتربية يحقق المعلم ذاته ويعبر عن الجانب التعليمي والإنساني حين يضيء هذه العقول ويزرع في قلبها وردة التأثر ويرحل معها كل صباح إلى مدن الحرية والوجد والإيمان.

من المواقف الجميلة التي تدل على أن العدواني قد جمع في شخصيته بين الشاعر النبيل ورائد التنوير أنه قد تعرف في مصر على رواد الفكر والأدب وشارك في الحياة الثقافية والسياسية وبدأ ينشر قصائده في الصحف والمجلات بل إنه شارك مع صديقه الأستاذ حمد الرجيب في إصدار مجلة "البعثة" التي نشر فيها مجموعة من قصائده.

وأصبحت تلك المجلة من النوافذ الإعلامية المهمة التي أعلنت عن بوادر النهضة الأدبية الكويتية واستطاعت المجلة أن تشارك في الحياة الثقافية والأدبية ويلتقي على صفحاتها مجموعة من الأدباء والشعراء أصبحوا فيما بعد من أعلام الأدب في الكويت.

ويقول الأديب زكي محمد مجاهد الذي صاحب العدواني أثناء دراسته بالأزهر وصادقه طوال تلك السنوات: عرفت أحمد مشاري العدواني أثناء طلبه العلم في القاهرة وبيننا مودة وصداقة ومراسلة أدبية بعد سفره إلى وطنه ويزورني دائما كلما زار القاهرة ومن المشجعين لنشر كتابي "الأعلام الشرقية" وهو من أدباء وطنه المشتغلين بالعلم والأدب ونظم الشعر وجمع الكتب.

ويمكن أن نلاحظ عبارة "ومن المشجعين لنشر كتابي" فإنها تدلل على تلك الحماسة الغريبة والرغبة الشديدة داخل العدواني نحو التغيير والاصلاح ومقاومة الجمود والتخلف والثورة على القديم.

بدأ العدواني بعد مرحلة التدريس في ثانوية الشويخ بالعمل في وظائف إدارية عديدة في إدارة المعارف استطاع خلالها أن يساهم في تحديث المناهج الدراسية بحيث تلائم الاتجاهات والأفكار العلمية وتواكب الطموحات الراهنة وتبشر بخلق جيل أكثر قدرة على العطاء والالتزام بقضايا بلاده.

رغم عشقه للتأمل والعزلة الوجدانية كان يبادر إلى تحقيق البرامج التربوية والثقافية.

وإيمانه المطلق أن الفنان أو الأديب لديه رسالة لابد أن يحيا من أجلها، يبذل طاقاته الفكرية والبدنية والإبداعية لمحاربة الظلام الذي يحجب وجه الحقيقة عن الناس، ويبصرهم بدورهم في صنع غد مشرق للإنسان، وعاش العدواني يحارب الجمود والظلام والظلم مدركاً أن بلاده بدأت تجتاح عالما جديدا وأبناء وطنه تحول بهم الزمان من عصر البساطة والبحر والصيد إلى التقنية العلمية وانفتاح العالم أمامهم دون حدود.

ولذلك كان يدعو باستمرار إلى التغيير، حيث تمرد على الواقع الذي يفرض أننا مجرد أمة تستهلك ولا تنتج وأحس العدواني بالسأم من هذه الحياة لكنه لم يستسلم له لذلك طور هذا المفهوم إلى التحرك والرفض والإنجاز الفعلي لقرارات وبرامج ومشاريع ثقافية الهدف منها تثقيف الناس وتنويرهم.

وجاء دوره الحقيقي في وزارة الإعلام ثم المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب وجاءت تلك الأفكار التنويرية لتقدم للعالم العربي مجموعة من الإصدارات الفكرية في شتى فنون المعرفة ذات مستوى عال تهدف إلى إيقاظ الفكر وإثارة الروح وتحريض الإنسان على الالتزام بقضايا عصره.

ومن الغريب أنه في ظل هذه الإنجازات الأدبية والعلمية والنهضة الفكرية الكبيرة، كان العدواني ينشر قصائده حتى عام 1980 في الصحف والمجلات ولم يصدر له ديوان إطلاقاً حتى جاء الأمر مصادفة حين عرض عليه الأديب الأستاذ يحيى الربيعان هذه الفكرة وأسفر الحوار بينهما عن صدور ديوانه "أجنحة العاصفة" وكأن الأمر لم يكن يعني العدواني من قبل.

وأول دراسة كتبت عن شعر أحمد مشاري العدواني هي تلك التي كتبها أحمد الشرباصي ونشرت في كتابه "أيام الكويت" عام 1953.

ومن قبل كتب الأديب فهد الدويري تعقيبا على قصيدة "رأس حمار" ونشرت في مجلة البعثة عام 1951.

وبعد ذلك بدأت دراسات وبحوث ومقالات تنشر في الصحف والمجلات المتخصصة عن شاعرية العدواني.

وهب العدواني ذاته للنجمات الحائرة والعصافير المهاجرة إلى غابة الدمع، والأمواج المتسربة إلى روافد الغربة وينسل من ضوضاء الحياة حوله ويقيم خيمة في وجه الإعصار وزورقا على حافات هدير الشلالات يكتب ويغني مرة أخرى ويطلق صرخاته فوق وجه الأرض.

ظل العدواني فوق قمته العالية يفسح مجالا للآخرين أن ينجذبوا إليه ويصبحوا من هواة العلياء، ومن رواد حدائق الروح والنفوس الأبية المتمردة على الزيف والهوان والعبودية والتخلف والجمود.

ولذلك ظل يعزف نشيد الحرية والريح الغاضبة ويغني للوطن والإنسان الذي يقهر الصعاب وانحاز إلى النبع والغدير والعاصفة.

وإذا كانت قصيدة العدواني براءة هي النغمة العذبة التي انسابت في وداعه كنسيم الربيع قد كتبها في مرحلة مبكرة من حياته فإن آخر قصيدة كتبها هي نغمتان جديدتان.

وتوفي الشاعر الكبير أحمد مشاري العدواني رحمه الله في 17 يونيو عام 1990.

(٢٢) الأديب أحمد أمين إبراهيم الطباخ

عُدنا مرة أخرى إلى جمهورية مصر العربية، ومع الأديب أحمد أمين إبراهيم الطباخ الذي وُلد في الأول من أكتوبر عام 1886م في القاهرة، حيث اهتم به والده منذ صغره، وساعده في حفظ القرآن الكريم، وفرض عليه برنامجاً شاقاً في تلقي دروسه وعوده على القراءة والاطلاع.

دخل أحمد أمين الكُتَّاب وتنقل في أربعة كتاتيب، ودخل المدرسة الابتدائية، إلا أن أباه رأى أن يلحقه بالأزهر، فدرس الفقه؛ لأن الفقه يعده للقضاء الشرعي.

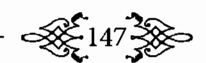
وفي تلك الفترة نشأت مدرسة القضاء الشرعي التي اختير طلابها من نابغي أبناء الأزهر، فتمكن من الالتحاق بها، بعد أن اجتاز اختباراتها في عام 1907، وكانت المدرسة ذات ثقافة متعددة دينية ولغوية وقانونية عصرية وأدبية.

شغل أحمد أمين وظيفة القاضي مرتين، الأولى سنة 1913، أما المرة الثانية حين تم إقصاؤه من مدرسة "القضاء الشرعي" لعدم اتفاقه مع إدارتها، حيث أمضى في القضاء خلال تلك الفترة أربع سنوات، وعُرف عنه فيها التزامه بالعدل وحبه له، حتى صار يُلقب بـ "العدل".

بدأ اتصال أحمد أمين بالجامعة سنة 1926 عندما رشحه د. طه حسين للتدريس بها في كلية الآداب.

ويمكن القول بأن حياته العلمية بالمعنى الصحيح آتت ثمارها وهو في الجامعة؛ فكانت خطواته الأولى في البحث على المنهج الحديث في موضوع المعاجم اللغوية، وكانت تمهيداً لمشروعه البحثي عن الحياة العقلية في الإسلام التي أخرجت "فجر الإسلام" و"ضحى الإسلام".

تولى في الجامعة تدريس مادة "النقد الأدبي"، فكانت محاضراته الأولى دروساً باللغة العربية.



ورُقِّي إلى درجة أستاذ مساعد من غير الحصول على الدكتوراه، ثم إلى أستاذ فعميد لكلية الآداب سنة 1939، واستمر في العمادة سنتين استقال بعدهما؛ لقيام وزير المعارف بنقل عدد من مدرسي كلية الآداب إلى الإسكندرية من غير أن يتم إخطار أحمد أمين في ذلك، فقدم استقالته وعاد إلى عمله كأستاذ.

في سنة 1945 انتُدب للعمل مديراً للإدارة الثقافية بوزارة المعارف، وأثناء توليه لها جاءت فكرة الجامعة الشعبية؛ حيث رأى أن للشعب حقاً في التعلم والارتواء العلمي، وكان يعتز بهذه الجامعة اعتزازاً كبيراً، وهي التي تطورت فيما بعد إلى ما سُمي بقصور الثقافة.

تولى أحمد أمين الإشراف على لجنة التأليف والترجمة والنشر مدة أربعين سنة منذ إنشائها حتى وفاته.

وكان لهذه اللجنة أثر بالغ في الثقافة العربية؛ إذ قدمت للقارئ العربي ذخائر الفكر الأوروبي في كل فرع من فروع المعرفة تقديماً أميناً يبتعد عن التجارة والتكسب المادي.

كما أنشأت هذه اللجنة مجلة "الثقافة" في يناير عام 1939، ورأس تحريرها، واستمرت في الصدور أربعة عشر عاماً متوالية.

وكان يكتب فيها مقالاً أسبوعياً في مختلف مناحي الحياة الأدبية والاجتماعية، وكانت ثمرة هذه الكتابات كتابه الرائع "فيض الخاطر" بأجزائه العشرة.

كما كان يكتب في مجلة "الرسالة" الشهيرة، وأثرى صفحاتها بمقالاته وكتاباته، وخاض بعض المحاورات مع كبار كتاب ومفكري عصره على صفحات الثقافة.

وأصبح عضواً بمجمع اللغة العربية سنة 1940 بمقتضى مرسوم ملكي، وكان قد اختير قبل ذلك عضواً مراسلاً في المجمع العربي بدمشق منذ 1926، وفي المجمع العلمي العراقي، وبعضويته في هذه المجامع الثلاثة ظهرت كفايته وقدرته على المشاركة في خدمة اللغة العربية.

كانت المعرفة والثقافة والتحصيل العلمي هي الشغل الشاغل لأحمد أمين، حتى إنه حزن حزنا شديدا على ما ضاع من وقته أثناء توليه المناصب المختلفة، ورأى أن هذه المناصب أكلت وقته وبعثرت زمانه ووزعت جهده مع قلة فائدتها، وأنه لو تفرغ لإكمال سلسلة كتاباته عن الحياة العقلية الإسلامية لكان ذلك أنفع وأجدى.

امتازت كتاباته بدقة التعبير وعمق التحليل والنفاذ إلى الظواهر وتعليلها، والعرض الشائق مع ميله إلى سهولة في اللفظ وبعد عن التعقيد والغموض.

فألّف حوالي 16 كتابا كما شارك مع آخرين في تأليف وتحقيق عدد من الكتب الأخرى.

ومن مؤلفاته فجر الإسلام وضحى الإسلام في 3 أجزاء وظهر الإسلام في 4 أجزاء ويوم الإسلام وقاموس العادات والتقاليد والتعابير المصرية ومن زعماء الإصلاح وزعماء الإصلاح في العصر الحديث وفيض الخاطر في 10 أجزاء.

ومن الكتب التي قام بترجمتها، مبادئ الفلسفة، وكتب مدرسية، والمنتخب من الأدب العربي، والمفصل في الأدب العربي، والمطالعة التوجيهية، وتاريخ الأدب العربي.

أصيب أحمد أمين قبل وفاته بمرض في عينه، ثم بمرض في ساقه فكان لا يخرج من منزله إلا لضرورة قصوى، ورغم ذلك لم ينقطع عن التأليف والبحث حتى توفاه الله في 27 رمضان من عام 1373 هـ الموافق 30 مايو سنة 1954م، فبكاه الكثيرون ممن يعرفون قدره. ولعل كلمته: "أريد أن أعمل لا أن أسيطر" مفتاح مهم في فهم هذه الشخصية الكبيرة.

(٢٣) الروائي غسان كنفاني

شخصيتنا هو روائي وقاص وصحفي فلسطيني تم اغتياله على يد جهاز المخابرات الإسرائيلية في الثامن من يوليو عام 1972 عندما كان عمره 36 عاما بتفجير سيارته في منطقة الحازمية قرب بيروت.

كتب بشكل أساسي بمواضيع التحرر الفلسطيني، وهو عضو المكتب السياسي في الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين، إنه الأديب والروائي غسان كنفاني.

الذي ولد في عكا في التاسع من ابريل عام 1936 ، ففي عام 1948 أجبر وعائلته على النزوح فعاش في سوريا ثم في لبنان حيث حصل على الجنسية اللبنانية.

أكمل دراسته الثانوية في دمشق وحصل على شهادة البكالوريا السورية عام 1952.

وفي ذات العام تسجّل في كلية الأدب العربي في جامعة دمشق ولكنه انقطع عن الدراسة في نهاية السنة الثانية، ثم انضم إلى حركة القوميين العرب التي ضمه إليها جورج حبش لدى لقائهما في عام 1953.

ذهب إلى الكويت حيث عمل في التدريس الابتدائي، ثم انتقل إلى بيروت للعمل في مجلة الحرية (1961) التي كانت تنطق باسم الحركة مسؤولا عن القسم الثقافي فيها، ثم أصبح رئيس تحرير جريدة (المحرر) اللبنانية، وأصدر فيها (ملحق فلسطين) ثم انتقل للعمل في جريدة الأنوار اللبنانية.

وحين تأسست الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين عام 1967 قام بتأسيس مجلة ناطقة باسمها حملت اسم "مجلة الهدف" وترأس غسان تحريرها، كما أصبح ناطقا رسميا باسم الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين.

خرج والد غسان كنفاني من عكا وكان غسان الابن الأكبر لعدد غير قليل من الأشقاء، وبما أن والده لم يكن مقتنعاً بجدوى الدراسات العليا فقد أراد لابنه أن يكون تاجراً أو كاتباً أو أن يعمل في أي مهنة.

ولكن طموح الابن أبى عليه إلا أن يتابع دراسته العليا فالتحق بمعهد الحقوق بالقدس في ظروف غير عادية.

وبما أن ظروفه المادية كانت صعبة للغاية، فما كان عليه إلا أن يتكل على جهده الشخصي لتأمين حياته ودراسته فكان تارة ينسخ المحاضرات لزملائه وتارة يبيع الزيت الذي يرسله له والده، وكان يشارك بعض الأسر في مسكنها، إلى أن تخرج كمحام.

عاد إلى عكا ليتزوج امرأة من أسرة ميسورة ومعروفة وشد رحاله بعد ذلك للعمل في مدينة يافا حيث مجال العمل أرحب وليبني مستقبله هناك.

وكافح هناك وزوجته إلى جانبه تشد أزره وتشاركه في السراء والضراء ونجح وكان يترافع في قضايا معظمها وطنية خاصة أثناء ثورات فلسطين واعتقل مرارا فكانت إحداها بإيعاز من الوكالة اليهودية.

وكان من عادة هذا الشاب تدوين مذكراته يوماً بيوم وكانت حسب وصفه من أعز ما يحتفظ به من متاع الحياة وينقلها معه حيثما حل أو ارتحل، وكثيراً ما كان يعود إليها ليقرأ على أصدقائه بعضها وهم مستمتعون بالسماع إلى ذكريات كفاحه، فقد كان فريدا بين أبناء جيله، وكان هذا الرجل العصامي ذو الآراء المتميزة مثلاً يحتذى به.

غسان هو الوحيد بين أشقائه الذي ولد في عكا، فقد كان من عادة أسرته قضاء فترات الاجازة والأعياد في عكا، وكان من نصيب غسان الالتحاق بمدرسة الفرير بيافا وكان يُحسد لأنه يدرس اللغة الفرنسية زيادة عما يدرسه غيره.

ولم تستمر دراسته الابتدائية هذه سوى بضع سنوات، فقد كانت أسرته تعيش في حي المنشية بيافا وهو الحي الملاصق لتل أبيب وقد شهد أولى حوادث الاحتكاك بين العرب واليهود التي بدأت هناك إثر قرار تقسيم فلسطين.

وعن هذه الفترة يقول "غسان نقلنا والدي وأتي بنا إلى عكا وعاد هو إلى يافا، حيث أقامت العائلة هناك من شهر أكتوبر عام 1947 إلى أن كانت إحدى ليالي أواخر أبريل 1948 حين جرى الهجوم الأول على مدينة عكا".

ويكمل غسان حديثه حيث يقول ظل المهاجرون خارج عكا في تل الفخار وخرج المناضلون يدافعون عن مدينتهم ووقف الرجال أمام بيتنا الواقع في اطراف البلد والكل يحمل ما تيسر له من سلاح وذلك للدفاع عن النساء والأطفال إذا اقتضى الامر.

واستمرت الاشتباكات منذ المساء حتى الفجر وفي الصباح كانت معظم الأسر تغادر المدينة.

وكانت أسرة غسان ممن تيسر لهم المغادرة مع عديد من الأسر في سيارة شحن إلى لبنان فوصلوا إلى صيدا.

وبعد يومين من الانتظار استأجروا بيتاً قديما في بلدة الغازية قرب صيدا، واستمرت عائلة غسان في ذلك المنزل أربعين يوما في ظروف قاسية إذ إن والده لم يحمل معه الا الشيء اليسير من النقود.

وبعد ذلك انتقل غسان وأهله بالقطار مع آخرين إلى حلب ثم إلى الزيداني ثم إلى دمشق حيث استقر بهم المقام في منزل قديم من منازل دمشق وبدأت هناك مرحلة أخرى قاسية من مراحل حياة غسان.

بعدها تحسنت أحوال أسرة غسان وافتتح أبوه مكتباً لممارسة المحاماة فأخذ غسان إلى جانب دراسته يعمل في تصحيح البروفات في بعض الصحف وأحياناً التحرير واشترك في برنامج فلسطين في الإذاعة السورية وبرنامج الطلبة وكان يكتب بعض الشعر والمسرحيات والمقطوعات الوجدانية.

وكانت تشجعه على ذلك وتأخذ بيده شقيقته التي كان لها في هذه الفترة تأثير كبير على حياته. وأثناء دراسته الثانوية برز تفوقه في مادتي الادب العربي والرسم وعندما أنهى الثانوية عمل في التدريس في مدارس اللاجئين وبالذات في مدرسة الاليانس بدمشق.

والتحق بجامعة دمشق لدراسة الأدب العربي وأسند إليه آنذاك تنظيم جناح فلسطين في معرض دمشق الدولي وكان معظم ما عرض فيه من جهد غسان الشخصي.

وذلك بالإضافة إلى معارض الرسم الاخرى التي أشرف عليها.

في هذا الوقت كان قد انخرط في حركة القوميين العرب وكان غسان يضطر أحيانا للبقاء ساعات متأخرة من الليل خارج منزله مما كان يسبب له احراجا مع والده الذي كان يحرص على انهائه لدروسه الجامعية.

في أواخر عام 1955 التحق للتدريس في المعارف الكويتية وكانت شقيقته قد سبقته في ذلك بسنوات وكذلك شقيقه.

وفترة اقامته في الكويت كانت المرحلة التي رافقت إقباله الشديد على القراءة وهي التي شحنت حياته الفكرية بصورة كبيرة فكان يقرأ بنهم لا يصدق.

وكان يقول انه لا يذكر يوماً نام فيه دون أن ينهي قراءة كتاب كامل أو ما لا يقل عن ستمائة صفحة وكان يقرأ ويستوعب بطريقة مدهشة.

وهناك بدأ يحرر في إحدى صحف الكويت ويكتب تعليقاً سياسياً بتوقيع "أبو العز" والذي لفت إليه الانظار بشكل كبير خاصة بعد أن زار العراق بعد الثورة العراقية عام 1958.

في الكويت كتب أيضاً أولى قصصه القصيرة "القميص المسروق" التي نال عليها الجائزة الأولى في مسابقة أدبية.

ثم ظهرت عليه بوادر مرض السكري في الكويت أيضاً وكانت شقيقته قد أصيبت به من قبل وفي نفس السن المبكرة مما زاده ارتباطاً بها وبالتالي بابنتها الشهيدة لميس نجم التي ولدت في يناير عام 1955.

فأخذ غسان يحضر للميس في كل عام مجموعة من أعماله الأدبية والفنية ويهديها لها وكانت هي شغوفة بخالها محبة له تعتز بهديته السنوية تفاخر بها أمام رفيقاتها ولم يتأخر غسان عن ذلك الا في السنوات الأخيرة بسبب ضغط عمله. وفي عام 1960 حضر غسان إلى بيروت للعمل في مجلة الحرية.

بيروت كانت المجال الأحب لعمل غسان وفرصته للقاء بالتيارات الأدبية والفكرية والسياسية.

بدأ عمله في مجلة الحرية ثم أخذ بالإضافة إلى ذلك يكتب مقالاً اسبوعيا لجريدة "المحرر" البيروتية والتي كانت تصدر أسبوعية صباح كل اثنين.

لفت نشاطه ومقالاته الانظار إليه كصحفي ومفكر وعامل جاد ونشيط للقضية الفلسطينية فكان مرجعاً لكثير من المهتمين.

وفي عام 1961 عقد في يوغوسلافيا مؤتمراً طلابياً اشتركت فيه فلسطين وكذلك كان هناك وفد دانماركي وكان بين أعضائه فتاة متخصصة في تدريس الأطفال، قابلت هذه الفتاة الوفد الفلسطيني ولأول مرة سمعت عن القضية الفلسطينية.

واهتمت الفتاة اثر ذلك بالقضية ورغبت في الاطلاع عن كثب على المشكلة فشدت رحالها إلى البلاد العربية مرورا بدمشق ثم إلى بيروت حيث أوفدها أحدهم لمقابلة غسان كنفاني كمرجع للقضية.

وشرح غسان الموضوع للفتاة وزار وإياها المخيمات وكانت شديدة التأثر بحماس غسان للقضية وكذلك بالظلم الواقع على هذا الشعب.

ولم تمض على ذلك عشرة أيام الا كان غسان يطلب يدها للزواج وعرفها على عائلته كما قامت هي بالكتابة إلى أهلها، وقد تم زواجهما بتاريخ 1961/10/19.

بعد أن تزوج غسان انتظمت حياته وخاصة الصحية إذ كثيراً ما كان مرضه يسبب له مضاعفات عديدة لعدم انتظام مواعيد طعامه.

وفي بيروت اصيب من مضاعفات السكري بالنقرس وهو مرض بالمفاصل يسبب آلاماً مبرحة تقعد المريض أياماً.

ولكن كل ذلك لم يستطع يوماً أن يتحكم في نشاطه أو قدرته على العمل فقد كان طاقة لا توصف وكان يستغل كل لحظة من وقته دون كلل.

وبرغم كل انهماكه في عمله وخاصة في الفترة الأخيرة إلا أن حق بيته وأولاده عليه كان مقدساً.

كانت ساعات وجوده بين زوجته وأولاده من أسعد لحظات عمره وكان

يقضى أيام عطلته (إذا تسنى له ذلك) يعمل في حديقة منزله ويضفي عليها وعلى منزله من ذوق الفنان ما يلفت النظر رغم تواضع قيمة موجوداته.

أدب غسان وإنتاجه الأدبي كان متفاعلا دائما مع حياته وحياة الناس وفي كل ما كتب كان يصور واقعاً عاشه أو تأثر به.

ففي رواية "عائد إلى حيفا" وصف فيها رحلة مواطني حيفا في انتقالهم إلى عكا وقد وعى ذلك حيث كان لا يزال طفلاً يجلس ويراقب ويستمع ثم تركزت هذه الأحداث في مخيلته فيما بعد من تواتر الرواية.

وفي رواية "أرض البرتقال الحزين" تحكى قصة رحلة عائلته من عكا وسكناهم في الغازية.

أما رواية "موت سرير رقم 12" فاستوحاها من مكوثه بالمستشفى بسبب المرض.

ورواية "رجال في الشمس" من حياته وحياة الفلسطينيين بالكويت واثر عودته إلى دمشق في سيارة قديمة عبر الصحراء، كانت المعاناة ووصفها هي تلك الصورة الظاهرية للأحداث أما في هدفها فقد كانت ترمز وتصور ضياع الفلسطينيين في تلك الحقبة وتحول قضيتهم إلى قضية لقمة العيش مثبتاً أنهم قد ضلوا الطريق.

وفي قصته "ما تبقي لكم" التي تعتبر مكملة "لرجال في الشمس" يكتشف البطل طريق القضية، في أرض فلسطين وكان ذلك تبشيراً بالعمل الفدائي.

أما قصص "أم سعد" وقصصه الأخرى فكانت كلها مستوحاة من أشخاص حقيقيين ففي فترة من الفترات كان يعد قصة ودراسة عن ثورة فلسطين 1936 فأخذ يجتمع إلى سكان المخيمات ويستمع إلى ذكرياتهم عن تلك الحقبة والتي سبقتها والتي تلتها وقد أعد هذه الدراسة لكنها لم تنشر (نشرت في مجلة شؤون فلسطين).

أما القصة فلم يكتب لها ان تكتمل بل اكتملت منها فصول نشرت بعض صورها في كتابه "عن الرجال والبنادق".

كانت لغسان عين الفنان النافذة وحسه الشفاف المرهف فقد كانت في ذهنه في فترة حياته الأخيرة فكرة مكتملة لقصة رائعة استوحاها من مشاهدته لأحد العمال وهو يكسر الصخر في كراج البناية التي يسكنها وكان ينوي تسميتها "الرجل والصخر".

لا أحد يجهل أن غسان كنفاني هو أول من كتب عن شعراء المقاومة ونشر لهم وتحدث عن أشعارهم في الفترات الأولى لتعريف العالم العربي على شعر المقاومة.

ولم تخل مقالة كتبت عنهم من معلومات كتبها غسان وأصبح بعد ذلك كتابه عن "شعراء الأرض المحتلة" مرجعاً مقرراً في عدد من الجامعات وكذلك مرجعا للدارسين.

والدراسة الوحيدة الجادة عن الأدب الصهيوني كانت لغسان ونشرتها مؤسسة الأبحاث بعنوان "في الأدب الصهيوني".

ويعتبر غسان من أشهر الصحافيين العرب الذين تحدثوا عن حالة اللاسلم واللاحرب حيث انه لو عدنا قليلا إلى الأشهر التي تلت حرب يونيو 67 وتابعنا تعليقات غسان السياسية في تلك الفترة لوجدناه يتحدث عن حالة اللاسلم واللاحرب، أي قبل سنوات من الاكتشاف الأخير الذي تحدثت عنه الصحافة العربية والأجنبية.

كثيراً ما كان غسان يردد "الأطفال هم مستقبلنا"، فقد كتب الكثير من القصص التي كان أبطالها من الأطفال.

ونُشرت مجموعة من قصصه القصيرة في بيروت عام 1978 تحت عنوان "أطفال غسان كنفاني".

أما الترجمة الإنكليزية التي نشرت في عام 1984 فكانت بعنوان "أطفال فلسطين".

اننا نحتاج إلى وقت طويل قبل أن نستوعب الطاقات والمواهب التي كان يتمتع بها غسان كنفاني.

هل نتحدث عن صداقاته ونقول انه لم يكن له عدو أم نتحدث عن تواضعه وهو الرائد الذي لم يكن يهمه سوى الإخلاص لعمله وقضيته أم نتحدث عن تضحيته وعفة يده وهو الذي عرضت عليه الالوف والملايين ورفضها بينما كان يستدين العشرة ليرات من زملائه.

ماذا نقول وقد خسرناه ونحن أشد ما نكون في حاجة إليه، إلى ايمانه واخلاصه واستمراره على مدى سنوات في الوقت الذي تساقط سواه كأوراق الخريف يأساً وقنوطا وقصر نفس.

كان غسان شعباً في رجل، كان قضية، كان وطناً، ولا يمكن أن نستعيده الا إذا استعدنا الوطن.

وقد قال عنهُ عزّت العزاوي: (في الزمان يولد غسان كنفاني كلما جاء صيف، ويأتي في هجير الصيف، ينفجر في بيروت، ويبدو أنه كان يبحث في الموت والمنفى، وجعل هذا البحث شغله الشاغل).

ولم يستطع الفكاك عن هذا البحث في "ما تبقى لكم" أو في "أرض البرتقال الحزين" أو "أم سعد" وغيرها.

لقد فتح لنا طريق البحث في الطريق الطويل ما بين ذاكرة منكوبة بطفولة الانتزاع من المكان إلى شيخوخة لم تكشف بعد الأجوبة على مرارة الخبز حين يختلط بالرمل.

وقال عنه مهند عبدالحميد: (كان غسان مقاتلاً والقتال يحتمل الموت، وكان لاجئاً والعودة تحتمل الموت، وكان ملتزماً والالتزام يفترض لقاء الموت، في "مسرحية الباب" يقول عماد " لا أريد الطاعة ولا أريد الماء" أي أن الموت عطشاً افضل من التوسل الى مستبد. والموت دفاعاً عن الكرامة الإنسانية افضل من الحياة بذل، فلا معنى لحياة بلا كرامة).

وكتب صايغ أنيس عنه: (عاش غسان ثورة دائمة في العلاقات الخاصة كما في الشؤون العامة.

فنانا كان او اديبا كاتبا او مفكرا، صديقا كان او رفيقا، كان غسان ثورة تلتهب مثلما تحرق اعصابه.

لذلك كان النضال الفعلي في الثورة الفلسطينية العربية الانسانية، بالكتابة والتوجيه والدعوة والانتماء العقائدي وتحمّل المسؤولية، بؤرة يحقق غسان فيها ذاته ويقترب من مُثُله العليا السامية.

كما كتب شاكر فريد حسن قائلاً: (كان غسان كنفاني شخصية متعددة المواهب فكان صحافيا وقصاصا وروائيا ورساما وكاتبا للأطفال.

وحياته لم تعرف الفصل بين القول والفعل.

فكان كاتبا ملتزما بقضايا شعبه الوطنية والقومية والطبقية، ومناضلاً سياسياً، ومدافعاً عن حق شعبه الفلسطيني في الحرية والاستقلال.

كذلك كان غسان مسكونا بالهاجس الفلسطيني، وقد عاش المأساة الفلسطينية وحمل جراح شعبه والامه وهمومه اليومية في اعماق قلبه وسكبها في قوالب فنية جميلة واصيلة جاءت تجسيدا صادقا لواقع البؤس والشقاء والحرمان والظلم والقهر الاجتماعي الذي يعيشه الفلسطيني المشرد والمطارد في المخيمات الفلسطينية وفي جميع اصقاع العالم.

من مؤلفات الشهيد (عالم ليس لنا وأرض البرتقال الحزين والشيء الآخر التي صدرت بعد استشهاده، والعاشق، والأعمى والأطرش، القنديل الصغير والقبعة والنبي).

بالإضافة إلى عدد من البحوث الأدبية مثل أدب المقاومة في فلسطين المستقلة، والأدب الفلسطيني المقاوم تحت الاحتلال.

كما نال عدة جوائز منها جائزة أصدقاء الكتاب في لبنان عن روايته "ما تبقى لكم" في عام 1966، ونال اسمه جائزة منظمة الصحفيين العالمية في عام 1974 وجائزة اللوتس في 1975.

ومنح اسمه أيضاً وسام القدس للثقافة والفنون في 1990.

استشهد غسان كنفاني صباح يوم السبت المصادف الثامن من يوليو عام 1972 بعد أن انفجرت عبوات ناسفة كانت قد وضعت في سيارته تحت منزله مما أدى إلى استشهاده مع ابنة شقيقته لميس حسين نجم (17 سنة).

وقد رثاه صديقه الشاعر الفلسطيني (عزالدين المناصرة) بقصيدة اشتهرت في السبعينيات بعنوان (تقبل التعازي في أي منفى).

(٢٤) الأديب عبدالله زكريا الأنصاري

الشاعر والأديب الكويتي عبد الله زكريّا الأنصاري ينتمي لأسرة كويتية أصيلة عرف عنها الثقافة والأدب والعلم، ابتدأ حياته في تدريس الذكر الحكيم وفنون اللغة العربية والمهارات الحسابية مع والده.

كان والد الأديب عبد الله، الشيخ زكريا قد أسس مدرسة حملت اسمه ولاقت الكثير من الرواج والإقبال في تلك الفترة، في ذلك المحيط التعليمي كانت بدايات الكاتب والشاعر والأديب الكبير عبد الله الأنصاري فقد ولد في العام 1922 ومن خلال والده المعلّم والأستاذ نهل الكثير من العلوم والآداب والأخلاق.

انتسب عبد الله إلى المدرسة المباركية لنحو سبع سنوات وتخرّج فيها ليعمل في التدريس حيث عمل في مدرسة الفلاح ومن ثم عمل أستاذًا في المدرسة الشرقية.

ومن المهارات التي تعلمها من والده، مهارات الرياضيات التي أهّلته لدخول المجال الاقتصادي، حيث عمل مشرفًا ماليًا على بيت الكويت ومن ثم انتدب للعمل في العاصمة المصرية القاهرة، وكان ذلك في العام 1950م.

وتدرج هناك في المناصب الدبلوماسية ثم عمل مدير إدارة الصحافة والثقافة بوزارة الخارجية الكويتية إلى العام 1978 حتى تقاعد.

كتب الأنصاري الشعر مبكرًا وتحديدًا في السابعة عشر من عمره، وواظب على نظمه، ولازم شعره البعد القومي والسياسي لذلك كانت تتلقفه الصحف السورية والعراقية وكذلك مجلة البعثة في القاهرة.

ولكن سطع نجمه كثيرًا حين عرّف العالم العربي والكويت على وجه الخصوص بكتابات الشاعر فهد العسكر.

فقد كتب عنه كتابًا جميع فيه شعره وبيوته التي لم يكن يعرفها أحد في ذلك الوقت لما فيها من جرأة وتعد على كثير من حدود المجتمع وقيمه آنذاك.

استمر الأنصاري في تعلم أساس اللغة العربية ومفاصلها، حيث يوصف بأنه أحد روّاد الحركة الأدبية في الكويت، ومن الذين أسهموا في النهضة الشعرية في فترة الخمسينيات وقبلها بقليل.

وتنوعت صنوف الشعر التي كانت يكتبها سواء في الغزل أو السياسة أو الوطنيات والقوميات وتطرق كذلك للهموم الاجتماعية وغيرها.

وكان محباً وقريباً من خاله الشاعر محمود شوقي الأيوبي وطبع له ستة دواوين، مع أن الأنصاري ذاته لم يطبع له أي ديوان شعر رغم غزارة شعره.

كان الأديب عبد الله الأنصاري كثير القراءة، ولشهرته في تلك المسألة بات بيته أيام حياته في القاهرة أشبه بالمكتبة العامة أو المزار الذي من خلاله بات المثقفون يهرعون إليه ويستعيرون منها ما يشاؤون من كتب.

وخلال عمله في مصر لمدة تزيد على عشر سنوات أمينا لبيت الكويت بالقاهرة، قرأ الأنصاري للكثير من الكتاب.

وتمكّن من معاصرة عمالقة الأدب والفكر في مصر مثل طه حسين والعقاد، إضافة إلى علاقته مع الرعيل المتميز من أدباء الكويت، مثل فهد العسكر وغيره من أدباء وطنه، وكذلك رئاسته لتحرير مجلة البعثة منحته فرصة الاحتكاك بالأدباء من كل أقطار العرب.

عمل الأديب عبد الله الأنصاري على الاطلاع على أدب الطفل، فيما اقتنى الكثير من المجلات الثقافية والأدبية التي حرص دومًا على أن يحوزها مثل مجلة الرسالة والثقافة، ومجلة أبوللو لأحمد زكي أبو شادي، ومجلة اللسان العربي والكثير من الدوريات الكويتية كمجلة العربي وعالم المعرفة وغيرها.

أشار الكاتب ذات مرة إلى أن من الكتب التي أثرت تفكيره وقوّت لغته وأسلوبه وعملت على تشكيل شخصيته الفكرية والثقافية كل من كتب المنفلوطي وخاصة كتاب "النظرات" وكذلك كتب مصطفى صادق الرافعي ولاسيما وحي القلم، بالإضافة إلى أنه كان متابعًا نهمًا لمجلة الرسالة التي عمل على الاشتراك فيها ومتابعة كل أعدادها.

يرى الأنصاري أن مصطلح الحداثة الشعرية ما هو إلا كالضجيج الذي يملأ الحياة الثقافية، مؤكداً أن القصيدة الحق هي تلك التي تستمد جذورها من التراث العربي.

يصف المراقبون أن شعر الأنصاري كان يفوق أبناء جيله بكثير على المستويين المحلي والعربي، لكنّ شعر الأنصاري بقي حبيس نفسه والأدراج لرفضه إصدار دواوين خاصة به، ما جعله يغيب عن المشهد النقدي برغم قوة وفصاحة وجزالة أسلوبه بأشعاره فأبقاها حبيسة صدره ووجدانه، وبين خبايا مكتبته الخاصة بمنزله، فيما كان النتاج النثري للأنصاري أوفر حظا من نتاجه الشعري.

يضاف إلى ذلك دوره الكبير في حماية اللغة العربية والدفاع عن الثقافة الرصينة، فقد كان الأنصاري مدرسة ثقافية حقيقية من خلال مؤلفاته وحواراته ومن خلال المكتبة القيمة التي حرص على أن يجمع فيها نفائس الكتب من كل مكان.

وتمتد موهبة الأنصاري إلى كتابة القصّة التي دخلها مجالها في سن متأخرة نسبياً، فكتب قصة "رغبة" وعمل على الدخول بها في مسابقة جامعة الكويت الثقافية للعام 1994 وحصلت على المركز الأول فيها وكانت هذه المسابقات تدور حول القضايا الاجتماعية في ذلك العام.

أما مقالات الأنصاري فكانت تدور في ثلاثة مستويات هي: السياسة والمجتمع والأدب، ومن مؤلفاته (فهد العسكر حياته وشعره، والشعر العربي بين العامية والفصحى، وصقر الشبيب، وخواطر في عصر القلم، وحوار المفكرين، والبحث عن السلام، ومع الشعراء، وحوار في مجتمع صغير).

توفي الأديب عبد الله زكريا الأنصاري رحمه الله في 16 مايو عام 2006.

(٢٥) الأديب عبدالرحمن منيف

شخصيتنا ولد في عام 1933م في عمّان لأب من المملكة العربية السعودية وأم عراقية، درس الحقوق في جامعة بغداد عام 1952، ثم واصل الدراسة في القاهرة وتخرج فيها عام 1957، وحصل على الدكتوراه في العلوم الاقتصادية عام 1961، انه الأديب السعودي عبد الرحمن منيف.

تلقى منيف تعليمه الابتدائي بعمان، حيث قضى أولى سنوات حياته التي تركت آثارا واضحة المعالم في بناء شخصيته.

ويعترف منيف بذلك عندما كتب بعد ذلك عن تجربته بعمان وضمن ذلك في كتاب "سيرة مدينة.. عمان في الأربعينيات" حيث رصد فيه تاريخ هذه المدينة العريقة والتطورات التي طرأت عليها وأهم الأحداث التي وقعت بها.

عاد منيف بعد ذلك للترحال ثانية وسافر إلى يوغوسلافيا (سابقاً) عام 1958م، وحصل على درجة الدكتوراه في جامعة "بلجراد" عن "اقتصاديات النفط"، ورجع عام 1961م ليعمل في الشركة السورية للنفط.

ثم سافر إلى لبنان عام 1972م للعمل في مجلة البلاغ ثم عاد للعراق مرة أخرى ليترأس تحرير مجلة النفط.

ووسط التنقل والرحيل ووسط المشاق التي يخوض غمارها فاجأ الجميع بإصدار روايته الأولى "الأشجار واغتيال مرزوق" عام 1973، وكان هذا الحدث إيذانا بميلاد روائي كبير كان له أثره الواضح على طريق الرواية العربية الحديثة.

وجد قراء الرواية العربية أنفسهم أمام نهر روائي بدأ في الجريان، وتزامن هذا مع خطورة وأهمية الوضع العربي وقتها في منتصف السبعينيات من القرن الماضي، وما طرأ على الساحة الاجتماعية العربية نتيجة انكسار يونيو 1967 وما تركه من جروح وندوب في الشخصية العربية.

رصد عبد الرحمن منيف في روايته الأولى مأساة الإنسان العربي في وجهيها: المثقف منصور عبد السلام، أستاذ الجامعة الذي عاد من الخارج

وشارك في جيش بلاده وذاق مرارة الهزيمة، والوجه الآخر الذي يعكس عامة المجتمع متمثلا في البطل الشعبي "إلياس نخلة" وعلاقته بأرضه.

ومع بداية عقد "الثمانينيات" بدأ في إصدار سداسيته الروائية الشهيرة "مدن الملح"، راصدا من خلالها التغيرات التي طرأت على المجتمع الصحراوي العربي عقب تحوله من مجتمع بدائي يحيا وفق مقدرات حياتية ثابتة وقاسية، ثم اكتشاف النفط وتحوله إلى مجتمع نفطي غني، وما ترتب عليه من نتائج اتضحت في السلوك والعادات المميزة لهذا المجتمع.

وعبد الرحمن منيف يطرح بهذه السداسية تساؤلا غاية في الأهمية حول الأدب ودوره في رصد ما يطرأ على المجتمع من تغيرات.

منيف لم يقصد مكانا محددا أو شخصا بعينه بقدر ما هدف إلى تصوير حقبة بكل ما انتابها من ألوان التغيير والتحول.

لم يستطع "منيف" الخروج من هاجس البحث عن الحرية، فسافر إلى فرنسا عام 1981، ثم عاد إلى دمشق مرة أخرى عام 1986م، حيث أصدر في مطلع التسعينيات روايته "الآن هنا.. أو شرق المتوسط مرة أخرى".

حاز الأديب عبد الرحمن منيف جائزة سلطان بن علي العويس الثقافية للرواية عام 1989 وجائزة القاهرة للإبداع الروائي التي منحت للمرّة الأولى عام 1998.

فقد استحق عبد الرحمن منيف هذه الجائزة تقديراً لإبداعه الروائي المتميز وتأكيداً لأهمية هذا الإبداع الذي قدمه خلال ثلاثة عقود.

وهي أهمية تتجاوز دائرة الرواية لتشمل المنجز الثقافي العام نظراً لارتكاز تجربته الروائية على رؤية شاملة تستمد تحليلها من التاريخ والاجتماع والفلسفة والاقتصاد والتراث.

ويبني هذه الرؤية بعقل تجريبي وحساسية فنية ينظمان عالمه الروائي، ويخصبانه بكثير من الحيوية ويؤسسان لطبيعة الفن الروائي بوصفه إبداعاً لا يتشكل من مجرد الإحساس بإيقاع الحياة من خلال الإحساس العميق بالحرية أيضاً.

وبسبب ذلك كله فقد حقق منيف للرواية العربية إنجازاً متميزاً على صعيد تطوير الخطاب الروائي، وخاصة في مجال تطوير تقنيات السرد والإيقاع وانتقاء الواقع وتكثيفه والنظر إليه برؤيا شاملة مدفوعة بجرأة فكرية متقدمة ونفس ملحمي حارٍ، ومشدودة بالمحافظة على الهوية العربية، والتعميق للبعد الإنساني تشكيلاً وإيقاعياً ورؤية.

وستظل تجربته محط أنظار الجميع ومصدر احترام وتقدير ممن يتفق معه أو يختلف، وستظل هذه الرحلة الإنسانية والروائية خالدة، تلك التي بدأت في عمان ثم بغداد فالقاهرة فيوغوسلافيا فبيروت فباريس، ثم أخيرا دمشق حيث اختارها منيف مقرا له، لتشهد آخر لحظات حياته.

يتحدث الأديب عبد الرحمن منيف عن نفسه (مثل كثير من الفقراء الحالمين كنت أرسم على وجه السماء خيولا راكضة باستمرار).

كنت أفعل هذا عندما تكون السماء شديدة الزرقة وليس فيها غيمة واحدة، وكانت هذه الخيول شديدة الجموح وشديدة القوة.

وكانت تسافر دائما، وكنت أمتطيها باستمرار وأسافر، لكني في هذا السفر لم أكن أبحث عن شيء، أو أعرف شيئا، حتى جاء يوم مللت فيه أن أسافر ببلاهة هكذا.

فبدأت أبحث عن أهداف لهذا السفر، لكن بحثي كله ضاع، وانتهى بلا جدوى، فقررت أن أتعلم القراءة، وكانت تلك هي البداية لرحلة عذابي الحقيقية على الأرض.

هذه الكلمات تكشف عن إحساس الأديب السعودي عبد الرحمن منيف بقرب الرحيل، وبها أيضا يمسك بأيدينا لندخل إلى حياته التي تمثل عملا أدبيا خالصا والتي تعد منظومة متواصلة من السفر والترحال والغرابة.

ويعد الرحيل هو أهم ما يميز حياة هذا الأديب العربي الكبير، صاحب أكبر سداسية روائية عربية، وتمت ترجمتها للغات العالم المختلفة، وانتشرت إبداعاته وتوزعت في بلدان الأرض؛ وهي سداسية "مدن الملح".

توفي الأديب السعودي عبد الرحمن منيف رحمه الله بتاريخ: 24 يناير 2004.

(٢٦) الأديب د. يوسف إدريس

شخصيتنا اختطفه عالم الأدب من الطب، فهو واحد من أشهر الأطباء الذين تركوا الطب ليمتهنوا الأدب، عايش تطور التيارات الفكرية والسياسية المختلفة، وتأثر بالفكر الماركسي.

استطاع أن يحقق مصرية القصة القصيرة حتى استحق عن جدارة أن يكون أميراً لها.

انه أديب الأطباء وطبيب الأدباء.. الدكتور يوسف إدريس.

ولد يوسف إدريس في 19 مايو عام 1927م في قرية البيروم بمحافظة الشرقية لأسرة من متوسطي الدخل تضم عددا من المتعلمين الأزهريين.

تعلم في المدارس الحكومية والتحق بعد دراسته الثانوية بكلية الطب في جامعة القاهرة التي تخرج فيها عام 1951.

حصل على دبلوم الأمراض النفسية ودبلوم الصحة العامة، وعمل في المستشفيات الحكومية وكان مفتشاً صحياً في الدرب الأحمر وهو حي شعبي في القاهرة.

بدأ ينشر قصصه القصيرة في الصحف منذ عام 1950، وشارك في تحرير أول مجلة يصدرها الجيش بعد قيام ثورة يوليو وهي مجلة التحرير التي صدرت في سبتمبر 1952.

صدرت مجموعته القصصية الأولى أرخص ليالي في عام 1954 وقد وضعت هذه المجموعة البداية الفعلية للواقعية المصرية.

ثم ظهرت موهبة إدريس في مجموعته التالية العسكري الأسود التي صدرت في عام 1955 والتي وصفها أحد النقاد بـ "أنها تجمع بين سمات دستوفسكي وسمات كافكا معا".

وقد حصل على جائزة عبد الناصر في الآداب عام 1969، وجائزة الدولة التقديرية عام 1990.

جذبت قصص يوسف إدريس الأولى الانتباه إلا أن اسمه سيصبح من الأسماء اللامعة في فترة وجيزة وهو ما حدث بالفعل خاصة بعد كتابة قصة " أنشودة الغرباء" والتي نشرت في مجلة القصة عام 1950.

وبعدها تابع نشر قصصه في مجلة "روز اليوسف"، ثم قدمه عبد الرحمن الخميسي إلى قراء جريدة "المصري" التي كان ينشر فيها قصصه بانتظام.

ثم كتب عدة مقالات في مجلة "صباح الخير" ، ثم أصبح من كتاب جريدة "الجمهورية" التي كان يرأس مجلس إداراتها في ذاك الوقت الرئيس الراحل أنور السادات حيث بدأ بنشر حلقات قصص "قاع المدينة"، و"المستحيل" و"قبر السلطان".

وبعدها انطلق يوسف إدريس مؤكدا مكانته كأبرز كتاب القصة القصيرة.

وقد عايش إدريس ظهور وتطور التيارات الفكرية والسياسية الوطنية التي انتعشت في مراحل الاستقلال.

وتأثر بالفكر الماركسي بعد أن قوي بسبب دور الاتحاد السوفيتي بعد الحرب العالمية الثانية والتحولات السياسية والاجتماعية التي شهدها العالم في ذلك الوقت.

ووفقا للنقاد فإن رؤية إدريس الأدبية والفكرية تستند إلى حساسية فائقة وإدراك نافذ لمظاهر الوجود الإنساني وحقائقه، أكثر مما تستند إلى معرفة معلوماتية محدودة.

ويجمعون على أن كتابته تتسم بمعرفة عميقة للواقع الاجتماعي المصري وبأسلوب ساخر تشوبه روح الفكاهة معتمداً على استعمال اللغة العامية في أغلب الحوارات.

ويرى النقاد أن عالم يوسف إدريس القصصي يدور في أكثر ما كتب حول ثالوث واضح الملامح هو: الله، والمرأة، والسلطة.

وقد ظهر هذا الثالوث متبلوراً جلياً في مجموعته الذائعة الصيت (بيت من لحم).

ولذا فقد اندفعت موهبته بحزم وعمق فنيين لتجسد هذه القضايا، وتصنع منها جواً مصيرياً يرسم مصير الإنسان، ويسيطر على عالمه.

ويؤكد سمير عمر ان فكرة القدر ووجود قوة عليا مهيمنة، برزت بوضوح في رسم شخصيات ومسار قصص كثيرة عند يوسف إدريس، مثل قصة قبر السلطان؛ وقصة أكبر الكبائر.

وانتصر يوسف إدريس دائما لمأساة الإنسان المسحوق في مجتمع طبقي ظالم، عبر مهارة فنية في السرد والحوار وإحكام بناء النسيج القصصي.

وعن مخاض الإبداع عند إدريس تقول زوجته: "حينما يكتب يوسف أجلس أمامه ويقتصر دوري على إعداد الشاي أو القهوة".

وبعد أن يكتب جملة أو جملتين يندمج تماماً ويغيب عن كل ما حوله ويبدأ في التشويح والإشارة ويتمثل الشخوص التي يكتب عنها ويشعر إنها حوله تكلمه وتلمسه.

والحديث مازال لزوجته حيث تقول كتابة المسرح عنده حالة أصعب لأنه يستحضر الحاسة الجماهيرية في نفسه ويستحضر الحالة المسرحية ليبثها في نفس الجماهير، عندما كان يكتب مسرحية الفرافير كان في حالة صعبة جداً، وقد رأيته بنفسي يقف أمام حوض الاغتسال يشيح بيده ويبكي بدموع حقيقية.

طال يوسف إدريس الكثير من النقد، منه ما تعلق بموقفه من جائزة مجلة حوار التي نالها في عام 1966 وقد وافق عليها ثم سرعان ما تغير موقفه بعد أن ظهر أن تمويلها يتم عبر المنظمة العالمية لحرية الثقافة، مما دفع جمال عبد الناصر لتعويضه عن رفضه بمنحه مبلغ الجائزة.

كتب يوسف إدريس مسرحيته «البهلوان» من وحي حملات صحفية عنيفة تعرض لها، بينما قال الناقد المصري فاروق عبد القادر إن مقالات الكاتب الراحل يوسف إدريس لا تثبت لنقاش جاد إذ كان يعبر في معظمها عن حساباته ومصالحه اكثر منها عن اقتناعاته الحقيقية.

اعترف يوسف إدريس في أكثر من حوار، أنه دخل عالم الإبداع القصصي بالمصادفة وأن غريزة الموهبة الفطرية وطموحه دفعاه لتحقيق ما يسمى بـ (مصرية القصة).

وقد أهلته دراسته الطبية وأفقه العلمي وسعة معرفته لتشخيص أزمة الركود والجمود التي تعيشها القصة العربية بعامة، خوفاً عليها من الوصول إلى الطريق المسدود.

نشر إدريس مسرحية "المخططين" 1969 التي تناقش بأسلوب الفنتازيا كيف تتحول الأفكار الثورية إلى نظام شمولي بعيد عن الديموقراطية.

ولم يُكتب لهذه المسرحية إلا أن تُعرض ليلة واحدة في العام التالي حيث صدر قرار بإيقاف عرضها في تلك الليلة.

لكنها عُرضت بعد ذلك على مسرح الطليعة عام 1972، وظهر نص اللحظة الحرجة الذي حلل فيه حالة أسرة مصرية إبان حرب 1956 وردود فعل أفرادها تجاه الحرب.

أما رواية "البيضاء" فيقول عنها أحمد فضل شبلول انها رواية الصراع بين الغرب والشرق، بين الشمال والجنوب، بين التفكير العقلاني والتفكير العاطفي.

لقد استطاع يوسف إدريس أن يجسد في عمله هذا كل الصراعات النفسية التي تمر بها الشخصية الرئيسية في الرواية، وهي شخصية الدكتور يحيى طبيب ورش عمال السكك الحديدية من خلال علاقته ب "سانتي" تلك الفتاة اليونانية البيضاء التي ترمز إلى الحضارة الغربية في هذه الرواية التي كتبت ونشرت أول مرة في أواخر الخمسينيات الميلادية.

يذكر اسكندر نعمة أن هناك أزمة فنية وإبداعية سيطرت على حياة يوسف إدريس الأدبية وغلفت أعماله، حتى إنها بدت شكلاً من أشكال الانهيار الفني والفكري الذي مر به الكاتب الكبير، وذلك في أواخر مرحلة السبعينيات وأوائل الثمانينيات.

إذ صمت يوسف إدريس عن الإبداع والعطاء صمتاً طويلاً مريباً.

ومن المحزن أن هذا الكاتب المبدع راح خلال أخريات فترة الصمت هذه يحاول محاولات يائسة لينقذ سمعته ويسترد موهبته الذائعة الصيت.

فقد كتب في أواخر السبعينيات بعض المحاولات القصصية، منها على سبيل المثال قصة (الرجل والنملة) والتي نشرها في مجلة (الدوحة).

ويعلل اسكندر نعمة ذلك باعتماد الكاتب الراحل الموهبة، فاضطرب عالمه القصصي على الرغم من النجاح الكبير الذي بلغه، والشأن الرفيع الذي ناله، ودليل هذا الاضطراب التداخل في عالم يوسف إدريس القصصي، بين أجناس أدبية مختلفة.

لقد صمم يوسف إدريس أن يدخل عالم المسرح، فكانت تجربة المسرح عنده على حساب اهتماماته القصصية لفترة غير قصيرة من الزمن.

إلا أن أهم مظاهر أزمة يوسف إدريس القصصية تتضح في ممارسته وبنشاط محموم وعزيمة كاملة كتابة المقالة، خاصة بعد أن كرس ذاته ووقته للصحافة والنشر في الدوريات المصرية، والعمل في جريدة (الأهرام) تحديداً.

وقد انساق يوسف إدريس بقوة لمعالجة أزمة الحرية والحياة الاقتصادية والاجتماعية عربياً ومحلياً، فكان ارتداده لكتابة المقالة السياسية والاجتماعية أحد جوانب الانجراف لمعالجة هذه الأزمة الحضارية والإنسانية.

فتوقف عن كتابة القصة وجرفه تيار المقالة السياسية والاجتماعية، فازدادت الأزمة لديه، الأمر الذي مكّن النقاد من استغلال تلك الفرصة، باعتبار أن مقالاته كانت في أكثرها مقالات قصصية، فهي مقالة وليست بالمقالة، وقصة وليست بالقصة.

"إذا كان الرجل يلعب ببعض أوراقه لعبة العواطف، فالمرأة بكل أوراقها تلعب هذه اللعبة ذاتها" أما عن قصة زواجه فقال الدكتور يوسف إدريس (تزوجت في مرحلة من حياتي أحسست فيها بالوحدة فعلاً).

وفي هذه الظروف قابلت زوجتي وأحسست أنها من الممكن أن تكون رفيقة العمر، أحسست أنني أريد أن اجلس معها وأستأنس بها وأتعرف عليها أصادقها .. فتزوجت.

وقلت لنفسي بهذا الارتباط لا أتزوج! وضعت لافتة داخلية مكتوب عليها: "هذا العمل الذي قمت به ليس زواجاً إنما أنا أريد أن اعرف هذه الإنسانة معرفة حقيقية وتعرفني هي الأخرى، ولكن مجتمعي يمنعني من أن افعل ذلك إلا بالزواج فتزوجت.

قدم الأديب الراحل يوسف إدريس خلال رحلة إبداعه وحياته التي امتدت 64 عاما العديد من الأعمال الإبداعية المؤسسة والرفيعة، خاصة في مجال القصة القصيرة.

وكان الطبيب القاص أكثر الكتاب ارتباطا بالشارع والمجتمع، واهتم في أعماله بحياة البسطاء والمهمشين الذين يصنعون تفاصيل الحياة اليومية.

ومن مؤلفاته مجموعات قصص قصيرة وهي جمهورية فرحات، وأليس كذلك، وقاع المدينة وآخر الدنيا والبطل، والنداهة، وأنا سلطان قانون الوجود، وحادثة شرف، ومشوار.

ومن الروايات، رواية العيب، ورواية الحرام، ورواية البيضاء، ورواية ملك القطن، ورواية المهزلة الأرضية، ورواية اللحظة الحرجة.

جمع يوسف إدريس في أعماله بين نظرة الصحفي والأديب والمفكر، وكان على معرفة عميقة بواقع المجتمع المصري الذي تناوله بالنقد بالسخرية الأدبية اللاذعة والجريئة.

لكن إبداع الطبيب المقيم لفترة بمستشفى القصر العيني بالقاهرة، لم يتوقف عند حدود القصة القصيرة التي تكاد تُعرف به وترتبط باسمه، ليمتد تألقه الإبداعي إلى عالمي الرواية والمسرح.

لقد ترك إدريس أعمالا شهيرة لا تزال تتمتع بشهرة عالية ومنها كما ذكرنا قصص "أرخص ليال" و"قاع المدينة" و"بيت من لحم" و"جمهورية فرحات" و"حادثة شرف"، وروايات "العسكري الأسود" و"العيب" و"الحرام" و"رجال، وثيران" و"البيضاء" و"السيدة فيينا" و"نيويورك 80"، إلى جانب مسرحيات منها "ملك القطن" و"المخططين" و"اللحظة الحرجة" و"الفرافير" و"الجنس الثالث" و"البهلوان"، كما كتب الكثير من المقالات الصحفية.

ويقول عنه طه حسين (لم أجد فيه من المتعة والقوة ودقة الحس ورقة الذوق وصدق الملاحظة وبراعة الأداء مثل ما وجدت في كتابه الأول أرخص ليال).

ويقول عنه أحمد الخميسي: ولادة القصة لم تكن تعني نموها ونضجها كما وكيفا، إلى أن ظهر يوسف إدريس بأولى قصصه في جريدة المصري قبل ثورة يوليو 1952، ثم بصدور مجموعته "أرخص ليال" عام 1954 التي أحدثت في حينها ضجة في الأوساط الأدبية المصرية والعربية.

تميزت القصة عند يوسف إدريس بالواقعية، حيث أخذ يصور الحياة اليومية ولا سيما للمهمشين من طبقات المجتمع، كما أنه جنح إلى استخدام العامية في قصصه، وإلى استخدام لغة سهلة بسيطة، حيث كان يرى أن الفصحى لا يمكن أن تعبر عن توجهات الشعب وطموحاته.

كما أن الحوار يعد ركناً مهماً من أركان القصة عنده، ويمثل جزءاً من التطور الدرامي للشخصيات التي غالباً ما كانت من البسطاء الذين يصارعون من أجل الصمود أمام مشاق الحياة.

ولعل الظروف التي كان يعيشها الشعب المصري فسرت اتجاه إدريس نحو هذا النوع من الأبطال في قصصه ومن الأسلوب الذي اتخذه للتعبير عنهم، من خلال الحوار الذي يأتي لتقريب ما يدور داخل شخصياته من تصعيد نفسي وتصعيد للأحداث.

وأكد الكاتب والأديب الكبير يوسف الشاروني أن يوسف إدريس كانت له طريقة مختلفة عن الأدب القصصي الكلاسيكي الموجود في بداية الخمسينيات الذي كان من أبرز كتابه في ذلك الوقت محمود جوهر ومحمد تيمور، وأنه أدخل نوعا من التجديد والحيوية على أدب القصة القصيرة.

وقال إنه أصدر عام 1954 مجموعة بعنوان "العشاق الخمسة"، والتي ظهرت عقب إصدار يوسف إدريس مجموعته الأولى "أرخص ليال"، وأنهما سلكا معاً في درب الاتجاهات الحديثة، فيما اهتم يوسف إدريس بالوصف والبحث عن المهمشين، واستخدام لغة جديدة، فكان رائد مدرسة أدبية تجريبية باتت تعرف باسمه وهي المدرسة التعبيرية.

ذكر الكاتب والناقد أحمد الخميسي أن في الثقافة المصرية الحديثة أعمدة كبرى نمشي في ظلها، ويوسف إدريس أحد تلك الأعمدة الكبرى، لأنه أبو القصة المصرية القصيرة بدون منازع.

رغم أن حجر الأساس في القصة القصيرة تم وضعه في عشرينيات القرن الماضي على يدي الأخوين عيسى وشحاتة عبيد ويحيى حقي وطاهر لاشين ثم محمد تيمور الذي دشن اكتمال ذلك الشكل الأدبي بقصته "في القطار" عام 1917.

أما منصورة عز الدين فتقول: أعمال يوسف إدريس قدمت وعياً مختلفاً عن كل من كتبوا القصة القصيرة قبله، ولا يكمن اختلافه فقط في التقنيات، ولا طريقة مقاربة الواقع، ولا في تخلصه من شوائب الرومانتيكية والغنائية، إنما في عينه التي تنفذ إلى الجوهر.

وأكدت أن عالم يوسف إدريس الأدبي - الذي ينتمي لمدرسة الواقعية النقدية- يمنحنا بانوراما ضخمة ومذهلة لفئات المجتمع المصري، الطالب والموظف والفلاح والعامل والمثقف والمقاتل والطبيب والمهندس وفقراء الفلاحين من النساء والرجال، ويمكن القول دون مبالغة إن الفلاح المصري قبل إدريس لم يدخل الأدب.

فيما أكد الأديب الكبير إبراهيم عبد المجيد أن يوسف إدريس علامة في الثقافة العربية، وأن موهبته كبيرة جدا، وقد جعل فن القصة القصيرة قريبا من الناس في أول خمسينيات القرن الماضي، وجعل لنفسه كيانا مستقلا في قلب الحياة الأدبية.

وأوضحت أن شخصية الفنان لا تنفصل عن إبداعه، ولذلك تأثرت كتابة إدريس بجرأته الشديدة، فنجد تعامله بجرأة مع اللغة، واستخراج طاقات هائلة من العامية، فيما نجح في مقاربة قضايا إشكالية بفنية عالية.

وتُوفي يوسف إدريس في الأول من أغسطس عام 1991م إثر مرض خبيث.

(٢٧) الأديب يوسف محمد السباعي

شخصيتنا هو يوسف محمد السباعي، الذي ولد في العاشر من يونيو عام 1917، والده هو الأديب محمد السباعي وكان من رواد النهضة الأدبية الحديثة في مصر.

بدأ القراءة في سن صغيرة تشبها بوالده الذي كان تواقاً للقراءة والكتابة، فظهرت موهبته الأدبية في مرحلة مبكرة من حياته.

تأثر يوسف السباعي في بداية حياته بالبيئة التي نشأ فيها بجانب مواهبه الطبيعية.

وبدأ بعد ذلك في محاولة الكتابة فكانت على شكل مقتطفات شعرية وقصصية.

واستمر في مواصلة حياته الدراسية وكان له أيضاً نشاط رياضي حيث رأس فريق الهوكي بمدرسته.

إلى أن نشر أول قصة قصيرة له وهو طالب بالمرحلة الثانوية حيث كان في السادسة عشر من عمره بمجلة "مجلتي" وكانت بعنوان "تبت يدا أبي لهب وتب".

تخرج يوسف السباعي في الكلية الحربية عام 1937م ضابطا بسلاح الفرسان، لكنه عاد للكلية الحربية عام 1942 مدرساً لمادة التاريخ العسكري.

وتولى بعد ذلك العديد من المناصب منها تعيينه في عام 1952 مديراً للمتحف الحربي.

وكان قد حصل على دبلوم معهد الصحافة من جامعة القاهرة.

وبعد وصوله لرتبة عميد وتقاعده عن الخدمة العسكرية، شغل عدة مناصب ففي عام 1959 تولى منصب سكرتير عام المحكمة العليا للفنون والسكرتير العام لمؤتمر الوحدة الآفروآسيوية، وانتخب سكرتيرا عاماً لمؤتمر شعوب آسيا وأفريقيا اللاتينية عام 1966م وفي نفس العام عُين كعضو متفرغ بالمجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب بدرجة وزير.

أصدر يوسف السباعي العديد من المجلات مثل الأدباء العرب، والرسالة الجديدة، والقصة.

ففي عام 1965 تولى منصب رئيس تحرير مجلة آخر ساعة، ورئيس مجلس إدارة دار الهلال في عام 1971م، وكان وراء إنشاء المجلس الأعلى للفنون والأدب (المجلس الأعلى للثقافة حالياً).

وانتخب كذلك رئيسا فخريا لجمعية كتاب ونقاد السينما منذ بداية إنشائها، وتم تعيينه في شهر مارس عام 1973م وزيرا للثقافة، ثم اصبح عضوا في مجلس إدارة مؤسسة الأهرام عام 1976، إلى أن تم انتخابه نقيب الصحفيين المصريين في عام 1977م.

أما الجوائز التي حصل عليها فهي: جائزة الدولة التقديرية في الآداب لكنه رفض تسلمها لأنه كان وزيرا للثقافة في ذلك الحين، ومنح وسام الاستحقاق الإيطالي من طبقة فارس.

كما حصل على جائزة لينين للسلام عام 1970، ومنح وسام الجمهورية من الطبقة الأولى من جمهورية مصر العربية، 1976.

وفاز أيضاً بجائزة وزارة الثقافة والإرشاد القومي عن أحسن قصة لفيلمي (رد قلبي) و(جميلة الجزائرية) وأحسن حوار لفيلم (رد قلبي) وأحسن سيناريو لفيلم (الليلة الأخيرة).

وعرضت له السينما المصرية أكثر من قصة "أرض النفاق" و"بين الأطلال" و"إني راحلة".

ارتبط دوره بفترة النهضة الثقافية في مصر في الستينيات من القرن العشرين، وكانت أعماله الأعلى توزيعا فضلا عن تحويلها مباشرة إلى أفلام يصفها نقاد بأنها أكثر أهمية من الروايات نفسها.

وبعد أن فرضت أعمال نجيب محفوظ نفسها على النقاد بعد صمت نقدي وإعلامي حتى منتصف الخمسينيات تراجع الاهتمام بروايات السباعي وان أخذ كثير من النقاد تجنب الإشارة إلى أعماله باعتبارها نهاية لمرحلة الرومانسية في الأدب وأنها تداعب احتياجات مرحلة عمرية لفئة من القراء صغار السن، رغم أن كاتباً مصرياً وصف أعماله بأنها "واقعية ورمزية".

ويعد السباعي ظاهرة في الحياة الثقافية المصرية رغم تجنب النقاد التعرض لأعماله فيما عدا مؤرخي الأدب.

ويرى الناقد أحمد صالح أن يوسف السباعي ربما يكون الكاتب الوحيد الذي استطاع أن يطرق كل الاتجاهات الأدبية بهذا القدر من الموهبة المتدفقة، وأنه لم يحظ باهتمام نقاد الأدب في حياته بسبب سيطرة تيار اليسار على مجالات الأدب والنقد في ذلك الوقت وهم الذين كانوا يعتبرونه يمينياً وكاتباً للقصص.

وقد أطلق نجيب محفوظ على السباعي لقب "جبرتي العصر" لأنه سجل بكتاباته الأدبية أحداث الثورة منذ قيامها حتى بشائر النصر في حرب أكتوبر عبر أعماله، رد قلبي، وجفت الدموع وليل له آخر، وأقوى من الزمن، والعمر لحظة.

صدر كتاب ببيروت بعنوان "الفكر والفن في أدب يوسف السباعي" وهو مجموعة مقالات نقدية بأقلام أجيال مختلفة على رأسهم طه حسين.

وقد أشرف الكاتب غالي شكري على تقديم هذا الكتاب وإعداده وأعلن أن أدب يوسف السباعي في مجمله ظاهرة اجتماعية فمن هنا تنبع الأهمية القصوى في إصدار هذه النماذج بين دفتي كتاب حول أدب يوسف السباعي.

أما توفيق الحكيم فيصف أسلوب السباعي بأنه سهل عذب باسم ساخر ويحدد محور كتبه بقوله انه يتناول بالرمز والسخرية بعض عيوب المجتمع المصري.

ويتفق فريد أبو حديد مع توفيق الحكيم فيعلن أن أسلوب السباعي سائغ عذب سهل سليم قوي ومتين.

أما الدكتور محمد مندور فيتعرض لرواية "السقا مات" ويعلن أن يوسف السباعي أديب من أدباء الحياة بل من أدباء السوق التي تعج بالحياة والأحياء وتزدحم بالأشخاص والمهن.

أما بنت الشاطئ فتتناول رواية "أرض النفاق" فتعترف بأن كثرة أخطاء يوسف السباعي اللغوية صدمتها في أول الأمر فصرفتها عن قراءة مؤلفاته لكنها حين قرأت أرض النفاق اضطرت إلى تغيير رأيها.

حاور يوسف السباعي الموت مرات عديدة في أعماله الأدبية، حيث كانت فكرة الموت المفاجئ تشكل محوراً أساسياً في أعماله، وقد قامت روايته نائب عزرائيل والبحث عن جسد، على محاورة ملك الموت وتخيله.

وقد لعب السباعي دورا مؤثرا في الحياة الأدبية منذ عام 1951م، وبمبادرة منه تم تأسيس اتحاد الكتاب المصريين في عام 1975م، الذي ضم في حينها كبار الكتاب في مصر مثل توفيق الحكيم ونجيب محفوظ وغيرهما.

وشارك بمجهوداته مع المؤلفين والصحفيين الكبار مثل إحسان عبد القدوس لتأسيس نادي القصة، ومؤسسة رجال الأدب، ونقابة الكتاب العرب.

يقول نجيب محفوظ إنه "بعد أن انتهى من كتابة "الثلاثية" الشهيرة ذهب بها إلى سعيد السحار وكانت رواية واحدة عنوانها "بين القصرين" نظر إليها السحار وقال ما هذا؟ فقال له نجيب: رواية جديدة، فأمسك السحار بالرواية وقلب صفحاتها وقال: إنها ضخمة جداً، ومن المستحيل طباعتها.

وقد روى بعد ذلك ما حصل إلى يوسف السباعي، الذي طلب منه الرواية لقراءتها، فتم الاتفاق بينهما على إصدار مجلة أدبية جديدة.

وبالفعل صدرت مجلة "الرسالة الجديدة" وترأس تحريرها السباعي، ونشرت في العدد الأول في الأول من أبريل عام 1954 الحلقة الأولى من رواية "بين القصرين" حتى العدد 25 الذي صدر في الأول من أبريل لعام 1956م.

وصلت حصيلة إنتاج يوسف الأدبي إلى اثنين وعشرين مجموعة قصصية، وست عشرة رواية، وأربع مسرحيات، وثماني مجموعات من المقالات في النقد والاجتماع، وكتاب في أدب الرحلات غير مقالاته التي كتبها في الصحف والمجلات.

ومن مؤلفاته: نائب عزرائيل، ويا أمة ضحكت، وأرض النفاق، السقا مات، وفديتك يا ليلي، والبحث عن جسد، وبين الأطلال، وطريق العودة، وجفت الدموع، وأقوى من الزمن، ونحن لا نزرع الشوك، ولست وحدك، وفي موكب الهوى.

وفي قائمة نهائية أصدرها اتحاد الكتاب العرب بدمشق عام 2002م، عن أفضل 105 روايات عربية، تضمنت القائمة رواية السقا مات ليوسف السباعي.

في يوم الجمعة 18 فبراير من عام 1978، اغتيل يوسف السباعي في العاصمة القبرصية "نيقوسيا" عندما ذهب إلى هناك على رأس وفد مصري لحضور مؤتمر منظمة التضامن الآفرو أسيوي.

(٢٨) الأديب محمود تيمور

شخصيتنا كاتب قصصي، ولد في القاهرة في أسرة اشتهرت بالأدب؛ فوالده أديب، عُرف باهتماماته الواسعة بالتراث العربي.

ترك خلفه مكتبة عظيمة، تعد ذخيرة للباحثين، لما تحوي من نوادر الكتب والمخطوطات، "وعمته شاعرة رائدة صاحبة ديوان "حلية الطراز"، وشقيقه صاحب أول قصة قصيرة في الأدب العربي، انه الأديب محمود تيمور.

ولد محمود تيمور في قصر والده القديم بدرب سعادة بالقاهرة في السادس عشر من يونيو 1894م، "وقد نشأ في بيئة أسرية تجمع بين أمرين كان اجتماعهما غريباً في مثل هذه البيئة، الأمر الأول: الغنى والارستقراطية، والثاني: العلم والأدب على الطريقة العربية المأثورة".

فوالده أحمد تيمور باشا قد كرّس حياته لخدمة اللغة العربية ومعارفها، وكان يتردّد على مجالسه بعض أعلام الأدب والفكر.

وقد "تعهده والده منذ بداية نشأته، وحبّب إليه المُطالعة، ومن حسن حظه أن كان لوالده خزانة كتب كبيرة، يعتني بها، ويبذل في تنميتها وقته وماله، فكانت خير معين له على الاطلاع، وولّدت فيه حب الكتب".

تلقّى محمود تيمور "تعليمه الأول بمدرسة الناصرية الابتدائية والإلهامية الثانوية، ولمرضه لزم داره، واضطر إلى الحصول على البكالوريا عن طريق المنزل".

وكان قد دخل مدرسة الزراعة العليا، ولكنه لم يُتم الدراسة بها لمرضه، إذ لزم الفراش ثلاثة أشهر، وهو يعد هذا المرض من المؤثرات فيه.

وقد "انصرف محمود تيمور إلى الفن القصصي بجميع فروعه، ممّا واجه انتقادات حادة من كبار العائلة والأسرة، لأن هذا الفن يُعالج العواطف والمشاعر الوجدانية، وهي موضوعات كانت تُعتبر وقتها شائكة، لا يصح لمن ينتسب إلى هذه الأسرة أن يضيع وقته فيها".

كان تيمور في بداية حياته يميل إلى الرومانسية، حيث أقبل بشغف على قراءة مصطفى لطفي المنفلوطي، وبهذا يقول: "كانت نزعته الرومانسية الحلوة تملك عليَّ مشاعري، وأسلوبه السلس يسحرني، وكل إنسان في أوج شبابه تطغى عليه نزعة الرومانسية والموسيقى، فيُصبح شاعراً ولو بغير قافية، وقد يكون أيضاً شاعراً بلا لسان.

كما استهوته في فترة البدايات مدرسة المهجر وعلى رأسها جبران.

"وقد أعجب محمود تيمور بكتابه "الأجنحة المتكسرة"، وتأثر به في كتاباته الأولى".

وقد استغلّ تيمور فراغه في الاطلاع والدراسة الأدبية، واهتم بقراءات جديدة تجنح إلى الواقعية، مثل "حديث عيسى بن هشام" لمحمد المويلحي، ورواية "زينب" للدكتور محمد حسين هيكل.

وكان هذا توجيه من أخيه محمد، الذي عاش سنوات عديدة في أوروبا، اطلع خلالها على ألوان الأدب واتجاهاته، وعاد إلى مصر وهو يحمل آراء جديدة وصفها محمود تيمور في كتاب "شفاء الروح":

"كان يتحدّث بها إلي، أي الآراء الجديدة، فأستقبلها بعاطفتين، عاطفة الحذر، وعاطفة الإعجاب، حيث إن هذه الآراء كانت وليدة جحود القديم، والأمر الذي كان يشغل فكر أخي، ويرغب في تحقيقه هو إنشاء أدب مصري مبتكر.

وانتهى الصراع بين الرومانسية والواقعية في نفس محمود تيمور إلى تغليب الواقعية، فكانت مجموعاته الأولى على غرارها، لكن الرومانسية لم تذهب تماماً من نفس محمود تيمور، حيث ظهرت بعد ذلك في عدة قصص طويلة وقصيرة، منها قصته الطويلة "نداء المجهول".

توجّه محمود تيمور بفضل توجيهات أخيه إلى قراءة إبداعات الكاتب القصصي الفرنسي جي دي موباسان، فقرأ له وفُتِن به، وسار على طريقته في الكتابة.

وأول قصة قصيرة كتبها، كانت في عام 1919م بالعامية، ثم أخلص للفصحى، فأعاد بالفصحى كتابة القصص التي كتبها بالعامية، وأصبح من أعضاء مجمع اللغة العربية عام 1949م.

ويزيد عدد ما أصدره من قصص وروايات على خمسين عملاً، تُرجم بعضُها إلى لغات شتى "وتدور حول قضايا عصرية وتُراثية وتاريخية، فضلاً عن روايات استوحاها من رحلاته، مثل: "أبو الهول يطير" و"المئة يوم" و"شمس وليل"، أو روايات أدارها حول الشخوص الفرعونية، مثل "كليوباترا في خان الخليلي".

وقد مُنح محمود تيمور عددا من الجوائز الأدبية الكبرى في مسيرة حياته الأدبية، منها: جائزة مجمع اللغة العربية عام 1947م، وجائزة الدولة للآداب في عام 1950م، وجائزة الدولة التقديرية في عام 1963م.

وقد قال عنه طه حسين: "لا أكاد أصدق أن كاتبا مصريا وصل إلى الجماهير المثقفة وغير المثقفة مثلما وصلت إليها أنت، فلا تكاد تكتب، ولا يكاد الناس يسمعون بعض ما تكتب حتى يصل إلى قلوبهم كما يصل الفاتح إلى المدينة التي يقهرها فيستأثر بها الاستئثار كله".

واستمر محمود تيمور يواصل رحلة العطاء بالحب والإصرار، حتى تُوفِّي عن عمر بلغ نحو ثمانين عامًا في الخامس والعشرين من أغسطس عام 1973م، بعد أن أثرى المكتبة العربية والأدب العربي بأكثر من سبعين كتابًا في القصة والرواية والمسرحية والدراسات اللغوية والأدبية وأدب الرحلات، حيث مات في لوزان بسويسرا، ونقل جثمانه إلى القاهرة، ودُفِن بها.

(٢٩) الكاتب والأديب نجيب محفوظ

شخصيتنا هو الكاتب والأديب العالمي المعروف نجيب محفوظ، الذي ولد في الحادي عشر من شهر ديسمبر عام 1911، واسمه مركب أطلقه عليه والده عبد العزيز بن إبراهيم بن أحمد باشا تقديراً للطبيب العالمي الراحل نجيب محفوظ الذي أشرف على ولادته.

تعود أصول أسرة نجيب محفوظ إلى مدينة رشيد على ساحل البحر الأبيض المتوسط، وقد كان والده موظفاً بسيطاً بإحدى الجهات الحكومية، ثم استقال واشتغل بالتجارة وكان له أربعة إخوة وأخوات.

وعندما بلغ الرابعة من عمره ذهب إلى كتاب الشيخ بحيري، وكان يقع في حارة الكبابجي، ثم التحق بمدرسة بين القصرين الابتدائية، وبعد أن انتقلت أسرته عام 1924 إلى العباسية، حصل هناك على شهادة البكالوريوس من مدرسة فؤاد الأول الثانوية.

أمضى الأديب العالمي طفولته في حي الجمالية أحد الأحياء الشعبية لمدينة القاهرة ، ثم انتقل إلى أحياء العباسية والحسين والغورية، وهي أحياء القاهرة القديمة التي أثارت اهتمامه في أعماله الأدبية وفي حياته الخاصة.

أتم نجيب محفوظ دراسته الثانوية و عمره 18 عاما، واعتبر هذا مؤشرا على نجابته، إذ كان الحصول على شهادة الدراسة الثانوية في هذه السن علامة بارزة على ذكائه.

وبعدها التحق بكلية الآداب جامعة القاهرة ليحصل على ليسانس الفلسفة عام 1930م، ثم سجل عام 1934 للحصول على درجة الماجستير قبل أن يقرر التفرغ تماماً للأدب. حيث بدأ بنشر مقالات وأبحاث فلسفية في سن مبكرة جداً عندما كان في التاسعة عشرة تقريبا.

واستمر في نشرها حتى حلول عام 1945، وكان متردداً بين اختيار الأدب أو الفلسفة حتى استقر تماماً على الإبداع الأدبي تاركا الفلسفة تتحدث عن نفسها في أعماله الأدبية العظيمة التي أوصل بها الأدب العربي إلى العالمية.

يعد نجيب محفوظ من الادباء العباقرة في مجال الرواية التاريخية والاجتماعية، وقد كرس حياته لهذا العمل، كما انه يتميز بالقدرة الكبيرة على التفاعل مع القضايا المحيطة به، واعادة انتاجها في شكل ادب يربط الناس بما يحصل في المراحل العامة التي عاشتها مصر.

يتميز اسلوب محفوظ بالبساطة، والقرب من الناس كلهم، لذلك اصبح الروائي العربي الاكثر شعبية، وقد تجلت موهبته في ثلاثيته الشهيرة (بين القصرين، وقصر الشوق، والسكرية) التي انتهى من كتابتها عام 1952 لكن لم يتمكن من نشرها قبل عام 1956 لضخامة حجمها.

ففي عام 1936 بدأ محفوظ كتابة القصة القصيرة بشكل مستمر، وكان قبل ذلك قد نشر أول قصة قصيرة له في عدد المجلة الجديدة الأسبوعية في يوم 3/8/1934 بعنوان (ثمن الضعف).

عمل نجيب محفوظ في عدد من الوظائف الرسمية، حيث كان سكرتيراً برلمانياً بوزارة الأوقاف من 1938 حتى 1945، ثم انتقل للعمل بمكتبة الغوري بالأزهر.

ثم نقل للعمل مديراً لمؤسسة القرض الحسن بوزارة الأوقاف حتى عام 1954 ومن ثم تدرج في مناصبه فعمل مديراً لمكتب وزير الإرشاد، ثم مديراً للرقابة على المصنفات الفنية في عهد وزير الثقافة ثروت عكاشة.

وفي عام 1960 عمل مديراً عاماً لمؤسسة دعم السينما، بعدها عمل مستشاراً للمؤسسة العامة للسينما والإذاعة والتليفزيون عام 1962.

ثم عين رئيساً لمجلس إدارة المؤسسة العامة للسينما في أكتوبر 1966 إلى أن أحيل إلى التقاعد عام 1971 مما جعله ينضم إلى كتاب مؤسسة الأهرام.

أما عن حياته العائلية فقد تزوج نجيب محفوظ عام 1954، وأنجب بنتين هما أم كلثوم، وفاطمة.

نقل نجيب محفوظ في أعماله حياة الطبقة المتوسطة في أحياء القاهرة، فعبر عن مشاكلها وهمومها في الحياة، وتكلم عن أحلامها وتطلعاتها في المستقبل، وعكس قلقها حيال القضايا المصيرية.

كما صور حياة الأسرة المصرية البسيطة في علاقاتها الداخلية وامتداد هذه العلاقات في المجتمع المصري خصوصاً في الأحياء المصرية الفقيرة التي يعيش فيها المصريون ببساطة وسهولة بلا تعقيدات الحياة الحديثة التي سادت في المجتمع الغربي وحتى في بعض المجتمعات العربية.

ولذلك اتسمت هذه الأعمال بالواقعية الحية التي تعبر عن الحياة الحقيقية بلا مبالغة أو تهويل لكنها لم تلبث أن اتخذت طابعا رمزيا كما في بعض رواياته مثل "الحرافيش" و"رحلة ابن فطوطة".

بين عامي 1952 و1959 كتب نجيب محفوظ عددا من السيناريوهات للسينما ولم تكن هذه السيناريوهات تتصل بأعماله الروائية التي تحول عدد منها إلى الشاشة في فترة متأخرة.

بدأ حياته الفنية في كتابة السيناريو لأفلام مثل "لك يوم يا ظالم" عام 1951 و "ريا وسكينة" عام 1953 و "درب المهابيل" عام 1955 الى ان توقف عن كتابة السيناريوهات عام 1960.

فبدأت السينما المصرية في اخراج رواياته، ومن هذه الأعمال "بداية ونهاية" و"الثلاثية" و"ثرثرة فوق النيل" و"اللص والكلاب" و"الطريق" و"بين القصرين".

إن (الثلاثية) ملحمة عظيمة أبدعها محفوظ حيث تصور الواقع الاجتماعي والتجربة الإنسانية في الحياة وربما تكون أعظم عمل أدبي قام به نجيب محفوظ في الأدب العربي في العصر الحديث.

فالثلاثية عمل أدبي رائع ويصور حياة ثلاثة أجيال في مصر هي جيل ما قبل ثورة 1919، وجيل الثورة، وجيل ما بعد الثورة.

وصوّر محفوظ من خلال روايته أفكار وأذواق وحياة هذه الأجيال ومواقفها من المرأة والعدالة الاجتماعية والقضية الوطنية كما صوّر عادات وتقاليد وأزياء وفلكلور وثقافة هذه الأجيال.

كانت (أحلام فترة النقاهة) آخر أعمال صاحب جائزة "نوبل" الذي كان يثير الدهشة بالقدرة على اقتناص المفارقات والتقاط كل ما يثير روح التحفيز في القراء خاصة ما يتعلق بالموقف من السلطة حيث ضمن نجيب محفوظ في مؤلفه الجديد صرخة مكتومة حين يتواطأ الجميع على الشعب.

تحدث فيها محفوظ عن محكمة موضع الاتهام فيها مجموعة من الأشخاص، لكن القاضي يقرر أن يصدر حكم الإعدام في حقه هو الذي حضر الجلسة لمعرفة المسؤول عن من ظلم الشعب، ولم تجد صرخاته جدوى أمام تواطؤ الجميع عليه.

وقد تحدى الروائي العربي الكبير نجيب محفوظ نفسه وشيخوخته عندما أصرّ على الكتابة، ولو بالإملاء، على سكرتيره الحاج صبري الذي كان يقرأ له الصحف يومياً بعدما اشتد ضعف بصره وازدادت رجفة يديه وتدهورت حالته الصحية، حتى صار محفوظ لا يستطيع الإمساك بالقلم ليكتب ولا يرى الكلمات والسطور، لكنه بالرغم من ذلك كان لديه اصرار على الكتابة.

وقد ترجمت روايته زقاق المدق إلى الفرنسية عام 1970، ونقل عدد من أعماله البارزة إلى لغات متعددة، كالفرنسية والإنكليزية، بعد حصوله على جائزة نوبل للآداب عام 1988م. وقد حصل نجيب محفوظ على تلك الجائزة في الآداب عن رواية اولاد حارتنا، وقامت ابنتا الكاتب (فاطمة وأم كلثوم) بالذهاب لتسلم الجائزة نيابة عنه.

كان الأديب العالمي نجيب محفوظ قد تعرض في أكتوبر عام 1994 لمحاولة اغتيال على يد شاب متشدد لم يقرأ له على الإطلاق، وأثر الحادث على قدرته على الكتابة وعلاقته بمتابعة أمور الحياة.

كما فرضت حوله حراسة لحمايته ولكن الحادث دفعه إلى كتابة لوحات جديدة يقطر فيها فلسفته في الحياة ورؤيته للعالم.

وقد كتب عن الكثيرين مثل الشيخ مصطفى عبد الرازق الذي درس محفوظ الفلسفة على يديه والموسيقي المصري الرائد سيد درويش والمطرب الملحن زكريا أحمد وغيرهم ممن رحلوا بعد أن قادوا نهضة فنية وأدبية في العالم العربي مازال الجيل الجديد يغوص في أعماقها ويستمد القوة منها لمواصلة النجاح والنهضة الثقافية.

أول جائزة أدبية حصل عليها محفوظ هي جائزة قوت القلوب الدمرداشية عام 1940 وكانت لجنة التحكيم مشكلة من طه حسين و أحمد أمين و محمد فريد أبو حديد.

وفاز محفوظ بالمركز الأول مناصفة مع علي أحمد باكثير على روايته "سلامة" بينما فازت "رادوبيس" محفوظ بنصف الجائزة و قيمتها 20 جنيها وقد كان وقتها يفشل في نشر رواياته في الصحف ما رفع روحه المعنوية.

وبروايته "كفاح طيبة" تقدم لمسابقة مجمع اللغة العربية وكان من بين الخمسة الفائزين بها ومنهم عادل كامل وباكثير ويوسف جوهر وكانت قيمة الجائزة مائة جنيه.

ثم تقدم إلى جائزة وزارة المعارف بروايته "زقاق المدق" فقوبلت بالرفض فقدم "القاهرة الجديدة" فلم تقبل أيضاً ثم وافقوا على اشتراكه برواية "خان الخليلي".

وكان أعضاء لجنة التحكيم منحازين لسعيد العريان باستثناء المازني الذي اقترح أن تمنح الجائزة مناصفة فحكموا العقاد في المسألة فطلب أن تفوز بالجائزة الأولى وانتهت الأزمة بتقسيم الجائزة بين محفوظ والعريان.

في يوم الخميس 13 أكتوبر 1988 ذهب "محفوظ" إلى عمله في جريدة "الأهرام" وتحدث مع أصدقائه عن جائزة نوبل وقال لهم سوف نقرأ في الصفحة الأولى من الأهرام غداً خبراً صغيراً كالمعتاد ونعرف من فاز بها.

وعاد بعد ذلك إلى بيته و تناول الغذاء ودخل غرفة نومه ولم تمض دقائق حتى وجد زوجته توقظه قائلة: لقد أخذت جائزة نوبل.

استيقظ غاضباً واعتبر كلام زوجته هلوسة ورغم اتصال الأهرام لم يصدق إلا عندما دق بابه سفير السويد في القاهرة وهنأه بالجائزة وقدم له هدية رمزية وبمجرد انصراف السفير تحولت شقة محفوظ إلى ما يشبه السوق.

كان محفوظ يفرغ من عمله في الثانية ظهراً ويعود إلى بيته لتناول الغداء وعند الساعة الرابعة، يبدأ بالكتابة لمدة ثلاث ساعات.

في تلك المرحلة كان يمنح نفسه إجازة من الأدب يومي الخميس والجمعة إلى جانب الإجازة الإجبارية طوال أشهر الصيف بسبب الحساسية التي تصيب عينيه.

وترتبط الكتابة عند محفوظ بعادتين هما التدخين الذي مارسه منذ كان طالباً في المرحلة الثانوية.

وبجانب ذلك يجب أن تكون هناك خلفية موسيقية وعندما خرج إلى المعاش لم يختلف نظام الكتابة كثيراً، لكنه قبل حصوله على جائزة نوبل للآداب أصيب بضمور في شبكية العين مما سبب له إزعاجاً شديداً وهدم النظام الذي سار عليه طوال حياته.

الأديب والروائي العالمي نجيب محفوظ يبقى خالداً في الذاكرة متغلغلاً في الوجدان، من أمثاله يرحلون فقط بالجسد ويكتب لهم الزمن بالخلود، فهو هرماً أسطوريا عبر التاريخ.

عمل أديبنا الكبير في وزارة الأوقاف ومجلس النواب وإدارة الجامعة ففي الأوقاف كان يلتقي بالمستحقين في الوقف للعائلات القديمة.

وفي مجلس النواب كان يتابع الصراعات الحزبية أما في إدارة الجامعة فقد اصطدم بنماذج بشرية أخرى.

فبطل "القاهرة الجديدة" عرفه محفوظ وهو طالب وتتبعه إلى أن حصل على وظيفة لكن سقوطه بدأ وهو طالب، وبطل "خان الخليلي" كان زميلاً لمحفوظ في إدارة الجامعة واسمه أحمد عاكف وقد شكره بعد قراءته للرواية رغم أنه وصفه بالغرور الكاذب.

ويذكر محفوظ أن أحمد عاكف تم تكليفه بتأسيس إدارة جامعة الإسكندرية وعند إنشائها كان أول مدير لها هو د. طه حسين.

وقد كتب عاكف إحدى الرسائل فأدخل عليها العميد بعض التعديل، فثأر عاكف ودخل عليه كالمجنون مستنكراً أي تعديل على ما يكتبه فتم نقله فوراً وهكذا حرمه غروره الكاذب من وظيفة السكرتير لإدارة جامعة الإسكندرية.

تخرج محفوظ في عام 1934 في كلية الآداب قسم الفلسفة وهذا ساعده في الحصول على الوظيفة، ويعترف محفوظ بأن الوظيفة أعطته مادة إنسانية عظيمة وأمدته بنماذج بشرية لها أكثر من أثر في كتاباته لكن الوظيفة نفسها كنظام حياة و طريقة لكسب الرزق كان لها أثر ضار فقد أخذت نصف يومه لمدة 37 سنة.

أعطت الوظيفة نجيب محفوظ فكرة جيدة عن النظام والبيروقراطية وعرفته بنماذج بشرية فكانت مصادره الإبداعية الوظيفية وكذلك المقهى والحارة.

وهو يعتني في رواياته بالجزء المادي ويعطيه حقه الواقعي وربما بسبب هذا حدثت مشكلة رواية "أولاد حارتنا" ولو كان معنياً بالرمز وحده لكان غير من رسم شخصياتها إلى شخصيات أخرى.

وأمده عمله في السينما بنماذج من ممثلين وممثلات ومخرجين ومنتجين اختلط بهم، ووجد أن الأخلاق العامة واحدة ومتقاربة لكن اختلاف المهنة يعطي هذه النماذج ألواناً مختلفة.

وعندما أصبح ثروت عكاشة وزيراً للثقافة جعل من محفوظ رئيساً لمؤسسة دعم السينما لحوالي ثلاث سنوات.

وحين تولى د.عبد القادر حاتم حقيبة الثقافة خلفا لعكاشة، استبعد محفوظ من غير عمل أو سلطة إلى أن عاد عكاشة للوزارة مرة ثانية عام 1966 فعمل معه رئيساً لمؤسسة السينما لمدة عامين، لم يكتب خلالهما كلمة وعاش حالة اكتئاب ويعتبرها أسوأ فترة في حياته الوظيفية.

وبعد عدة أزمات أصبح محفوظ مستشاراً لوزير الثقافة حتى خرج إلى المعاش سنة 1971 مختتماً حياته الوظيفية وكانت أعلى درجة وظيفية حصل عليها هي رئيس مؤسسة وتساوي درجة نائب وزير وكان أعلى راتب حصل عليه في الوظيفة هو 100 جنيه شهرياً.

حياة مديدة عاشها محفوظ تغيرت الدنيا من حوله لكنه ظل محافظاً على إيقاع عام لم يغيره إلا في سنواته الأخيرة عقب محاولة الاغتيال الفاشلة.

وفي كل الأحوال كانت الكتابة خبزاً رئيسياً في هذه المسيرة الحافلة بالإنجازات فكانت أحلام فترة النقاهة هي فعل الكتابة الذي لا ينقطع، قبلها كان قد أنجز عمله غير المسبوق "أصداء السيرة الذاتية".

يقول "محفوظ" كانت شخصية والدي تتحلى بقدر كبير من التسامح والمرونة والديمقراطية وليس فيه استبداد أو عنف ولا علاقة له بشخصية "السيد أحمد عبد الجواد" بطل لثلاثية.

أما شخصية سي السيد والحديث مازال لنجيب محفوظ تنطبق أكثر على جار شامي الأصل اسمه عم بشير استقر هو وزوجته في مصر وكان بيته مواجهاً لبيتنا في "بيت القاضي".

هذا الرجل رغم طيبته كان جباراً وكان يعامل زوجته بقسوة لدرجة أنها كانت تأتي إلى والدتي باستمرار تبثها الشكوى من سوء معاملة الزوج وفي ليالي القمر كانت تجلس مع أمي فوق السطح وتطلب مني الغناء فألاحظ الدموع على خديها.

في سنوات دراسة نجيب الابتدائية قرأ محفوظ لكبار الأدباء في ذلك الوقت و حاول تقليد أسلوب المنفلوطي كما حاول كتابة قصة حياته على غرار "الأيام" لطه حسين وأسماها الأعوام.

وكان عام 1936 كما ذكرنا في الحلقات الماضية حاسماً في حياته حيث قرر احتراف كتابة القصة بعد أن مر بصراع نفسي رهيب في المفاضلة بين الفلسفة والأدب وكانت الرواية هي الفن الذي وجد نفسه فيه وبتأثير قراءاته في التاريخ الفرعوني.

أراد أن يكتب تاريخ مصر كاملاً من خلال الأعمال الروائية وهو المشروع الذي توقف بعد ثلاث روايات رادوبيس وكفاح طيبة وعبث الأقدار.

وعندما بدأت قراءته تتسع في الأدب الحديث قلت حماسته للكتابة التاريخية بعد أن أدرك أن الرواية يمكن أن يكون لها دور مؤثر في معالجة قضايا المجتمع والتعبير عن هموم الناس ومشاكلهم.

ومن هنا اتجه إلى الرواية الواقعية التي مارسها فترة طويلة حتى قيام ثورة 23 يوليو عام 1952 حيث فوجئ بعدها بواقع جديد وقضايا جديدة ونوع من التفكير طرأ على المجتمع يختلف عما كان سائداً من قبل.

هذه التغيرات أدخلت عليه حالة من التأمل والتفكير استمرت خمس سنوات لم يكتب خلالها أي عمل أدبي وكان العمل الأول الذي كتبه بعد انقطاع هو "أولاد حارتنا".

يرى محفوظ أن الشعر هو روح الأدب و قد ضمّن عدداً كبيراً من رواياته لغة شعرية كما في رواية اللص والكلاب.

بل أن هناك رواية أدخل فيها الشعر بشكل مباشر وهي الحرافيش حيث استعان بنصوص كاملة من ديوان حافظ الشيرازي.

وقد وضعها بنصها الفارسي وهو يعتبر نفسه أحد محبي الشعر ومتذوقيه وكان له تجربة في كتابته و كما يقول "لو كان عندي ملكة الحفظ لاستمرت التجربة لأن الشاعر لابد أن يتمتع بهذه الصفة التي لا غنى عنها".

وهناك تجربة مهمة في حياة نجيب محفوظ لابد من التعرض لها وخاصة بعلاقته بالسينما ففي عام 1947 طلب منه المخرج صلاح أبو سيف أن يلتقي به وكان بعد فيلم عنتر وعبلة، للحديث عن كيفية كتابة السيناريو واستطاع محفوظ إنجاز ما طلبه أبو سيف.

وما بين عام 1952 و1957 سجل محفوظ اسمه في نقابة المهن التمثيلية كسيناريست محترف و توالت أعماله السينمائية مثل ريا وسكينة والوحش واحنا التلامذة.

لم يلتفت أحد إلى رواياته إلا عندما قام أحمد عباس صالح بتحويل رواية "بداية و نهاية" إلى مسلسل إذاعي في "صوت العرب" وتصادف أن تابع المسلسل المنتج والمصور عبد الحليم فريد فاشترى الرواية لاستغلالها سينمائياً وعندما اختاره الدكتور ثروت عكاشة مديراً عاماً للرقابة على المصنفات، اعتزل كتابة السيناريو وانقطعت صلته بالمنتجين ولم يعد يبيع لهم أي قصص إغلاقاً لباب المجاملات.

لكن قبوله لمنصب مدير عام الرقابة رسم على وجه الكثيرين من أصدقائه و قرائه علامات استفهام كبيرة فكيف يكون داعياً للحرية وينادي بها ويتخذ من الديمقراطية شعاراً ثابتاً له ثم يرضى أن يكون رقيباً على الفن ويحد من حرية الفنانين.

في عام 1978 بدأت الجامعة الأمريكية في ترجمة أعمال محفوظ وأصبحت وكيلاً لنشر أعماله المترجمة في عام 1985 حيث نشرت أكثر من 400 طبعة من أعماله المترجمة والتي بلغت 23 عملاً.

وقد بيع من أعماله المترجمة وفق مسئولي النشر في الجامعة أكثر من مليون نسخة في أنحاء العالم، وترجمت أعماله إلى 17 لغة.

عندما تزوج نجيب محفوظ في عام 1954 توقع الكثيرون أن تتراجع جرأته في تناول قضايا المجتمع لكن توقعاتهم خابت فازدادت كتاباته عنفا وجرأة وقد تعرض لبعض المشاكل نتيجة كتاباته الجريئة.

فقد نشر محفوظ قصة قصيرة في الأهرام بعنوان "سائق القطار" وتدور حول سائق قطار يفقد صوابه ويتسبب في حادث تصادم مروع وكان تفسير البعض أنه يقصد المسئولين وقتها في مصر، ولم ينقده إلا مقال لمحمد فريد أبو حديد يفسر الصراع في القصة بأنه بين الشرق والغرب.

وكانت الأزمة الثانية عندما أصدر "ثرثرة فوق النيل" وقد طالب وقتها ثروت بضرورة أن يتوافر للأدب قدر من الحرية لينقل صورة واقعية حقيقية عن المجتمع و إذا لم يجد الأدب هذا القدر من الحرية مات وفقد تأثيره.

تُوفي نجيب محفوظ في 29 أغسطس عام 2006 بعد عشرين يوماً من دخوله مستشفى الشرطة في محافظة الجيزة لإصابته بمشكلات صحية في الرئة والكليتين.

وكان قبلها قد دخل المستشفى في يوليو من العام ذاته لإصابته بجرح في الرأس إثر سقوطه في الشارع.

رحل الأديب والروائي العالمي نجيب محفوظ متدثراً بعلم مصر وحب الملايين له وظل خالداً عبر التاريخ في الذاكرة والوجدان.

(٣٠) الأديب مصطفى صادق الرافعي

شخصيتنا هو مصطفى صادق الرافعي الذي ولد على ضفاف النيل في قرية بهتيم في مدينة القليوبية بمصر في يناير عام 1880م لأبوين سوريَّين؛ حيث يتصل نسب أسرة والده بعمر بن عبد الله بن عمر بن الخطاب رضي الله عنهم في نسب طويل من أهل الفضل والكرامة والفقه في الدين.

وفد من آل الرافعي إلى مصر طائفة كبيرة اشتغلوا في القضاء على مذهب الإمام أبي حنيفة النعمان حتى اجتمع منهم في وقت واحدٍ أربعون قاضياً في مختلف المحاكم المصرية.

حتى أصبحت وظائف القضاء تكاد تكون حِكراً عليهم، وقد تنبه اللورد كرومر لذلك وأثبتها في بعض تقاريره إلى وزارة الخارجية البريطانية.

أما والد الرافعي الشيخ عبد الرزاق سعيد الرافعي فكان رئيساً للمحاكم الشرعية في كثير من الأقاليم المصرية.

وقد استقر به المقام رئيساً لمحكمة طنطا الشرعية، وهناك كانت إقامته حتى وفاته، وفيها عاش مصطفى صادق وإخوته لا يعرفون غيرها.

أما والدته فهي من أسرة الطوخي وتُدعى "أسماء" وأصلها من حلب، سكن أبوها الشيخ الطوخي في مصر قبل أن يتصل نسبهم بآل الرافعي. وهي أسرة اشتهر أفرادها بالعمل التجاري.

لهذه الأسرة الكريمة ينتمي مصطفى صادق وفيها تربى، وعلى الثقافة السائدة لأسرة أهل العلم نشأ؛ فتعلم من أبيه تعاليم الدين، وحفظ القرآن وهو دون العاشرة.

لم يدخل الرافعي المدرسة إلا بعدما تجاوز العاشرة بسنة أو اثنتين، وفي السنة التي حصل فيها الرافعي على الشهادة الابتدائية أُصيب بمرض التيفوئيد الذي أثر على أعصابه حتى فقد حاسة السمع وهو لم يتجاوز الثلاثين.

كانت بوادر إصابته بفقدان السمع قد صرفته عن إتمام تعليمه بعد المرحلة الابتدائية.

فاتجه إلى مدرسته التي أنشأها لنفسه وأعد برامجها بنفسه؛ فكان هو المعلم والتلميذ، حيث أكمل دراسته في مكتبة والده الحافلة التي تجمع نوادر كتب الفقه والدين والعربية.

وكان مرضه سببًا منعه من مخالطة الناس، فكانت مكتبته هي دنياه التي يعيشها وقد ظل مستمراً في القراءة والاطلاع إلى آخر يوم في عمره، حيث كان يقرأ كل يوم 8 ساعات.

استطاع الرافعي خلال فترة حياته الأدبية التي تزيد على خمس وثلاثين سنة إنتاج مجموعة كبيرة ومهمة من الدواوين والكتب التي أصبحت علامات مميزة في تاريخ الأدب العربي.

وكان الرافعي شاعراً فقد بدأ يكتب الشعر وهو في العشرين من عمره، فطبع الجزء الأول من ديوانه في عام 1903 وهو لم يتجاوز الثالثة والعشرين.

وقد قدّم له بمقدمة بارعة فصّل فيها معنى الشعر وفنونه ومذاهبه.

وتألق نجم الرافعي الشاعر بعد الجزء الأول واستطاع أن يلفت نظر أدباء عصره، واستمر على نفس الإبداع فأصدر الجزأين الثاني والثالث من ديوانه.

وبعد فترة أصدر ديوان النظرات، ولقي الرافعي حفاوة بالغة من علماء العربية وأدبائها، حتى كتب إليه الإمام محمد عبده قائلاً: "أسأل الله أن يجعل للحق من لسانك سيفاً يمحق الباطل، وأن يقيمك في الأواخر مقام حسان في الأوائل".

من أبرز وأجمل ما قيل في مصطفى الرافعي ما قاله مصطفى كامل: «سيأتي يوم إذا ذُكر فيه الرافعيُّ قال الناس: هو الحكمة العالية مصوغة في أجمل قالب من البيان».

وقال عنه أيضاً السيدُ محمد رشيد رضا مؤسس مجلة «المنار»: «الأديب

الأروع، والشاعر الناثر المبدع، صاحب الذوقِ الرقيق، والفهمِ الدقيق، الغواص على جواهر المعاني، الضارب على أوتار مثالثها والمثاني».

وقال عنه الأديبُ عباس محمود العقاد بعد وفاة الرافعي بثلاث سنين: «إن للرافعي أسلوباً جزلاً، وإن له من بلاغة الإنشاء ما يسلكه في الطبقة الأولى من كُتّاب العربية المنشئين».

وقد قال أيضاً «إنه ليتفق لهذا الكاتب من أساليب البيان ما لا يتفق مثلُه لكاتب من كتاب العربية في صدر أيامها» .

وخَطَّ شكيب أرسلان كلمةً رائعة، عنونها بـ «ما وراء الأكمة»، صدرها بقوله عن الرافعي: «حضرة الأستاذ العبقري، نابغة الأدبِ، وحجة العربِ».

وقال عنه المُحَدِّث أحمد محمد شاكر: «إمام الكُتّاب في هذا العصرِ، وحجة العربِ».

وقال عنه أحمد زكي باشا الملقب بشيخ العروبة مخاطباً الرافعي: "لقد جعلت لنا شكسبير كما للإنجليز شكسبير، وهوجو كما للفرنسيين هوجو، وجوته كما للألمان جوته".

وقد كُتب عن الرافعي عدة دراسات منها، "حياة الرافعي" لمحمد سعيد العريان.

و"الجانب الإسلامي في أدب مصطفى صادق الرافعي" لعبد الستار علي السطوحي.

كما كتبت عن فكره وأدبه رسائل جامعية عديدة في جامعات مصر والسعودية وسوريا.

قلّ اهتمام الرافعي بالشعر بعد بدايته القوية؛ بسبب أن القوالب الشعرية بدأت تضيق كما يصفها، فاتجه إلى النثر محاولاً إعادة الجملة القرآنية إلى مكانها.

فأيقن الرافعي أن عليه رسالة يجب أن يؤديها إلى أدباء جيله، فجعل هدفه الذي يسعى إليه أن ينفخ في هذه اللغة روحاً من روحه، ويردّها إلى مكانها

الطبيعي، فكتب مجموعة من الكتب تعبر عن هذه الأغراض عُدت من عيون الأدب في مطلع هذا القرن وكان من أهمها:

كتاب تحت راية القرآن: وهو كتاب وقفه -كما يقول- على تبيان غلطات المجددين، وهو في الأصل مجموعة مقالات كان ينشرها في الصحف في أعقاب خلافه مع طه حسين الذي احتل رده على كتاب "في الشعر الجاهلي" معظم صفحات الكتاب.

أما الكتاب الثاني فكان من وحي القلم: وهو مجموعة من مقالاته النقدية والإنشائية المستوحاة من الحياة الاجتماعية المعاصرة والقصص والتاريخ الإسلامي المتناثرة في العديد من المجلات المصرية المشهورة في مطلع القرن الماضي مثل: الرسالة، والمؤيد والبلاغ والمقتطف والسياسة وغيرها.

وكتابه الثالث حمل اسم تاريخ الأدب العربي: وهو كتاب في ثلاثة أجزاء، فالجزء الأول يتحدث عن أبواب الأدب والرواية والرواة والشواهد الشعرية، والثاني: في إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، وأما الثالث: فقد انتقل الرافعي إلى رحمة ربه قبل أن يرى النور؛ فتولى تلميذه محمد سعيد العريان إخراجه.

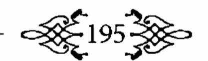
أما كتاب حديث القمر: وهو ثاني كتبه النثرية فقد ألفه بعد عودته من رحلته إلى لبنان عام 1912.

ومن مؤلفات الرافعي كتاب المساكين: وهو كتاب قدّم له بمقدمة بليغة في معنى الفقر والإحسان والتعاطف الإنساني.

أيضاً ألف الرافعي كتاب رسائل الأحزان وهذه الرسائل تعتبر من روائع الرافعي.

ومن مؤلفاته أيضاً السحاب الأحمر: وقد جاء بعد رسائل الأحزان، وهو يتمحور حول فلسفة الكره، وطيش القلب، ولؤم المرأة.

كذلك من مؤلفاته كتاب أوراق الورد رسائله ورسائلها: وهو طائفة من خواطر النفس المنثورة في فلسفة الحب والجمال، أنشأه الرافعي ليصف حالة من حالاته ويثبت تاريخاً من تاريخه، كانت رسائل يناجي بها محبوبته في خلوته، ويتحدث بها إلى نفسه.



وأخيراً كتاب على السَّفُّود: وهو كتاب لم يكتب عليه اسم الرافعي إنما رمز إليه بعبارة إمام من أئمة الأدب العربي؛ وهو عبارة عن مجموعة مقالات في نقد بعض نتاج العقاد الأدبي.

كان الرافعي ناقداً أدبياً عنيفاً لا يعرف المداراة، ولا يصطنع الأدب مع خصومه، وكانت فيه غيرة واعتداد بالنفس.

وكان فيه حرص على اللغة وكان يهاجم خصومه بشدة، فكانت له خصومات عديدة مع شخصيات عنيدة وأسماء نجوم في الأدب والفكر والثقافة في مطلع القرن.

فكانت بينه وبين المنفلوطي خصومة ابتدأها هذا الأخير بسبب رأي الرافعي في شعراء العصر. وكانت له صولات مع الجامعة المصرية حول طريقة تدريس الأدب العربي، وجولات أخرى مع عبد الله عفيفي وزكي مبارك.

على أن أكثر معاركه شهرة وحدة هو ما كان بينه وبين طه حسين، وبينه وبين العقاد، بل لعلها أشهر وأقسى ما في العربية من معارك الأدب.

خصومة الرافعي مع طه حسين كانت بسبب كتاب طه حسين "في الشعر الجاهلي" الذي ضمّنه رأيه في أن غالبية الشعر الجاهلي غير حقيقي، وهي مقولة خطيرة تنبه لها الرافعي.

فشن عليه الرافعي حملة شرسة في الصحافة المصرية وطالب الحكومة والقانون وعلماء الدين، أن يمنعوا طه حسين من أن ينشر هذه المعلومات الخاطئة بين طلاب الجامعة.

وقد أسرّ "طه" هذا الموقف للرافعي، فما سنحت له فرصة أن ينال بها من الرافعي إلا استغلها، غير أن الرافعي كان يقارعه حجة بحجة ونقداً بنقد حتى توفي رحمه الله.

أما خصومته مع العقاد فكانت بسبب كتاب الرافعي "إعجاز القرآن والبلاغة القرآنية" إذ يرى العقاد رأياً مخالفاً لما يرى الرافعي.

وقد نشبت بينهما لذلك خصومة شديدة تجاوزت ميدانها الذي بدأت فيه، ومحورها الذي كانت تدور عليه إلى ميادين أخرى.

وكان البادئ الرافعي في مقالاته "على السفود" التي جمعها له في كتاب صديقه إسماعيل مظهر، وتوقفت المعركة بينهما فترة وجيزة ما لبثت أن اشتعلت مرة أخرى عندما نشر العقاد ديوانه "وحي الأربعين" فكتب الرافعي نقداً لديوانه، تلقفه العقاد بالسخرية والتهكم والشتم.

توفي الرافعي في مايو سنة 1937 عن عمر يناهز 57 عاماً وكان لا يزال يعمل كاتباً ومحصلاً مالياً في محكمة طنطا، وهو العمل الذي بدأ به حياته العملية عام 1900م.

(٣١) الأديب عبدالرزاق إبراهيم البصير

الأديب الكويتي الشهير عبد الرزاق إبراهيم البصير وهو من مواليد عام 1915 في مدينة شرق بالكويت.

عاش الأديب عبد الرزاق البصير حياته في الكويت وزار عدداً من البلاد العربية والأجنبية نشأ الأديب فاقداً للبصر بسبب إصابته بمرض الجدري وهو صغير.

تلقى التعليم الأولي بالكتاب فحفظ القرآن الكريم والسيرة ودرس بعد ذلك الفقه والتاريخ الإسلامي والفلسفة الإسلامية.

عمل في بداية حياته العملية قاضياً للأحوال الشرعية ثم عمل مأذوناً شرعياً حتى عام 1954.

واتجه للعمل في المحافل الدينية ثم للعمل الحكومي حيث عمل أميناً لمكتبة دائرة المطبوعات والنشر وكان مراسل لمجمع اللغة العربية بالقاهرة حيث رشحه الدكتور طه حسين ليكون عضواً بالمجمع وقد عمل في أثناء تلك الفترة في جريدتين البحرين ثم الرسالة المصرية وكان ذلك بداية العمل بالكتابة.

عمل أيضاً أميناً لمكتبة وزارة الإعلام حتى بداية التسعينيات وعمل في عضوية لجنة التراث العربي والترجمة وعمل في المجلس التشريعي الكويتي.

بدأ عبد الرزاق البصير كتاباته الصحافية في سن مبكرة، وأصبح بعدها اميناً عاماً لمكتبة دائرة المطبوعات والنشر ثم وزارة الارشاد والانباء ثم وزارة الاعلام.

وهو من مؤسسي النادي الثقافي القومي، وواكب انشاء رابطة الادباء في دولة الكويت وله اسهامات جليلة في تطورها ومواكبتها عبر السنين.

ويعتبر كما ذكرنا أول كويتي يتم اختياره عضواً في مجمع اللغة العربية في

القاهرة.

وعين عضوا في اول مجلس استشاري للأعلام، وعين أيضاً عضوا في المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب في دورات عدة.

وشارك في مؤتمرات الادباء العرب، وكتب مؤلفات عديدة في الفكر والثقافة وعن الخليج العربي والنقد الادبي والجريمة الكبرى وامانة القلم.

وقد كتب المقالات والدراسات في الصحف لما يقارب اكثر من 60 عاما في دولة الكويت والخليج والعالم العربي.

منح شهادات التكريم والتقدير لإنجازاته الادبية والثقافية من قبل مملكة البحرين ودولة الامارات العربية المتحدة.

من القضايا الأساسية التي كان يسعى لها طوال حياته اللغة العربية فكان من المهتمين بتعريب الكلمات خصوصاً المصطلحات العلمية وإيجاد ألفاظ عربية لها فكان شغله الشاغل قضايا اللغة العربية والعمل على رفع شأنها بالدراسة والبحث.

وبالإضافة إلى انه أديب وصحفي وباحث كان له عدد من الإنتاج الشعري حيث كان يقول الشعر بالفطرة والارتجال السريع محافظاً على الوزن والقافية منها قصيدة ابني، وإلى أخي محمد، ومنزلة المرأة.

وللأديب العديد من المؤلفات الأخرى منها كتاب عن البيئة تحدث فيه عن تاريخ الخليج العربي، والحضارة المعاصرة وهو من اكثر الكتب تعبيراً عن نشأة الخليج العربي، واتجه للنقد الأدبي أيضاً بصفته أديباً فكتب نظريات في الأدب والنقد عام 1990.

بالإضافة لقضيته الشاغلة اللغة العربية كتب معظم إنتاجه من الكتب عنها ومن هذه المؤلفات كتاب (بين العامية والفصحى)، وكتاب (اللغة العربية وألفاظ الحضارة).

ويوجد الآن تكريماً له قاعة عبد الرزاق البصير في المجلس الوطني للثقافة

والفنون والآداب الكويتي وهناك أيضًا مدرسة عبد الرزاق البصير.

وقد أصدرت رابطة الأدباء الكويتيين مع وزارة المواصلات طوابع بريدية تخليدًا له ولإنجازاته الثقافية من أجل الكويت.

كذلك خُصص له جزء من كتاب رواد الحركة الثقافية في الكويت من إصدارات عالم المعرفة، وكتاب التحدي والتنوير في فكر عبد الرزاق البصير.

وقد توفي رحمه الله في عام 1999م.

(٣٢) الأديب حنا مينه

أديب مرموق من سورية، حيث وُلد في اللاذقية في عام 1924، وقد عانى عند مولده أمراضاً عديدة كادت تودي بحياته، وهذا الخطر لازمه حتى الشباب، عندما تحول من خطر الموت إلى خطر الضياع، في السجون والمنفى، إنه الأديب الشهير حنا مينه.

دخل حنا مينه المدرسة وهو في السابعة من عمره، ونال الابتدائية في عام 1936، لكنه توقف عن الدراسة لسوء حالة أسرته المعيشية.

وقد كان والده رحالة من طراز خاص، حيث أراد الرحيل تلبية للمجهول، تاركاً العائلة أغلب الأحيان في الأرياف، ويقول حنا: «لطالما تساءلت وراء أي هدف كان يسعى؟ لكنني لم أجد جواباً.

كبر حنا والمرض معه، وقد عملت أمه وأخواته الثلاث من أجل مساعدة أسرتهم، أما هو الصبي الوحيد الناحل فقد عمل مقابل أجر قليل.

وقد دخل حنا المعترك السياسي مبكراً منذ أن كان فتى في الثانية عشرة من عمره، وناضل ضد الانتداب الفرنسي.

وعند وصوله إلى اللاذقية عمل حمّالاً في الميناء، ووجد أن العمل السياسي في اللاذقية صعب، فعمل مع أصدقائه في تأسيس نقابات في الميناء أو المرفأ، ومن هنا استوحى فيما بعد روايته «نهاية رجل شجاع».

وكان حنا يبيع جريدة «صوت الشعب» في الشوارع، ويروي أنه كانت هناك صعوبة في توزيع الجريدة بسبب الاقطاعيين في الشوارع وملاحقتهم له.

في عام 1948 انتقل حنا إلى بيروت حيث أمضى بعض الشهور قبل أن يستقر في العاصمة دمشق، حيث بدأ نجمه يصعد تدريجياً مع روايته «المصابيح الزرق» وعمله في الصحافة في جريدة الإنشاء التي أصبح رئيساً لتحريرها؛ كما عمل في السياسة.

وكان قد تزوج من السيدة مريم التي لم تفارقه أبداً، وقد أنجبت له خمسة أولاد بينهم صبيان هما سليم وقد توفي في الخمسينيات، والآخر سعد أصغر أولاده، وثلاث بنات سلوى وسوسن وأمل.

لكن عمله في السياسة أجبره على الرحيل إلى بيروت مجدداً ثم إلى المجر.

ويذكر حنا النوم تحت الجسور في سويسرا وأخيراً إقامته في الصين خمس سنوات، وعودته إلى سوريا عام 1967 فأمضى بضعة أشهر في اللاذقية ثم دمشق، حيث عمل في كتابة المسلسلات الإذاعية بالفصحى والعامية، قبل أن يعمل في وزارة الثقافة، وذلك بعد منفى اضطراري دام عشرة أعوام.

وهكذا فقد نفعته التجارب القاسية: «أنا الحديدة التي تفلوذت بالنار»، كما يصف نفسه.

وقد أفاده العمل في البحر، في كتابة «الشراع والعاصفة»، والاختباء في الغابات أيام مطاردة الفرنسيين وفّر له مادة لكتابة «الياطر» (أي وسادة السفينة)، والتي غدت من أشهر رواياته رغم أنه لم يكتب الجزء الثاني منها.

في إحدى قصصه (الكتابة على الأكياس) يصور حنا الظروف الصعبة التي ميزت طفولته، وكيف جعل منه سوء التغذية صبياً نحيلاً غير قادر على القيام بعمل جسدي شاق.

وحين أحس بضرورة مساعدة عائلته المعدمة مادياً، ذهب إلى الميناء، حيث اكتشف عدم قدرته على رفع الأكياس، فشعر بالحزن.

حتى برزت الحاجة لكتابة بيانات بسيطة على الأكياس اختاره «المعلم» لأنه يتقن الكتابة.

ويذكر في القصة أنه حين التقى «بمعلمه» في دمشق بعد مرور سنين طويلة، وكان بصحبته صديق يعرف كليهما، قال ذلك الصديق للمعلم: إن حنا كاتب معروف اليوم، قال ذلك الرجل البسيط: نعم، أعرف ذلك. لقد بدأ الكتابة عندي، على الأكياس!.

يقول هنا عن نفسه، كان المحيط الاجتماعي الذي نشأت فيه، بتمام الكلمة، أمياً، متخلفاً، إلى درجة لا تصدق، لم يكن في حي المستنقع كله، من يقرأ ويكتب، كان سكان هذا الحي، والأحياء المجاورة من المعذبين في الأرض، الباحثين دون جدوى، عن الخلاص، وعن العدالة الاجتماعية التي لا يعرفون اسمها بعد!!».

وقد حصل حنا مينه على جوائز عديدة، منها:

1 - جائزة المجلس الأعلى للثقافة والآداب والعلوم بدمشق عن رواية «الشراع والعاصفة» عام 1968.

2 - جائزة سلطان العويس من الدورة الأولى عام 1991 على عطائه الروائي.

3 - جائزة المجلس الثقافي لجنوب ايطاليا، فازت بها رواية «الشراع والعاصفة» عام 1993، كأفضل رواية ترجمت إلى الإيطالية.

4 - جائزة «الكاتب العربي» التي منحها اتحاد الكتاب المصريين بمناسبة مرور ثلاثين عاماً على تأسيسه، اعترافاً بموقعه المتميز على خريطة الرواية العربية.

5 - وسام الاستحقاق السوري من الدرجة الممتازة بتاريخ 2002/5/28م.

ويقول حنا مينه: «لقد فكرتُ منذ قرأت عمر الفاخوري في الأربعينيات، كيف يكون الأديب من لحم ودم، وليس من حبر وورق.

وأدركت ألا شيء يجعل الأديب حياً، مثل أن يباشر الأحياء، ويخرج من وحدته التي لا تتيح سوى السقم والأشباح.

وأن التجربة بأوسع وأعمق معانيها، بكل أخلاقيتها، هي التي تكسو هيكل الأديب باللحم، وهي التي تجعل الدم يجري في شرايينه، وبذلك تؤهّله لأن يكون حياً.

كان أدب حنا مينه واقعياً، وقال عن نفسه انه كاتب الواقعية الاشتراكية، ويرفض الواقعية باعتبارها مدرسة في التعبير الأدبي تأخذ الواقع كما هو.

فالواقع في الحياة في رأيه يصير واقعاً فنياً في العمل الأدبي وهكذا فإن مقولة «الانعكاس» تعبّر عن أشياء الوجود التي تنعكس في الذات الإبداعية، وهناك تختمر، وتعود لتعكس الواقع بصورة أخرى: «فنية».

يرى حنا أن القصة والرواية مختلفتان، حيث إن الرواية حياة وبالتالي فهي تتقدم، أما القصة فهي عبارة عن لقطة مفردة من الحياة، وبالتالي فهي تتراجع.

وفي رأي حنا أنه ليست فقط القصة وحدها هي التي تتراجع أمام تقدم الرواية، بل الشعر والمسرحية وكل الآداب النثرية.

أما عن علاقة المضمون بالشكل فقد كان المضمون هو الذي يجذب انتباهه.

وها نحن نسمعه يقول: «في كل رواية أكتبها هناك الجديد، وهناك الاكتشاف للمناطق المجهولة».

وفي رأيه أن كل إقحام للسياسة في الأدب دون أن ينبثق عن ذات الأديب، وضمن شرطه الفني يفسد العمل الإبداعي.

ويُعتبَر حنا مينه شيخ الرواية السورية وأحد أعمدة الرواية العربية في إثرائه لفيوض الخطابات السردية وتمازجاتها التاريخية والسيَرية والواقعية.

كما أن عشاق النقد التقييمي يعدون حنا مينه أبرز اسم بعد نجيب محفوظ على خريطة الرواية العربية المعاصرة.

وكانت مساهمة حنا مينه كبيرة في ما يعرف بأدب البحر، لأن الأدب العربي القديم يكاد يكون خالياً من الإبداع العربي البحري.

كتب تقريباً ثماني روايات عن البحر لعل أهمها «الشراع والعاصفة» التي أطلق النقاد عليها اسم قصيدة البحر أو ملحمة البحر وتُرجِمت إلى الإيطالية ونال جائزة عليها.

فمعاناة البحر في اللجة وفي الأبعاد القصية ومجابهة العواصف، لا يوجد ما يعالجه بفنية عالية، كما لا نجد في الأدب العربي الحديث، مثل هذا الحيز اللازم لهذا الأدب.

وقد أشار أحد الباحثين إلى أن البحر في أدبه إنما هو مكان وإنسان وإله، تتعرف إليه مادة وروحاً وتصطاده رمزاً وأسطورة وتقرأه فلسفة لمعنى الحياة ذاتها.

وهكذا نجد أن المرأة والبحر لديه مرادفان للمغامرة والتجربة وارتياد المجهول واكتشافه، مناقضان للرتابة الاعتيادية، وهادفان دوماً إلى التجديد والتغيير.

إلا أن المحور الأساسي في أعماله كان النضال لأجل العدالة الاجتماعية التي نذر نفسه لها والتي بدونها ستبقى البشرية معذبة ومجروحة الروح مدماة القلب والمشاعر كما يذكر في حوار له.

وقد تُرجِمَت روايات حنا مينه إلى سبع عشرة لغة أجنبية.

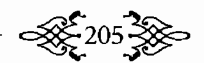
فرواية المصابيح الزرق تُرجِمت إلى الروسية والصينية، ورواية الشراع والعاصفة تُرجمت إلى الروسية والإيطالية، ورواية الثلج يأتي من النافذة» دُرِّسَت في السوربون بفرنسا لطلاب القسم العربي.

أما رواية «الشمس في يوم غائم» فترجمتها منظمة اليونسكو إلى الفرنسية، وتُرجِمَت إلى الإنكليزية في جامعة جورج تاون في الولايات المتحدة الأميركية، و تُرجِمَت «الياطر» إلى الفرنسية والإسبانية والرومانية.

ورواية «بقايا صور» تُرجِمَت إلى الصينية والإنكليزية في واشنطن والفارسية والألمانية. أما رواية «المستنقع» فتُرجِمَت إلى الفارسية، و«حكاية بحار» إلى الروسية.

أدب حنا مينه قد انتشر عالمياً وساعد هذا على انتشار تجربته في أوروبا والصين بالإضافة إلى الوطن العربي، فقد عبّر عن علاقة الأنا بالآخر، وقد درست هذه العلاقة الباحثة وجدان يحيى محمداه.

وفي دراستها تذكر أن مفهوم الآخر يتمثل في بحوث الأدب المقارن بصور الشعوب وما تتضمنه من أنماط بشرية مختلفة وأحكام مسبقة، وإشارات وطرائف وآراء ومشاهدات حول تلك الشعوب.



«وهكذا بات مفهوم "الآخر" في ميدان الأدب المقارن يعني "الأجنبي"، أما مفهوم "الأنا" فإنه يعني الوطني».

من هذا المنطلق ينجلي هذا الآخر في أعمال حنا مينه، فهو الذي كتب رواية الصين الكبرى في ثلاثية تقع في ألف صفحة بعنوان: «حدث في بياتخو، وعروس الموجة السوداء، والمغامرة الأخيرة».

وهو يرصد واقع الصين في بداية الستينيات والثورة الثقافية في بناء الصين الاشتراكية في قمة الاضطراب والإقدام والحماس، والخلاف الذي استحكم بين موسكو وبكين.

أما في رواية «الربيع والخريف» فقد كتب عن «بلاد المجر» وعن الثورة المضادة في المجر عام 1956.

وفي رواية «فوق الجبل وتحت الثلج» فقد كتب عن بلغارية، وسبب انهيار بنائها الاشتراكي عام 1990.

أما في «المرأة ذات الثوب الأسود» فهو يتحدث عن المجتمعات الغربية (الفرنسية والإنكليزية)، وما تعانيه من آفات ومشكلات اجتماعية من خلال شخصيتي مارغريت الفرنسية وسميث الإنكليزي.

وفي «حمامة زرقاء في السحب» فقد كشف عن الديمقراطية المزيفة التي وجدها «جهاد مروان» في كل من حي «سوهو» وحدائق «الهايد بارك» في لندن.

أما في «الرجل الذي يكره نفسه» فقد كتب عن سبب انهيار العالم الاشتراكي في الاتحاد السوفيتي وصموده في الصين.

وقد كتب عن «النضال ضد الاحتلال الفرنسي» في أكثر رواياته.

فمن خلال أعمال حنا مينه نرى تفاعل الذات مع الآخر سلباً وايجاباً.

فقد بات من المعروف أن «الذات تدخل في نسيج الآخر، وتتحد مع الآخر على نحو يعترف بتعدد الآخر وتنوعه وتباينه واختلافه معها».

تخطت روايات حنا مينه حدودها اللغوية العربية باستقبالها المتنوع خارج حدودها القومية عن طريق الترجمة.

بمعنى آخر كما تذكر الأستاذة وجدان يحيى محمداه أن توفر الشرط الاستقبالي، وما يضيفه من جمالية إلى الأدب في العالم، بالإضافة إلى توفر الشرط الإنتاجي أي ما تتمتع به من مستوى فني وفكري متميز، كسب أعمال مينه الأدبية صفة العالمية.

ومن المعروف أن الشخصية الأولى أو الرئيسية وهي المعبّر عنها بشخصية «البطل»، وهكذا فالرواية تولي شخصية ما عنايتها الكبرى، فتكون محور الصراع الذي هو أساس بناء الرواية والذي قد يكون ضد طبقة ما كما في «الشمس في يوم غائم»، أو ضد عوامل الطبيعة كما في «الشراع والعاصفة»، أو ضد الذات نفسها كما في «مأساة ديميتريو».

ويشير النقاد إلى أن البطولة تتراوح بين الفرد والجماعة، فالبطل الفرد «زكريا» في «الياطر»، أما البطل الجماعي الذي يعكس تطور الوعي الاجتماعي وصراع البطولة الجماعية في مواجهة القهر والمأساة التي يعيشها فيظهر في رواية «المصابيح الزرق».

ويصنف الدارسون البطل بوجهين: البطل الإيجابي والبطل السلبي، ويقول الدكتور محمد الباردي: «إن البطل الروائي في أعمال حنا مينه هو بطل واقعي مهمته الأساسية الاحتجاج على الواقع ونقده.

ويستطيع البطل الإيجابي دائماً تجاوز العراقيل وإيجاد فرصة الانسجام مع محيطه الاجتماعي في نضاله ضد عدو يهدد مجموعته.

وهكذا فالخطر الخارجي الذي يهدد العالم الاجتماعي الذي يعيش فيه البطل يدعوه إلى الانسجام مع وسطه الاجتماعي وبيئته في الروايات ذوات البطل الإيجابي؛ ويدعوه كذلك إلى أن يحمل وعي مجموعته.

في حين يجد البطل الإشكالي نفسه غير قادر على تجاوز العراقيل الشخصية أو تلك التي تضعها المجموعة، رغم نواياه الطيبة ورغبته في الحركة والفعل.

والبطل في الروايات ذوات الشخصية الإشكالية، يجد نفسه وحيداً في مواجهة عالمه، إذ يبدو متشبّعاً بوعي اجتماعي في عالم لا يواجه الخطر الخارجي مباشرة، أي إنه يشعر بصعوبة صقل شخصيته وبلورتها».

وحنا مينه برهافة حسه يجسّد هذه المفاهيم ويعبّر عنها دون دراسة لعلم النفس. فهو يؤكد على مفهوم الرجولة، وأن الإنسان لا يولد رجلاً بل يصير رجلاً.

سنلخص لكم بعض أهم أعمال الأديب الشهير حنا مينه، من هذه الأعمال، "المصابيح الزرق" وهي الرواية الأولى التي كتبها سنة 1954 واستغرق في تأليفها ثلاث سنوات كاملة.

وكما يذكر د. محمد الباردي أنها لم تكن رواية شخصية أو بطل، بقدر ما كانت ترمي إلى وصف مدينة اللاذقية أثناء الحرب وحياة الناس الذين كانوا يعيشون فيها.

فموت البطل «فارس» بعد انخراطه في جيش الحلفاء يتناقض مع وعيه السياسي.

وقد كان الكاتب مهتماً بالمأساة الاجتماعية، ولذلك ظل يبحث في هذا العمل عن مرض خطير كمرض السل ليضع حداً لحبكته.

والرواية الأخرى هي الشراع والعاصفة وتقوم هذه الرواية بدورها على حكايتين: حكاية بطل وحكاية وطن أثناء الحرب العالمية الثانية، وقد ألفها الكاتب في فترة زمنية دامت سنتين من عام 1956 حتى عام 1958.

ويبدو الطروسي في هذه الرواية، الشخصية المركزية. فهو بحّار يعيش لحظة الانتظار والأمل، وقد ارتبط ماضيه ومستقبله بشاطئ اللاذقية، بعدما غرق مركبه أثناء عاصفة هوجاء عام 1936.

ولكي يظل دائماً رفيق البحر وجاره في الفصول الأربعة افتتح مقهى على الشاطئ.

وقد رغب في العودة إلى البحر، لكن الحياة تغيرت، إذ أصبح البحّارة عمالاً وهو لا يقدر في مثل هذا العمر، أن يتحمل هذه الوضعية الجديدة أو أن يصبح رجلاً من رجال سادة الميناء.

وهكذا يجد نفسه وحده، بعد موت والديه وسفر إخوته، يدير شؤون مقهى صغير يستقطب مشاغل البحارة.

وقد وجد البطل نفسه في مواجهة صراعين، ينعكس الأول على حياة الميناء ويقوم على مواجهة بين رجلين ينتميان إلى أسرتين تتقاسمان النفوذ في المدينة.

وتنتميان إلى تجمعين سياسيين مختلفين يتصارعان بدورهما في سبيل الوصول إلى الحكم بعد جلاء الفرنسيين، وينعكس الثاني على حياة الوطن عامة ويقسم الشعب بطريقة أو بأخرى، وهو يعكس الخلاف الكوني بين قوتين متصارعتين، المحور والحلفاء.

والرواية الأخيرة هي "رواية الشمس" في يوم غائم ويتحدث فيها الكاتب عن الفتى طالب البكالوريا ابن الثامنة عشرة، متمرّد، يهوى تعلم العزف على أية آلة موسيقية تطالها يده، عود، كمان لكي يصبح موسيقياً ويستخرج ما في قلبه.

وفي الوقت نفسه فهو سريع الاهتمام بالشيء لكنه أيضاً سريع الملل، فهو لا يطيق الصبر على حياة أهله المترفة المُملة، وهذا يكفي لكي يجعلهم ينظرون إليه كولد شاذ رغم تفوقه الدراسي.

(٣٣) الروائية أحلام مستغانمي

الروائية والشاعرة أحلام مستغانمي وهي كاتبة تخفي خلف رواياتها أثر في تكوين شخصيتها وطبع حياتها بشخصيته الفذّة وتاريخه النضاليّ، فمسيرة حياته التي تحكي تاريخ الجزائر وجدت صدى واسعاً عبر مؤلّفاتها.

كان والد الروائية أحلام مستغانمي "محمد الشريف" من هواة الأدب الفرنسي، وقارئًا ذا ميول كلاسيكيّ.

يعرف ذلك كلّ من يجالسه لأوّل مرّة، كما كانت له القدرة على سرد الكثير من القصص عن مدينته الأصليّة مسقط رأسه "قسنطينة" مع إدماج عنصر الوطنيّة وتاريخ الجزائر في كلّ حوار يخوضه وذلك بفصاحة فرنسيّة وخطابة نادرة.

هذا الأبّ عرف السجون الفرنسيّة، بسبب مشاركته في مظاهرات 8 مايو عام 1945.

وبعد أن أطلق سراحه سنة 1947 كان قد فقد عمله بالبلديّة، وأصبح ملاحقاً بسبب نشاطه السياسي بعد حلّ حزب الشعب الجزائري.

بعد أشهر قليلة، يتوجه محمد الشريف مع أمّه وزوجته إلى تونس كما لو أنّ روحه سحبت منه، فقد ودّع مدينة قسنطينة أرض آبائه وأجداده.

في تونس وجد محمد الشريف نفسه محاطاً بجوٍّ ساخن لا يخلو من النضال، لكن بطريقة تختلف عن نضاله السابق ولا تقلّ أهميّة عن الذين يخوضون المعارك.

في هذه الظروف التي كانت تحمل مخاض الثورة، وإرهاصاتها الأولى تولد أحلام في تونس.

ولكي تعيش أسرته، يضطر الوالد للعمل كمدرّس للّغة الفرنسيّة. لأنّه لا يملك تأهيلاً غير تلك اللّغة، لذلك، بذل الأب كلّ ما بوسعه، لتتعلّم ابنته اللغة العربيّة التي مُنع هو من تعلمها.

وبعد الاستقلال، عاد جميع أفراد الأسرة إلى الوطن.

هكذا نشأت أحلام مستغانمي في محيط عائلي يلعب الأب فيه دوراً أساسيّاً.

وكانت مقرّبة كثيراً من والدها وخالها عزّ الدين الضابط في جيش التحرير الذي كان كأخيها الأكبر، عبر هاتين الشخصيتين، عاشت كلّ المؤثّرات التي تطرأ على الساحة السياسيّة.

ولم تكن أحلام غريبة عن ماضي الجزائر، ولا عن الحاضر الذي يعيشه الوطن، مما جعل كلّ مؤلفاتها تحمل شيئًا عن والدها، وإن لم يأتِ ذكره صراحة.

فقد ترك بصماته عليها إلى الأبد بدءاً من اختياره "العربيّة" لغة لها.

فبعد استقلال الجزائر كانت أحلام مع أوّل فوج للبنات يتابع تعليمه في مدرسة الثعالبيّة، أول مدرسة معرّبة للبنات في العاصمة.

وتنتقل منها إلى ثانوية عائشة أم المؤمنين لتتخرّج فيها سنة 1971 من كليّة الآداب في الجزائر ضمن أوّل دفعة معرّبة تتخرّج بعد الاستقلال من جامعات الجزائر.

عانى والد أحلام في هذه الفترة من المرض وأُدخل إلى المستشفى، وكانت أحلام وقتها في سن المراهقة، وهي طالبة في الثانوية.

وبما أنّها كانت أكبر أخواتها الأربعة، كان عليها هي أن تزور والدها في المستشفى، ثلاث مرّات على الأقلّ كلّ أسبوع، وقد كان مرض أبيها مرض الجزائر هكذا كانت تراه وتعيشه.

قبل أن تبلغ أحلام الثامنة عشرة عاماً وأثناء إعدادها لشهادة البكالوريا، كان عليها ان تعمل لتساهم في إعالة إخوتها وعائلة تركها الوالد دون مورد.

ولذا خلال ثلاث سنوات كانت أحلام تعدّ وتقدّم برنامجاً يومياً في الإذاعة الجزائريّة يبثّ في ساعة متأخّرة من المساء تحت عنوان "همسات".

وقد لاقت تلك الهمسات الشعريّة نجاحاً كبيراً تجاوز الحدود الجزائرية الى دول المغرب العربي.

وساهمت في ميلاد اسم أحلام مستغانمي الشعريّ، الذي وجد له سنداً في صوتها الإذاعي المميّز وفي مقالات وقصائد كانت تنشرها أحلام في الصحافة الجزائرية حيث أصدرت أول ديوان في سنة 1971 تحت عنوان "على مرفأ الأيام".

وفي هذا الوقت لم يكن أبوها حاضراً ليشهد ما حقّقته ابنته، بل كان يتواجد في المستشفى لفترات طويلة، بعد أن ساءت حالته، هذا الوضع سبّب لأحلام معاناة كبيرة.

فقد كانت كلّ نجاحاتها من أجل إسعاده هو، برغم علمها أنّه لن يتمكن يوماً من قراءتها لعدم إتقانه القراءة بالعربية.

كانت فاجعة الأب الثانية، عندما انفصلت عنه أحلام وذهبت لتقيم في باريس حيث تزوّجت من صحفي لبناني ممن يكنّون ودّاً كبيراً للجزائريين.

وابتعدت عن الحياة الثقافية لبضع سنوات كي تكرّس حياتها لأسرتها، قبل أن تعود في بداية الثمانينيات لتتعاطى مع الأدب العربيّ من جديد.

وقامت بعدها بتحضير رسالة دكتوراه في جامعة السوربون، ثمّ مشاركتها في الكتابة في مجلّة "الحوار" التي كان يصدرها زوجها من باريس، ومجلة "التضامن" التي كانت تصدر من لندن.

وأثناء ذلك وجد الأب نفسه في مواجهة المرض والشيخوخة والوحدة، وراح يتواصل معها بالكتابة إليها في كلّ مناسبة وطنية عن ذاكرته النضاليّة وذلك الزمن الجميل الذي عاشه مع الرفاق في قسنطينة.

ثمّ ذات يوم توقفت تلك الرسائل الطويلة المكتوبة دائمًا بخط أنيق وتعابير منتقاة، فقد كان ذلك الأب الذي لا يفوّت مناسبة، مشغولاً بانتقاء تاريخ موته، كما لو كان يختار عنواناً لقصائده.

في ليلة أوّل نوفمبر عام 1992، التاريخ المصادف لاندلاع الثورة الجزائريّة، كان محمد الشريف يوارى التراب في مقبرة العلياء، ذلك الرجل الذي أدهش مرة إحدى الصحافيّات عندما سألته عن سيرته النضاليّة، فأجابها مستخفّاً

بعمر قضاه بين المعتقلات والمصحّات والمنافي، قائلاً: "إن كنت جئت إلى العالم فقط لأنجب أحلام فهذا يكفيني فخراً".

لذلك حملت أحلام مستغانمي إرثاً نضالياً لا نجاة منه، بحكم الظروف التاريخيّة لميلاد قلمها، الذي جاء منغمساً في القضايا الوطنيّة والقوميّة التي نذرت لها أحلام أدبها.

وفاءً لقارئ لم يقرأها يوماً.. ولم تكتب أحلام سواه.

في مهنة تمتد على مدى ثلاثين عاماً، أصبحت أحلام مستغانمي صاحبة الروايات الأكثر مبيعاً ومن أبرزها "ذاكرة الجسد" و"فوضى الحواس"، و"عابر سرير".

واعتبرت أحلام مستغانمي أول امرأة جزائرية تكتب رواياتها باللغة العربية وأول كاتبة عربية معاصرة تباع ملايين النسخ من أعمالها مهيمنة بذلك على قائمة المبيعات للكتب لسنوات في لبنان والاردن وسوريا وتونس والإمارات العربية المتحدة.

تلقت أحلام مستغانمي في عام 1998 جائزة نجيب محفوظ عن "ذاكرة الجسد"، وهي رواية تحكي عن كفاح الجزائر ضد الهيمنة الأجنبية والمشاكل التي ابتليت بها الأمة الناشئة بعد استقلالها.

وقد وصفت لجنة منح الجائزة الكاتبة بأنها "الضوء الذي يشع في هذا الظلام المعتم، فقد كانت قادرة على الخروج من المنفى اللغوي الذي نفي بالمثقفين الجزائريين من قبل إن رواية ذاكرة الجسد مهداة لوالد الأديبة وإلى الروائي والشاعر الجزائري الراحل مالك حداد، الذي قرر بعدم الكتابة بأي لغة أجنبية بعد الاستقلال، لكنه لم يتمكن من الكتابة بعدها، وكما تشير مستغانمي في اهدائها، حداد "مات شهيدا محباً للغة العربية".

كتابات مستغانمي دائماً تبعث على الحنين إلى أمة كما تصفها "تعيش فينا ولكننا لا نعيش فيها".

وتعبر أعمالها الأدبية عن عاطفتها للجزائر التي تشتاق لها، ووصلت رواياتها إلى أبعد الحدود لتحكي قصة الأحلام التي لم تتحقق وتنتهي بنهاية مأساوية، مما يجعل حكاياتها ذات تأثير كبير على القراء من مختلف أنحاء العال العربي.

وقد اعتمدت روايات أحلام مستغانمي في المناهج الدراسية لعدة جامعات والمدارس الثانوية في جميع أنحاء العالم، وكذلك قامت عشرات الرسائل الجامعي والأبحاث على أعمالها.

كما قامت وزارة التربية الفرنسية باستخدام أجزاء من رواية ذاكرة من الجسد لاختبارات البكالوريا الفرنسية في عام 2003 في خمسة عشر بلداً حيث اختار الطلاب اللغة العربية كلغة ثانية.

وقد ترجمت أعمالها إلى لغات أجنبية عدة من قبل دور نشر مرموقة، للفرنسية والانكليزية.

كذلك حاضرت أحلام مستغانمي وعملت كأستاذ زائر في العديد من الجامعات في مختلف أنحاء العالم بما في ذلك الجامعة الأميركية في بيروت 1995، وجامعة ميريلاند في عام 1999 وجامعة السوربون في عام 2002، وغيرهم من الجامعات الكثيرة.

وقد تسلمت درع بيروت في احتفال خاص أقيم في قصر اليونسكو حيث حضر الحفل أكثر من 1500 شخص، متزامناً مع صدور كتابها "نسيان كم" في 2009.

واختيرت من قبل مجلة فوربس الكاتبة العربية الأكثر نجاحاً مع مبيعات تخططت المليونين وثلاثمائة ألف نسخة.

وواحدة من عشر نساء الأكثر تأثيراً في العالم العربي والمرأة الرائدة في مجال الأدب.

ومن ضمن الجوائز والتكريم الذي تلقته الروائية أحلام مستغانمي، درع مؤسسة الجمار للإبداع العربي في ليبيا.

واختيرت مستغانمي الشخصية الثقافية الجزائرية لعام 2007 من قبل مجلة الأخبار الجزائرية ونادي الصحافة الجزائرية.

كذلك اختيرت لمدة ثلاثة أعوام على التوالي 2006 و2007 و2008 باعتبارها واحدة من الشخصيات العامة المائة الأكثر نفوذاً في العالم العربي من قبل مجلة أريبيان بزنس، وحلت في المرتبة رقم 58 في 2008.

وسميت المرأة العربية الاكثر تميزاً لعام 2006، وقد تم اختيارها من بين 680 مرشحة من قبل مركز دراسات المرأة العربية في باريس.

وقد اختارت منظمة الأمم المتحدة للتربية والثقافة والعلوم «اليونسكو»، الكاتبة الجزائرية الكبيرة أحلام مستغانمي لتصبح فنانة اليونسكو من أجل السلام وحاملة رسالة المنظمة من أجل السلام لمدة عامين، باعتبارها إحدى الكاتبات العربيات الأكثر تأثيراً، ومؤلفاتها من بين الأعمال الأكثر رواجاً في العالم.

وقد وصف الشاعر الكبير نزار قباني رواية ذاكرة الجسد، بأنها تُصيبه بالدوار كلما قرأها، لأن النص كما يصفه يشبهه إلى درجة التطابق فهو مجنون ومتوتر ومتوحش وإنساني وخارج على القانون مثله.

ويستكمل نزار قباني حديثه بالقول، ولو ان أحدا طلب مني أن أوقع اسمي تحت هذه الرواية الاستثنائية المغتسلة بأمطار الشعر، لما ترددت لحظة واحدة ويتساءل، هل كانت أحلام مستغانمي في روايتها (تكتبني) دون أن تدري لقد كانت مثلي تهجم على الورقة البيضاء بجمالية لا حد لها وشراسة لا حد لها وجنون لا حد له.

فالرواية قصيدة مكتوبة على كل البحور هذه الرواية لا تختصر "ذاكرة الجسد" فحسب بل تختصر تاريخ الوجع الجزائري والحزن الجزائري.

(٣٤) الشاعر جبران خليل جبران

الشاعر الكبير جبران خليل جبران، الذي أسس مع رفاقه الأدباء المهاجرين الرابطة القلمية وهي جمعية أدبية تأسست في عام 1920 في الولايات المتحدة الأمريكية، ومن أهم مؤسسيها بالإضافة إلى جبران خليل جبران، إيليا أبو ماضي وميخائيل نعيمة وعبد المسيح حداد ورشيد أيوب وندره حداد و نسيب عريضة لكنها تفككت بمجرد موت جبران سنة 1932.

ولد الفيلسوف والأديب والشاعر والرسام جبران خليل جبران من أسرة صغيرة فقيرة في بلدة بشري في السادس من يناير عام 1883.

كان والده، خليل جبران، الذي ينحدر من أسرة سورية الأصل، يعمل راعياً للماشية وكان صاحب مزاج متغطرس، كما يتذكر جبران، الذي عانى سوء معاملته وعدم تفهمه.

وكانت والدته "كاملة رحمة"، من عائلة محترمة وذات خلفية دينية، واستطاعت ان تعتني به ماديا ومعنويا وعاطفيا.

لم يذهب جبران إلى المدرسة لأن والده لم يعط لهذا الأمر أهمية ولذلك كان يذهب من حين إلى آخر إلى كاهن البلدة الذي سرعان ما أدرك جديته وذكاءه فأنفق الساعات في تعليمه الأبجدية والقراءة والكتابة مما فتح أمامه مجال المطالعة والتعرف على التاريخ والعلوم والآداب.

وبفضل أمه، تعلم الصغير جبران العربية، وتدرب على الرسم والموسيقى، ولما لاحظت ميله إلى الرسم، زودته بألبوم صور لـ "ليوناردو دافنشي"، لذلك ظل جبران معجباً به بصمت.

وبعد وقت طويل، كتب يقول: "لم أر قط عملاً لليوناردو دافنشي إلا انتاب أعماقي شعور بأن جزءاً من روحه تتسلل إلى روحي".

تركت أمه بصمات عميقة في شخصيته، وهذا ما جعله يشيد بها في "الأجنحة المتكسرة" حيث قال:

"إن أعذب ما تحدثه الشفاه البشرية هو لفظة "الأم"، وأجمل مناداة هي يا أمي، فهي كلمة صغيرة لكنها كبيرة مملوءة بالأمل والحب والعطف وكل ما في القلب البشري من الرقة والحلاوة والعذوبة. الأم هي كل شيء في هذه الحياة، هي التعزية في الحزن، والرجاء في اليأس، والقوة في الضعف، هي ينبوع الحنان والرأفة والشفقة والغفران، فالذي يفقد أمه يفقد صدراً يسند إليه رأسه ويداً تباركه وعيناً تحرسه.

سنواته الأولى أمضاها جبران لا مبالياً، رغم الشجارات بين والديه والسقوط من فوق ذلك المنحدر الذي ترك فيه التواء في الكتف.

بدأ جبران تعليمه عندما بدأ تعلم اللغتين العربية والسريانية على يد الأب "جرمانوس"، بينما علمه الأب "سمعان" القراءة والكتابة في مدرسة بشري الابتدائية.

ويروي صديقه الكاتب "ميخائيل نعيمة" أن الصغير جبران كان يستخدم قطعة فحم ليخط بها رسومه الأولى على الجدران، ويقول نعيمة إن جبران دفن يوماً ورقة في التراب وانتظر أن تنبت.

وفي العاشرة من عمره وقع جبران من إحدى الصخور وأصيب بكسر في كتفه اليسرى، عانى منه طوال حياته.

عانت أسرة جبران الكثير من المتاعب والمصاعب، وزادت تلك المشاكل عندما تم حبس والده بسبب التهرب الضريبي، لكن والدة جبران قررت ان الحل الوحيد لمشاكل العائلة هو الهجرة إلى الولايات المتحدة الأميركية سعيا وراء حياة أفضل.

فكرت والدة جبران بالهجرة، فكيف ستطعم أولادها الأربعة وهي لا تملك أي شيء، ولكن أين ستجد نفقات السفر؟ فقررت أن تبيع ما تبقى لها من تركة والدها.

وطلبت من أحد الأساقفة التدخل للحصول على إذن للسفر من السلطات الأمريكية، وبالفعل رحل جبران وأسرته بحراً عام 1895 إلى العالم الجديد.

حطت الأسرة الرحال في نيويورك، في السابع عشر من يونيو عام 1895، ومنها انتقلوا إلى مدينة بوسطن حيث كانت تسكن أكبر جالية لبنانية في الولايات المتحدة.

وقد نزلت العائلة في بوسطن في ضيافة أقارب كانوا قد جاءوا من بشري قبل سنوات قليلة وبذلك لم تشعر الوالدة بالغربة، بل كانت تتكلم اللغة العربية مع جيرانها، وتقاسمهم عاداتهم اللبنانية التي احتفظوا بها.

اهتمت الجمعيات الخيرية بإدخال جبران إلى المدرسة، في حين بدأت الوالدة تعمل كبائعة متجولة في شوارع بوسطن على غرار الكثيرين من أبناء الجالية.

وقد حصل خطأ في تسجيل اسم جبران في المدرسة وأعطي اسم والده، وبذلك عرف في الولايات المتحدة باسم "خليل جبران"، وقد حاول جبران عدة مرات تصحيح هذا الخطأ فيما بعد إلا انه فشل.

بدأت أحوال العائلة تتحسن ماديا حيث كان على الأم كاملة أن تحمل على ظهرها شراشف وأغطية وحريريات سورية وتنتقل بها من بيت إلى بيت لبيعها.

ثم عملت في الخياطة، بمساعدة ابنتيها سلطانة وماريانا، وعندما جمعت الأم مبلغا كافيا من المال أعطته لابنها بطرس الذي يكبر جبران بست سنوات وفتحت العائلة محلا تجاريا.

وكان معلمو جبران في ذلك الوقت يكتشفون مواهبه الأصيلة في الرسم ويعجبون بها إلى ان استدعى مدير المدرسة الرسام الشهير هولاند داي لإعطاء دروس خاصة لجبران مما فتح أمامه أبواب المعرفة الفنية وزيارة المعارض والاختلاط مع بيئة اجتماعية مختلفة تماما عما عرفه.

كما أخذ جبران يواظب على التردد إلى مؤسسة خيرية تعطي دروساً في الرسم اسمها "دنسيون هاوس"، حيث لفتت موهبته انتباه مساعدة اجتماعية نافذة جداً اسمها "جسي"، التي عرّفته من خلال صديق لها إلى المصور

الشهير "فرد هولاند داي"، الذي كان يدير داراً للنشر في بوسطن.

كان داي بحاجة لموديلات شرقية لصوره، وقد راقه جبران بملامحه الشرقية، وشعره الأسود، ونظراته التأملية.

حيث عرّفه إلى الرسام والشاعر "وليم بليك"، الذي اكتشف فيه جبران عالماً أسطورياً وتنبؤياً، وبهره تنوع الينابيع التي أثرت مفرداته الشعرية، وتأثر بخصوبة أعماله الرمزية الموسومة بالجدل الروحي بين الخير والشر والجنة والجحيم.

لم يكن جبران بعد، لصغر سنه، بمستوى الارتقاء إلى فكر "بليك"، غير أنه تمثل بعض أفكاره كنقد المجتمع والدولة، وفضيلة الرغبة الخلاقة، وراح يخط رسوماً مشحونة بالرموز مستوحاة من رسوم الفنان والشاعر اللندني الشهير.

كان لداي فضل اطلاع جبران على الميثولوجيا اليونانية، والأدب العالمي وفنون الكتابة المعاصرة والتصوير الفوتوغرافي.

ولكنه شدد دائما على ان جبران يجب ان يختبر كل تلك الفنون لكي يخلص إلى نهج وأسلوب خاصين به.

وقد ساعده على بيع بعض إنتاجه من إحدى دور النشر كمغلفات للكتب التي كانت تطبعها.

وقد بدا واضحا انه قد اختط لنفسه أسلوبا وتقنية خاصين به، وبدأ يحظى بالشهرة في أوساط بوسطن الأدبية والفنية.

قررت عائلة جبران وخصوصا أمه أن الشهرة المبكرة ستعود عليه بالضرر، وانه لا بد أن يعود إلى لبنان لمتابعة دراسته وخصوصا من أجل إتقان اللغة العربية.

وكان قد أثار تردد جبران المتزايد إلى أوساط "داي"، الذي لم تكن سمعته تدعو للارتياح، قلق الأسرة.

وازدادت الأمور سوءاً بعد أن وقع في علاقات عاطفية مع أكثر من امرأة، ففكرت أمه بإعادة ابنها المراهق إلى لبنان.

ولم يعترض جبران فوصل جبران إلى بيروت وهو يتكلم لغة إنكليزية ضعيفة، ويكاد ينسى العربية أيضا.

رحل جبران إلى بيروت في الثلاثين من أغسطس عام 1898، وكان بين أمتعته كتاب لـ "توماس بلفنيتش" في الميثولوجيا اكتشف فيه في ما بعد الفنان الناشئ جبران دراما بروميثيوس.

وتوجه جبران إلى موطنه قرية بشري، وذهب إلى أبيه، وتوافد الأقارب والأصدقاء لرؤية الأمريكي جبران خليل جبران.

وكان بينهم أستاذه الشاعر والطبيب "سليم الضاهر"، ورغم تأخر جبران في العربية الفصحى، طلب قبوله في صف أعلى وعدم سؤاله قبل ثلاثة أشهر.

وقبل القائمون على المدرسة شروط جبران، الذي أعجبتهم جرأته وقوة شخصيته.

كان من بين أساتذته الأب "يوسف حداد"، الشاعر والكاتب المسرحي الذي اكتشف برفقة جبران كنوز اللغة العربية.

وبدأ يجيد التعبير عن أفكاره بلغته الأم، وكتب أول نصوصه بالعربية.

وتعلم بعد ذلك الفرنسية وأخذ يقرأ آدابها، ويتذكر جبران أن تلك المدرسة كانت صارمة؛ وأنه لم يكن يمتثل لمعلميه؛ ورغم ذلك كان جبران أقل تعرضاً للعقاب من بقية التلاميذ، لأنه كان يدرس كثيراً.

كان في الصف يسرح في فكره دائماً، ويرسم، ويغطي كتبه ودفاتره برسوم كاريكاتورية لأساتذته. وكان جبران في نظر رفاق الصف غريباً، بشعره الطويل الذي يرفض قصه، ومواقفه غير المألوفة.

وفي بداية عام 1900، ومع مطلع القرن الجديد، تعرف جبران على يوسف

الحويك وأصدرا معاً مجلة "المنارة" وكانا يحررانها معاً فيما وضع جبران رسومها وحده.

وبقيا يعملان معا حتى أنهى جبران دروسه بتفوق واضح في العربية والفرنسية والشعر في عام 1902، وكان في عام 1901 تم اختيار إحدى قصائده لنيل الجائزة التقديرية.

عاد جبران خليل جبران مرة أخرى الى الولايات المتحدة، لكن المآسي في انتظاره، فقد وصلت إليه أخبار عن مرض أفراد عائلته، فيما كانت علاقته مع والده تنتقل من سيئ إلى أسوأ فغادر لبنان عائدا إلى بوسطن.

لكنه لسوء حظه وصل بعد وفاة شقيقته سلطانة، وبعدها بأشهر دخلت أمه المستشفى لإجراء عملية جراحية لاستئصال بعض الخلايا السرطانية.

وهكذا كان على جبران ان يهتم بشؤون العائلة المادية والصحية.

ولكن المآسي تتابعت بأسرع مما يمكن احتماله على جبران، حيث توفي أخوه بطرس بمرض السل في شهر مارس من عام 1903، وفشلت العملية الجراحية التي أجرتها والدته في استئصال المرض وتوفيت في 28 يونيو من السنة نفسها.

إضافة إلى كل ذلك كان جبران يعيش أزمة من نوع آخر، فهو كان راغبا في إتقان الكتابة باللغة الإنكليزية، لأنها تفتح أمامه مجالا أرحب كثيرا من مجرد الكتابة في جريدة تصدر بالعربية في أميركا (كالمهاجر) ولا يقرأها سوى عدد قليل من الناس.

ولكن انكليزيته كانت ضعيفة جدا، ولم يعرف ماذا يفعل.

كما أن صديقه الرسام هولاند داي لم يكن قادرا على مساعدته في المجال الأدبي كما ساعده في المجال الفني.

مع فجر القرن العشرين، كانت بوسطن، التي سميت "أثينا الأمريكية"، مركزاً فكرياً حيوياً اجتذب فنانين مشهورين وواعدين.

وكان بعضهم يرغب في الخروج من المادية للبحث عن وسائل فنية جديدة واكتشاف حضارات الشرق وعلومه المتنوعة.

وغاص جبران في هذا المجتمع الذي تزدهر فيه الحركات الثقافية المتعددة، وقد كان أبلغها تأثيراً "الحكمة الإلهية" التي أنشأتها في عام 1875 الأرستقراطية الروسية "هيلينا بتروفنا بلافاتسكي".

وبالتدريج اتضح لجبران أن الروحانية الشرقية التي تسكنه يمكن أن تجد تربة خصبة في هذه البيئة.

وفي السادس من يناير عام 1904، عرض داي على جبران عرض لوحاته في الربيع القادم ولم يكن أمامه سوى أربعة أشهر.

وبتأثيرات من العالم "وليم بليك"، أنجز جبران رسوماً عديدة تفيض بالرمزية واجتذبت أعماله كثيراً من الزوار.

تعرف جبران خلال المعرض إلى امرأة أمريكية اسمها ماري هاسكل، فخطّت بذلك صفحات مرحلة جديدة من حياة جبران.

كانت ماري هاسكل قد لاحظت ان جبران لا يحاول الكتابة بالإنكليزية، بل يكتب بالعربية أولا ثم يترجم ذلك.

فنصحته وشجعته كثيرا على الكتابة بالإنكليزية مباشرة، وهكذا راح جبران ينشر كتاباته العربية في الصحف أولا ثم يجمعها ويصدرها بشكل كتب، ويتدرب في الوقت نفسه على الكتابة مباشرة بالإنكليزية.

عزم جبران بعد ذلك على البحث عن عمل أكثر ربحاً من الرسم.

ولما علم بأن شاباً لبنانياً يدعى "أمين غريب" أصدر صحيفة بالعربية في نيويورك اسمها "المهاجر"، تقرب منه وأطلعه على رسومه وكتاباته وقصائده، قبل "غريب" العرض مقابل دولارين في الأسبوع لجبران.

ونُشرت أول مقالة له في "المهاجر" بعنوان "رؤية.

وفي الثاني عشر من نوفمبر عام 1904، احترق مبنى معرض "داي"، وأتى على موجوداته كلها، بما في ذلك رسوم جبران.

وتحت صدمة الحريق، الذي وصفه بأنه مشهد جديد من التراجيديا التي يعيشها منذ سنتين، أصبح جبران يكتب أكثر مما يرسم.

وخصه "أمين غريب" بزاوية منتظمة بعنوان "أفكار"، ثم استبدله بعنوان "دمعة وابتسامة"، حيث راح جبران يتحدث عن المحبة، والجمال والشباب والحكمة.

ونشرت له "المهاجر" عام 1905 كتاباً بعنوان "الموسيقى".

مثلت مدينة باريس مرحلة جديدة في حياة جبران، فقد كانت باريس في بدايات القرن العشرين حلم فناني العالم كله.

وبعد وصول جبران إليها بوقت قصير، أقام في "مونبارناس"، وسرعان ما انتسب إلى "أكاديمية جوليان"، أكثر الأكاديميات الخاصة شعبية في باريس، التي تخرج فيها فنانون كبار.

وانتسب كطالب مستمع في "كلية الفنون الجميلة".

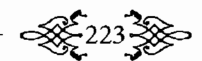
ولم يستطع جبران البقاء طويلاً في "أكاديمية جوليان"، حيث وجد أن نصائح أستاذه فيها لم تقدم له أية فائدة.

ذهب بعد ذلك إلى أكاديمية "كولاروسي"، المتخصصة في الرسم، والتي كانت تستقبل فنانين أجانب.

غير أن جبران كان يفضل العمل وحيداً وبملء الحرية في مرسمه، وزيارة المعارض، والمتاحف، كمتحف اللوفر، الذي كان يمضي ساعات طويلة في قاعاته الفسيحة.

وأعطى دروساً في الرسم لبعض الطلبة، في هذه الأثناء، توفي والده.

فكتب إلى "ميري هاسكل" يقول: "فقدت والدي.. مات في البيت القديم، حيث ولد قبل 65 سنة، لا أستطيع إلاّ أن أرى الظلال الحزينة للأيام الماضية".



في ذلك الوقت، قدم إلى باريس عدد كبير من دعاة الاستقلال السوريين واللبنانيين، المطالبين بحق تقرير المصير للبلدان العربية الواقعة تحت الاستعمار.

وظهرت فيها جمعيات سرية تطالب بمنح العرب حقوقهم السياسية وبالاعتراف بالعربية لغة رسمية.

وتردد جبران إلى هذه الأوساط كثيراً، ورغب في التعريف بفنه، ونجح في الوصول إلى أشهر معارض باريس السنوية، وهو معرض الربيع، حيث استطاع أن يعرض لوحة عنوانها "الخريف".

إلا أن عدم الاستقرار أتعبه، فتخلى عن المشروع ليترك باريس ولم يتمكن بعد ذلك من العودة إلى مدينة الجمال والفنون باريس، ولا إلى مسقط رأسه لبنان، ولم تأت له الفرصة لرؤية إيطاليا التي طالما حلم بزيارتها.

غادر جبران خليل جبران باريس عائداً الى بوسطن حيث وصل إليها في شهر ديسمبر عام 1910.

واقترح على ماري هاسكل الزواج والانتقال إلى نيويورك هربا من محيط الجالية اللبنانية وللحصول على مجال فكري وأدبي وفني أرحب.

ولكن ماري رفضت الزواج منه بسبب فارق السن، لكنها وعدته بالحفاظ على الصداقة بينهما ورعاية شقيقته مريانا العزباء وغير المثقفة.

وهكذا انتقل جبران إلى نيويورك ولم يغادرها حتى وفاته.

وهناك عرف نوعاً من الاستقرار مكنه من الانصراف إلى أعماله الأدبية والفنية فقام برسم العديد من اللوحات لكبار المشاهير مثل رودان وساره برنار وغوستاف يانغ وسواهم.

وفي الخامس عشر من أبريل 1912، هزت العالم حادثة غرق الـ "تيتانيك"، التي كان على متنها مئات الأشخاص، بينهم 85 لبنانياً، غرق 52 منهم، وكانت الكارثة صدمة بالنسبة لجبران.

بعد ذلك التقى جبران بالكاتب والروائي الفرنسي "بيير لوتي"، الذي جاء إلى نيويورك لحضور عرض مسرحية بنت السماء.

وقد قدم له "لوتي" نصيحة: قائلاً له أنقذ روحك وعد إلى الشرق؛ مكانك ليس هنا.

ولنا أن نتصور كيف عاش جبران حياته في تلك الفترة، فقد كانت له ملامح أهل قريته، وكان محباً للانعزال ويجد المتعة في العمل؛ ولا يتسامح مع أي نقد.

وفي عام 1913، التقى عدداً من مشاهير عالم الفن مثل الشاعر "ويتر بوينر".

وعاد بعد ذلك إلى إكمال مجموعة بورتريهاته، مخصصاً أحدها للمخترع الأمريكي "توماس إديسون" وأخرى لعالم النفس السويسري "كارل غوستاف يونغ" اللذين قبلا الجلوس ليرسمهما جبران.

في أبريل عام 1913، ظهرت في نيويورك مجلة "الفنون"، التي أسسها الشاعر السوري نسيب عريضة.

وفي تلك الفترة، اندلعت الحرب العالمية الأولى، فقد أقلقت الحرب جبران رغم بعده عن ساحات المعارك بآلاف الكيلومترات.

أقلقه الوضع في لبنان المضطرب وقتها، وشعر بالذنب لبعده عن وطنه.

ولم يتردد في قبول منصب أمين سر لجنة مساعدة المنكوبين في سوريا وجبل لبنان.

وساهم بمشاركة الجالية السورية واللبنانية في بوسطن ونيويورك في إرسال باخرة مساعدات غذائية إلى مواطنيه.

وقد دفع هذا النشاط بعض الكتاب لأن يجعلوا من جبران أيديولوجياً وصاحب نظرية سياسية.

وقد رد على من دعاه للقيام بدور الزعيم السياسي بالقول: "لست سياسياً، ولا أريد أن أكون كذلك".

فقد كان دافعه حس المسؤولية وتلبية نداء الواجب، حيث كان همه إنسانياً، وتحرير الوضع البشري من كل عبودية.

كان أدب جبران خليل جبران وكتاباته يسيران في اتجاهين، أحدهما يأخذ بالقوة ويثور على العقائد والدين، والآخر يتتبع الميول ويحب الاستمتاع بالحياة.

وبسبب الأخبار المأساوية التي توافدت على جبران من أوروبا والمشرق قل نتاجه الأدبي.

ورغم أنه نشر عام 1914 مجموعته "دمعة وابتسامة"، غير أنها لم تكن سوى جمع لمقالات بالعربية وهي 56 مقالة نشرت في "المهاجر"، وكان هو نفسه قد تردد في نشرها.

وقد كانت تلك المقالات ذات نفحة إنسانية حيث ضمت تأملات حول الحياة، والمحبة، والوضع في لبنان وسورية، وقد اتخذت شكل القصيدة المنثورة، الأسلوب غير المعروف في الأدب العربي، وقد كان جبران هو رائده.

في هذه الفترة تقريباً، شعر بالحاجة للكتابة بالإنكليزية، هذه اللغة التي يمكن أن تفتح له الكثير من الأبواب وتمكنه من ملامسة الجمهور الأمريكي.

قرأ "شكسبير" مرة أخرى، لكن كانت إنكليزيته محدودة جداً، غير أنه عمل طويلاً وبجد حتى أتقن لغة شكسبير ولكن دون أن يتخلى عن لغته الأم: حيث يقول "بقيت أفكر بالعربية".

كان أمام جبران خليل جبران مشروع "النبي"، الذي نما معه منذ الطفولة.

لكن العمل كان بطيئاً جداً فجبران أراد أن يجد موضوعاً يستقطب أفكاره ولغته الثانية.

وفي خريف عام 1916، التقى جبران مرة أخرى بمخائيل نعيمة، الذي ألف فيه كتاباً، "جبران خليل جبران".

وكان "نعيمة" يدرس في روسيا قبل أن يتوجه إلى الولايات المتحدة، حيث درس أيضاً القانون والآداب، وقد كتب كلاهما في الفنون، وناضلا من أجل تحرير بلدهما عبر لجنة المتطوعين، جبران كمسؤول عن المراسلات بالإنكليزية ونعيمة كمسؤول عن المراسلات بالعربية.

في شهر ديسمبر عام 1916، التقى أخيراً بـ " طاغور"، الشاعر الهندي الشهير، والمتوج بجائزة نوبل في الآداب لعام 1913.

وكتب إلى "ماري" في وصفه قائلاً: "حسن المنظر وجميل المعشر، لكن صوته مخيِّب، ويفتقر إلى القوة ولا يتوافق مع إلقاء قصائده".

بعد هذا اللقاء، لم يتردد صحفي أمريكي في عقد مقارنة بين الرجلين: كلاهما يستخدمان الأمثال في كتاباته ويتقنان الإنكليزية واللغة الأم، وكل منهما فنان في مجالات أخرى غير الشعر".

ومع اقتراب الحرب من نهايتها، أصر جبران أكثر على الكتابة، وألف مقاطع جديدة من "النبي"، وأنهى كتابه "المجنون"، التي اشتملت على أربعة وثلاثين مثلاً (قصة قصيرة رمزية) وقصيدة. أرسلها إلى عدة ناشرين، لكنهم رفضوها جميعاً بحجة أن هذا النوع الأدبي "لا يباع".

لكنه وجد ناشراً أخيراً، وظهر العمل عام 1918 مزيناً بثلاثة رسوم للمؤلف.

وكان جبران قد كتب بعض نصوصه بالعربية أصلاً، ثم ترجمها إلى الإنكليزية. ويروي فيه حكاية شخص حساس ولكن "مختلف"، يبدأ بإخبارنا كيف أصبح مجنوناً.

تميز أسلوب جبران في "المجنون" بالبساطة واللهجة الساخرة والمرارة، وشكل هذا العمل منعطفاً في أعمال الكاتب، ليس فقط لأنه أول كتاب له بالإنكليزية، بل لما فيه من تأمل وسمو روحي.

وأرسل نسخة منه إلى "مي زيادة"، التي وجدته سوداوياً ومؤلماً.

وفي شهر مايو عام 1919، نشر جبران كتابه السادس بالعربية، "المواكب".

وقد كانت قصيدة طويلة من مائتين وثلاثة أبيات فيها دعوة للتأمل، كتبها على شكل حوار فلسفي بصوتين: يسخر أحدهما من القيم المصطنعة للحضارة؛ ويغني الآخر، الأكثر تفاؤلاً، أنشودةً للطبيعة ووحدة الوجود.

وقد تميز الكتاب بتعابيره البسيطة والصافية والتلقائية.

وفي نهاية عام 1919، نشر مجموعة من عشرين رسماً تحت عنوان Twenty Drawings. وقد أدخل الناشر إلى مقدمتها نصاً للناقدة الفنية "أليس رافائيل إكستين".

وجاء فيها أن جبران "يقف في أعماله الفنية عند الحدود بين الشرق والغرب والرمزية والمثالية"، وقد قيل إن "جبران يرسم بالكلمات"، إذ يبدو رسمه في الواقع تعبيراً دقيقاً عن أفكاره .

في ليلة 20 من أبريل عام 1920، رأى الكتاب السوريون واللبنانيون في اجتماع لهم في نيويورك أنه يجب التصرف من أجل "إخراج الأدب العربي من حالة الركود.

وقرر المشاركون تأسيس تنظيم يتمحور حول الحداثة وجمع الكتاب وتوحيد جهودهم لخدمة الأدب العربي.

وجد جبران الفكرة ممتازة ودعا الأعضاء للاجتماع مرة أخرى، وبالفعل حددوا أهداف التنظيم الذي أسموه "الرابطة القلمية"، التي ضمت جبران، و"إيليا أبو ماضي" و"ميخائيل نعيمة" و"عبد المسيح حداد" صاحب مجلة "السايح" وآخرين، في نشر أعمال أعضائها وأعمال الكتاب العربي الآخرين وتشجيع تعريب أعمال الأدب العالمي.

وقد انتخب جبران رئيساً، وميخائيل نعيمة أميناً للسر، وظلت الرابطة تجتمع دورياً تقريباً حتى وفاة جبران.

وأضحت الرابطة بأفكارها المتمردة رمزاً لنهضة الأدب العربي، ورأى جبران أنه لن يكون للغته العربية مستقبل إذا لم تتحرر من القوالب القديمة ومن

"عبودية الجمل الأدبية السطحية"، وإذا لم تتمكن من إرساء حوار حقيقي مع الغرب وتتمثل بتأثير الحضارة الأوروبية دون أن تجعلها تهيمن عليها.

في أغسطس عام 1920، صدرت منشورات الهلال القاهرية مجموعة تضم 31 مقالة لجبران كانت قد ظهرت في صحف مختلفة ناطقة بالعربية.

بعد أسابيع لاحقة، نشر جبران كتابه الثاني بالإنكليزية، حمل اسم "السابق"، الذي زينه بخمسة من رسومه.

وقد جاء على شكل أمثال وحكايات صغيرة مفعمة بالحكمة، وكان بمنزلة تهيئة لكتاب جبران الأهم، "النبي".

وفي سنة 1923 نشر كتاب جبران باللغة الإنكليزية، وطبع ست مرات قبل نهاية ذلك العام ثم ترجم فورا إلى عدد من اللغات الأجنبية، ويحظى إلى اليوم بشهرة قل نظيرها بين الكتب.

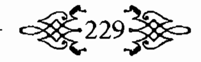
وفي هذه الأثناء، حينما كان يعمل بمثابرة على مخطوطة "النبي"، ساءت صحته حيث آثر البقاء في بوسطن قرب شقيقته "ماريانا"، ولم يعد يرغب إلا في إنهاء مخطوطته والعودة إلى مسقط رأسه.

غير أن أمنية العودة اصطدمت بمشكلة كبيرة وهي ملاحقة دائني والده القضائية لاسترجاع ديونهم ممن تبقى من أفراد الأسرة، وهما جبران وماريانا.

وفي سنة 1923 ظهرت إحدى روائع جبران وهي رائعة (النبي) ففي عام 1996، بيعت من هذا الكتاب الرائع، في الولايات المتحدة وحدها، تسعة ملايين نسخة.

وقد تُرجم هذا العمل إلى أكثر من أربعين لغة.

"النبي" كتاب مميز من حيث أسلوبه وبنيته ونغمية جمله، وهو غني بالصور التلميحية، والأمثال، والجمل الاستفهامية التي تحض على تأكيد الفكرة نفسها.



وهو كتاب في التفاؤل والأمل، وبطريقة شاعرية، وأسلوب سلس، حيث قدم لنا جبران فيه رسالة روحية تدعونا إلى تفتح الذات.

وفي عام 1931، كتب جبران بخصوص "النبي":

"شغل هذا الكتاب الصغير كل حياتي، كنت أريد أن أتأكد بشكل مطلق من أن كل كلمة كانت حقاً أفضل ما أستطيع تقديمه".

كانت صحة جبران قد بدأت تزداد سوءاً حتى توفي في العاشر من أبريل عام 1931 في أحد مستشفيات نيويورك وهو في الثامنة والأربعين بعد اصابته بمرض السرطان.

ونظمت مآتم في نيويورك وبيونس آيرس وساوباولو حيث توجد جاليات لبنانية مهمة.

وبعد موافقة شقيقته "ماريانا"، تقرر نقل جثمان جبران في الثالث والعشرين من يوليو إلى مسقط رأسه في لبنان.

واستقبلته في بيروت جموع كبيرة من الناس تقدمها وفد رسمي، وبعد احتفال قصير حضره رئيس الدولة، نقل إلى بشري، التي وري فيها الثرى وإلى جوار قبره، نقشت هذه العبارة:

"كلمة أريد رؤيتها مكتوبة على قبري: أنا حي مثلكم وأنا الآن إلى جانبكم، أغمضوا عيونكم، انظروا حولكم، وستروني.

وهناك العديد من الأماكن التي سُميت على اسمه، مثل متحف جبران، وساحة جبران التي دشنت في وسط بيروت عام 2000.

وهنالك مواقع، وتماثيل، ولوحات تذكارية تكرم ذكراه: في الولايات المتحدة نصبان تذكاريان لجبران، أحدهما في بوسطن، والآخر في واشنطن، ويضم عدد من أشهر المتاحف الأمريكية العديد من لوحات جبران.

وكانت الجالية اللبنانية في البرازيل قد دشنت أيضاً مركزاً ثقافياً سمي "جبران".

(٣٥) الشاعر محمد مهدي الجواهري

الشاعر العراقي محمد مهدي الجواهري، ولد في عام 1903م، وكان من أسرة دينية، وسبب تسميته بالجواهري نسبةً إلى كتاب ألفه جده الشيخ محمد حسن وكان يحمل اسم (جواهر الكلام) لذلك اقتبست الأسرة لقبها منه.

طلع الجواهري على القرن العشرين من بيت أعمدته العلم والثقافة والأدب.

فهذه الشخصية ملازمة لكل أحداث القرن، ولعل الذى أطلق على القرن العشرين بقرن الجواهري لم يكن مبتعداً عن الحقيقة.

هذا الرجل الشاعر، الثائر، العاشق، الجوال، دخل التاريخ من بابه العريض في بدايات هذا القرن وامتد به العمر الى نهاياته.

لكن الأقدار أرادته أن يكون شاهداً على عصره، وليكشف الزمن بشخصه بعد أن عشق، وناضل، ونفى وتشرد، وجاب البلاد وبين كل هذه الحدود كان الشعر هو الأساس.

فهو في تعامله مع مجتمعه كان انساناً قبل أن يكون شيئاً آخر.

ويذكر المقربون من شاعرنا بأنه على الرغم ابتعاده عن خط أجداده أي الخط الديني والكثير من آل الجواهري كانوا لا يحبذون التقرب اليه الا انه كان يصل أرحامه، يحبهم ويقضي حوائجهم. وكان صادقاً فيما يقول لا يعبر عن شيء الا بصدق، وكان أمله بالله دائماً قوياً فهو لا ييأس.

اجمالاً يمكن القول بأنه شخصية قل نظيره من حيث الجمع بين أن يكون شاعراً فذاً وسياسياً محنكاً وصحفياً مشهوراً.

فهو طموح لا يرضى الا بالقمم، يأبى الذل ويرفض الخنوع، يقارن نفسه بالعظماء، لكنه واضح وبسيط يتعاطف مع الفقراء والمسحوقين والمضطهدين.

المتفحص لحياة الجواهري وبدايات التحول لديه يمكنه تقسيم حياته السياسية والأدبية والصحفية الى ثلاث مراحل: الأولى مرحلة وجوده في مدينة النجف في العراق، وبدايات دخوله معترك الحياة الاجتماعية والأدبية الى عام 1927م.

والثانية مرحلة ما بعد مدينة النجف، أي فترة انتقاله الى بغداد عام 1927م واشتغاله بالتدريس في المدارس الابتدائية والثانوية وما دار فيما بعد من صعود وانتكاسات للجواهري، في المجال السياسي والصحفي والأدبي.

أما المرحلة الثالثة فهي مرحلة التغرب والهجرة والاقامة بعيداً عن الوطن.

فالمعروف أن والد الجواهري ابتدأ حياته شاعراً و انتهى به المطاف رجل دين، فلقد سعى ليصنع من ابنه محمد مهدي رجلاً يسير سيرته ويجتهد اجتهاده، ليرجع على يده مجد العائلة الجواهرية في الفقه والزعامة الاجتماعية.

ومن أجل هذا فقد حاول والد الجواهري أن يضغط عليه لكي يحضر الدروس ويوصي أساتذته بالتعامل معه على هذا الأساس.

أما الجواهري فقد كان يضيق من هذه الضغوط، فهو يرى نفسه قد خُلق لشيء آخر، فقد كانت الدوافع الشعرية الكامنة في خلقه وفطرته تتجاذبه شيئاً فشيئاً لتحدده وتشخصه وتصنعه في قالبه الحقيقي الذي يتطابق مع نفسه، ومع ميوله، لا مع ما أريد له.

فلم تكن بداية الشعر عنده الا استجابة لغريزة داخلية تحركه نحو الشعر، وكان له ولع رهيب به، فهو منذ البدء لم يستسغ من العلوم الفقهية والأصول ما يؤهله للسير في طريق العلم والفقاهة.

وبقي الشعر هاجسه الأول الذي لا يستطيع تفويت أي فرصة ليظفر به.

فقد نشأ الجواهري عاشقاً للشعر بدوافع داخلية قد يكون لم يدركه هو في بداياته، ويمكننا اليوم تسمية تلك الدوافع الغريزية بالنبوغ، فقد قرض الشعر وهو في بدايات شبابه.

وبدأت قصائده وأشعاره في مرحلة المراهقة ولا تكاد تتعدى أبياته عدد أصابع اليد حتى عام 1920م حيث نظم قصيدته الغراء في الثورة العراقية ونشرتها جريدة العراق.

بدأ الجواهري بنشر قصائده في الصحف والمجلات، منها مجلة لسان العرب التي كان يصدرها الأب أنستاس الكرملي، وجريدة العراق وجريدة الاستقلال، وجريدة الرافدين، وغيرها من المطبوعات في بغداد وخارجها.

ويقول الجواهري إن السفرتين بين أعوام 1920 و 1924 الى ايران قد نضجت عنده القابلية الشعرية وأيقظت لديه القريحة الشعرية من خلال تأثره بالطبيعة الايرانية، وجمالها الساحر.

وهكذا بدأ الجواهري يحيك خيوط مملكته الشعرية وقد هيأ نفسه لخوض غمار معارك آتية كان لابد له من أن يتغلب فيها، أو خوض عالم جديد، لا مزاح فيه، عالم لا يقبل من أبطاله بأقل من أمثال الشنفرى، وعروة الصعاليك، ولبيد، وأبي تمام، والبحتري، وأبي الطيب، وأحمد شوقي، وغيرهم من فطاحل القديم والحديث.

ولا نظن أن الجواهري وهو في خطواته الأولى يعلم أن هؤلاء العظام سيقرون له بأمارة الكلمة والحرف العربي سواء بلسان حال أو باعتراف منطوق، أو تصرف عملي يجسده التبجيل والتكريم.

ولم يحدث أن يتفق النقاد والأدباء على شاعر معين أو على مدرسة شعرية لتكتل أدبي، أو لشاعر معروف كما حدث الاتفاق على مدرسته الشعرية.

حيث ان الأغلبية تعتقد أن له مدرسة شعرية خاصة لا يمكن قياسها بالمدارس المعهودة.

حيث تحدث الكثيرون حول تحديد الاتجاه الشعري لديه، فكلها كانت تصب في واحة الاتفاق على أن مدرسته مدرسة متميزة تكاد تكون فريدة في الأسلوب والمضمون والشكل.

وهذا لا يتناقض مع القول بأن الجواهري هو آخر حلقة من حلقات الشعر الكلاسيكي، فهو وريث الشعر العمودي، الذي كان يرفرف في سماء الشعر التراثي التقليدي.

وبذهابه خلت الساحة الأدبية من عملاق يشار اليه بالبنان ويتفق على نبوغه الشعري وأمارته للشعر المنحدر من امريء القيس ولبيد وطرفة والبحتري وأبي تمام والمتنبي وشوقي وغيرهم.

يعتبر الجواهري آخر شعراء المدرسة البارودية والتقليدية، ظل وفياً لتراث الشعر العربي، وشكل القصيدة العربية.

فهو كان آخر الشعراء الكبار الذين كتبوا القصيدة بشكلها الكلاسيكي، وبموته يمكن القول ان أحداً من الشعراء لن يستطيع أن يقدم جديداً في هذا الشكل وفي الحقيقة كان الجواهري قامة هائلة بعد شوقي وربما باستمراره استطاع أن ينقل نبض العصر في قصيدته.

ومن الملاحظ أن الجواهري على الرغم من قضاء سنين طويلة من عمره في المهجر، لكنه لا يحبذ شعراء المهجر ولا يدين بأسلوبهم الشعري.

ولعل مرد ذلك الى عدم وحدة الأسلوب والفكرة عندهم والذي كان الجواهري يعتقد به.

فقد تميز الجواهري عنهم واختص لنفسه بشعره وأسلوبه الخاص بالجواهري الشاعر، وقد قال ذلك قبل أكثر من نصف قرن:

لا أحب الشعراء المهجرين مطلقاً لأني أدين بالأسلوب والفكرة وبدون تجزئة، أما الذين جمعوا في شعرهم بين الديباجة والفكرة في مصر (مثل شوقي) وفي لبنان (مثل بشارة) وفي سوريا (مثل بدوي الجبل) و(عمر أبو ريشة) وفي العراق (كالرصافي) ومن الأوائل فالمتنبي في شعره، وأحبَّ شعرَ البحتري وصورته إلى حد المبالغة.

يبدو أن اتفاق القول على عدم وضع الجواهري في قالب معين في دنيا

الشعر، أدى بالبعض الى تسميته بالحالة الخاصة، أو الظاهرة الجواهرية في الشعر، فهو بهذا قد تحدى النقد والنقاد من التقرب الى ساحة شعره، الا بالأحكام العامة والجاهزة دون تعمق في تفاصيل شعره.

لعل ذلك السر والغموض يتطلب زماناً آخر لفك رموزه ووضعه على طاولة التشريح.

هنا يُطرح سؤال هل الجواهري كلاسيكي مقلد؟ أم مجدد ينبذ القديم التراثي؟ أم هو بين هذا وذاك؟ أم صاحب نبوءة في الشعر تمتاز عن كل هذا؟.

فلا نستغرب عندما يقول الدكتور محمد مبارك عن الجواهري، كظاهرة شعرية، صعب بل مغامرة غير محسوبة العاقبة، رغم السنوات الطويلة من عطائه الشعري، واحتفاء الناس به كونه ظاهرة متميزة في الشعر وتعصب العارفين بالشعر والأدب منهم له لم يحظ الجواهري الظاهرة الشعرية المتمردة في شعرنا المعاصر، بما يليق به من درس وتقويم ونقد، فظلت لذلك أبعاد التجربة الشعرية ولسماتها وخصائصها الفنية في الخلق الفني بعيدة عن دائرة الوعي العام لإنساننا العربي المعاصر.

ان مدرسة الجواهري الشعرية بتعقيداتها قد تكون واضحة للجميع، واذا كان الجواهري آخر رعيل الشعر العربي الكلاسيكي، أو برأي المتطرفين له، بأنه أكبر من قال الشعر العربي حتى الآن، فهو فريد في اتباعه للمدرسة التقليدية والالتزام بالتراث دون التأثير بموجبات التجديد لغة وقالباً وأسلوباً.

فضلاً عن أنه أكبر متجدد في الشعر العربي معنى وموضوعاً، وامتياز الجواهري هذا المجال هو اتخاذ القديم، وحفظه وممارسته بل إجادته إجادة تامة، بلباس التجديد والتحديث من دون أية اساءة الى المنهج الكلاسيكي.

لابد لنا ونحن نرصد خط التطور الفني للشعر العراقي الحديث، من

أن نقف وقفة متأنية عند ظاهرة متميزة في هذا الشعر تمثل قمة من قمم تطوره.

تلك الظاهرة التي لا يمكن أن نطلق عليها مصطلح (الكلاسيكية الجديدة) المتمثلة في محمد مهدي الجواهري.

الا أنه من وجهة نظر نقدية، نجد في أغلب الأحكام التي قيلت في شعره تطرفاً مع الشاعر أو ضده، وتناقضاً أحياناً، ومبالغة أحياناً أخرى.

فضله بعضهم على شوقي، والرصافي والزهاوي، وعده آخرون شاعراً تقليدياً يحسن فن النظم، وبالغ آخرون مقررين أن الجواهري أكبر من أن يدرس.

بينما ذهب بعضهم الى أن للشاعر نمطاً جواهرياً جرى في طريقة أدبية خاصة، فوجدت قبولاً واستحساناً من جمهرة المتأدبين، وانتهى آخرون الى أنه شاعر عباسي أخطأه الزمن ووجوده في القرن العشرين ظاهرة غريبة.

ولم يكن لأسلوب الجواهري الشعري أن يأتي من فراغ، أو أن يظهر لوجود عوامل عمومية يمكن انطباقها على أسلوب شعري أي شاعر آخر، بل هو نتيجة حتمية لمخاض تولد أكبر مخزون ثقافي تراثي وأكبر مخزون عصري.

لا يخفى على أحد أن الجواهري يندر أن ترى في أشعاره قصائد لم يعتمد فيها على تراثه الثقافي المخزون في ذهنه وفكره، فهو في كل الأحوال قد بنى بنيانه الأدبي على هذه الخلفية الغنية ومطالعة دواوينه خير شاهد على ذلك.

إن الجواهري ان لم يكن حاملاً لتراث يضرب في عمق ألف عام، وان لم يكن هو البقية الباقية من التراث الأدبي العربي الصحيح على حد قول عميد الأدب العربي طه حسين، فما كان له هذا التسلط والحكم على الحرف والكلمة، وما كانت القافية تنصاع له بخضوع، وما كان الموضوع أو المناسبة التي يريدها لينشد فيها تتجزأ وبتلك السرعة الفائقة لتتحول الى نظم في ثوب تراثي متزين بزينة العصر والزمان.

لقد اكتنز الجواهري في خياله كل ما مر على قومه وبلاده من تعسف وجور خلال القرون المظلمة، ورأى مجتمعه الذي يعج بالمشاكل، فاندفع يصور ذلك ويفهم الجيل الحائر بما يتصوره من مُثل وآراء.

وطبيعي جداً أن تكون لهذه الخلفية مشارب نهل منها الجواهري، وعوامل كانت لها الأثر البالغ في تكوين التراكم الثقافي والأدبي لديه.

ما هو هذا المخزون؟ وما هي روافده؟ من أي منهل تشربت ثقافة الجواهري؟ وما هي مصادر ثقافته التي أوصلته الى ذلك المستوى المتفرد والمسمى بالظاهرة الشعرية الجواهرية؟

ان أول ما يلفت النظر حول الخلفية التراثية والثقافية للجواهري، هو بيئته، أي البيئة الخاصة، والبيئة العامة.

فالبيئة الخاصة ترجع الى بيئة الأسرة الثقافية، وكما ذكرنا في الحلقات الماضية فقد نشأ في أحضان عائلة تتصف بالعلم والأدب، وتقرض الشعر، فالأب عالم وشاعر، والأخ شاعر متجدد ومتأدب، وهكذا الأجداد والأقرباء.

هذا من الجانب الثقافي والفكري، وأما البعد الاجتماعي لبيئته الخاصة فهو ليس بأقل من البعد الثقافي والديني، فالعائلة من العائلات الشهيرة في العلم والفقه.

ولم يكن للجواهري ألا يتأثر بالبيت الديني الذي يُتلَى فيه القرآن صباحاً ومساءً، ولم يكن له ألا يحفظ القرآن أو لا ينهل من عظمة فصاحة اللغة، وكمال بلاغتها فيه.

أما البيئة العامة فهي مدينة النجف التي تكثر فيها المجالس الأدبية، ومواطن شعراء كبار، ومركز ثورة العشرين، وملتقى العلم والأدب.

لقد اكتسب الجواهري خلفية ثقافية من بيئته النجف لازمته سلباً وايجاباً طوال عمره البالغ مائة عام تقريباً، فقد نبغ في الشعر في حداثته متأثراً بما كان يسمعه وهو يرتاد النوادي الأدبية في النجف من أصوات أبي تمام والمتنبي والبحتري والشريف الرضي.

وكان لنشأته في النجف أن اكتسب النزعة العنيفة، فكان ميالاً الى التحدي والتمرد والرفض، فالشعر كان يسحره ويجعله يرتجف.

لم يتمكن الجواهري من التخلص من بيئته، بل لم يقدر على أن ينفك عن العراق رغم سنين البعد ورغم انقلابه الكبير على بعض تفاصيل حياته السابقة، لكنه بقي متأثراً بمدينته وبلده ومستأنساً معهما في البعد والثورة.

وفي هذا يقول الجواهري: أنا لا أزال أتحدث عن الناحية الأدبية والشعرية عندي، وليس من السهولة بمكان انفكاك هذه الناحية عن ناحية البيئة والمجتمع وحتى ناحية حياتي الشخصية، حياة كل شاعر يعيش مشاعره بأفراحها وأتراحها فضلاً عن أنه وجد ليكون كأنه مكلف بمشاعر الآخرين وأفراحهم وأتراحهم.

الموهبة أو الاحساس الفطري في الانسان جوانب فنية يرى فيها نفسه وينجذب لها، لذلك تعتبر من أهم أسباب ظهور كفاءة أدبية خاصة.

ولا يمكن استثناء الجواهري في هذا، فكيف ذلك وهو المبدع النابغة في حقل الشعر العربي الذي هو عين الأدب ووجهه البارز.

فقد نبغ في الشعر وهو حديث السن حيث كان يشده نحو رهبة الشعر وتقديسه، ولقد كان هذا الالهام الشعري أو الموهبة التي كانت تحيط بكل كيانه السبب في مغادرة كل النواحي العلمية والفقهية وحتى السياسية التي أتيحت له.

ولم تكن بدايته الشعرية الا استجابة لهذا الالهام الغريزي.

وفي هذا يقول الجواهري: (فلربما كانت كلمة الالهام أقرب الي من كلمة الموهبة، وأتساءل وأنا ألج هذا الموضوع، هل تتجاوز الموهبة نفسها لتصبح نوعاً من الالهام؟ أي تتجاوز سيطرة الانسان على نفسه وعلى ارادته ويصبح خاضعاً لإيحائها بدلاً من أن يكون هو من يوحى اليها، أقول ذلك لأنني أعتبر نفسي، بحق أو بباطل، ممن تتكون موهبتهم وهم مازالوا نطفة وتتفجر مع دم الوراثة).

كان الجواهري منذ بداياته قد فتح عينيه وهو يرى الكتب والمكتبات تحيط به، في البيت، وفي الشارع ، وفي النوادي الثقافية.

وقد كان منذ صباه يميل فطرياً الى القراءة والمطالعة، فكان طبيعياً جداً أن يكون الكتاب صاحبه الوفي.

بل المتنفس الوحيد الذي كان بإمكانه أن يحتوي الجواهري وينميه ويصقل موهبته وفي المقابل لم يدخر الجواهري وسعاً بالالتصاق بالكتاب والسعي الدؤوب بالحصول عليه وقضاء حاجته النفسية والروحية به.

ويذكر الجواهري بأنه في سبيل الحصول على بعض الكتب كان يدخر من النقود التي كانت تعطى له لاقتناء مستلزمات البيت اليومية من خبز وطحين ورز وغير ذلك، ليقتني بها الكتاب، ولقد سمى الجواهري هذه بالسرقة من البيت أو من مصروف البيت.

لكن الجواهري يعزو المامه باللغة العربية أساساً الى فضل القرآن الكريم ويقول: (أنا مدين له باقتناص اللغة والحرف وحتى الشعر واللقطات والصور من آيات أوحت لي، خصوصاً عند ترتيله، فهو يسحرني عند سماعه).

وقد أكد الشاعر مراراً وفي أماكن عديدة أنه اعتمد في ثقافته ولغته بشكل أساسي على أربعة كتب ابتدأ بقراءتها وهو في سن الثامنة وهو بحاجة الى قراءة هذه الكتب حتى في الثمانين من عمره وهذه الأربعة تعد من ركائز الأدب العربي وهي: الكامل، والأمالي، وكتب الجاحظ، ونهج البلاغة.

فقد كانت هذه المقومات الأساسية لنضوج ثقافته وشيئاً فشيئاً توسع الجواهري بالقراءة واشتد ولعه الكبير بالكتب الأدبية، وكان يستنسخ دواوين فطاحل الشعراء من الجاهلي، والعباسي وغيرهما.

وفي هذا يقول الجواهري، بدأت بعد ذلك شخصيتي الأدبية ذاتياً، وبما يشبه الجنون، كنت ألتقط الكتب كمثل الجوعان أو العطشان الى كل كتاب أدبي أو ديوان شعري يقع تحت يدي، بدون تمييز حتى أن بعض الكتب كان يجب أن أستعيرها من أصحابها.

وبعض الكتب لولعي الشديد لها كنت أنقلها بخط يدي كاملة حتى أرجعها الى أصحابها، ولكن بعد ذلك بدأت أفرز ميولي، وأميل الى جانب بعض الكتب دون أخرى، وحينها بدأ حبي للاتجاهات الأدبية، ومن هنا كان ولعي الشديد بالمتنبي كثائر، والى جانبه ولعي بالبحتري كرسام من حيث الصياغة.

لقد قرأ الجواهري الكثير والكثير من الكتب وتأثر بها أشد التأثير وبقيت ملامح تأثيرات هذه الكتب على أدبه وشعره مدى حياته وحتى أنه نظم قصائد عديدة من وحي بعضها، مثل قصيدة الأوباش، وقصيدة زوربا وغيرها.

لم يكن لنبوغ كنبوغ الجواهري لتظهر الى الوجود وتخلق المعجزة دون امتلاك الذهن الوقاد والذاكرة الحية التي تسجل كل شاردة وواردة وتخزن المفردات الثقافية لتتجسد حين الأبداع وتثمر بالنتيجة الأثر الخالد.

فالمعروف أن الجواهري حاله خاصة تدخل في حضيرة القلائل الذين نبغوا بسبب حدة حافظتهم وشدة ذكائهم.

فالجواهري استطاع بفضل حافظته وقوة ذاكرته أن يختزل تسعين عاماً بمفرداته وتفاصيله، الأدبية الاجتماعية، والسياسية والشخصية في كتاب واحد من خلال تدوينه لمذكراته حيث لم يعتمد في تأليف كتابه (ذكرياتي) الا على ذاكرته.

لم يكن الجواهري مغتبطاً ومغروراً بذاكرته القوية كما يظن البعض، بل كان يرى في ذلك عبئاً تاريخياً دفع الجواهري الى أن يقول ما قد لا يستحسن قوله بالنسبة للأحداث والفواجع والشخصيات من جانب، وبالنسبة له شخصياً من جانب آخر.

وقد قال في هذا المجال: واذا كان في هذا ما قد يحسبه البعض تبجحاً، فإن أطمئنه بقوة وحرارة، بل بوجع ايضاً، بأنني أحسد كل ضعيف ذاكرة، لا يتمثل معها ما أتمثله، من أطياف وأشباح وكوابيس.

لقد أورد صباح المندلاوي صهر الجواهري في كتابه (في رحاب الجواهري) عدة موارد تدل بوضوح عن عمق وقوة الذاكرة لدى الجواهري، الذاكرة التي

تختزن السنين الطوال وتطفح بالمعلومة، والحادثة كأنها قد وقعت من وقت قريب.

كما أنه حفظ المئات بل الآلاف من أبيات الشعر العربي الجاهلي أو الأموي والعباسي وقد كانت لهذه الحافظة والذاكرة المتوقدة الأثر البليغ لانصياع القافية العربية لمخيلة الجواهري.

وبذلك نرى اجتماع كل هذه الروافد والعوامل لتشكل بحراً من التراكمات الثقافية كانت بمنزلة المقومات الأساسية لبناء القصيدة الشعرية عند الجواهري شكلاً ومفهوماً وأسلوباً، اضافة الى اطلاعه الواسع على الأدب الفارسي، اذ قرأ لخيام وسعدي والفردوسي وغيرهم، وقبس من معانيهم تأثراً واعجاباً.

لا شك أن لشعر الجواهري ميزات خاصة يمتاز بها، فهي كثيرة ولكن اخترنا لكم مجموعة من هذه الميزات نبدأها في العنف الثوري.

حيث يعود العنف في شعر الجواهري الى الطبيعة المزاجية العنيفة التي تمتاز بها شخصيته، والشيء الذي يلفت الانتباه اليه هو أن عنفه ليس بالعنف الذي يوحي بالخشونة والحقد، فهو عنف تتطلبه ضرورة الموقف والزمن.

وهو عنف قد جاء بمنزلة رد فعل طبيعي لواقع مر عاشه الجواهري.

فالعنف عنف لا فرق لدى الجواهري سواء كانت القضية صغيرة أو كبيرة، يكفي أن يرفض أن يثور، أن يغضب، فتأتي القافية العنيفة لتعالج الموقف، مدحاً كان، أم رثاءً، وصفاً كان أم غزلاً، شكاية كانت أم عتاباً.

لما كان التناقض سمة من سمات حياة الجواهري، والتي أقر بها في مواضع عديدة لم يكن لشعره أن يتخلص منه، حتى صار التناقض غرضاً من أغراضه الشعرية، طفح هذا التناقض من خلال قصائده العديدة.

ولقد تحير النقاد في أمر تناقض الجواهري، وذهبوا في ذلك مذاهب شتى، فالجواهري نفسه كان يعزوها الى الأوضاع العمومية لحياته الخاصة، والى تكوينه النفسي والبيئي.

فمنذ البداية نما التناقض معه، فأهله يريدونه للدين عالماً ولكنه يريد لنفسه شاعراً، ينشأ في بيئة محافظة، ويتمرد على البيئة.

يقول الدكتور عبد الحسين شعبان:

أليس في ذلك تناقض الجواهري المحبب، الذي جمع الأضداد بتناسق عجيب: العيش الرغد، الرفاهية، الزهد، الصمود، انه يريدها ويتمناها ولكنه يتبرم منها أيضاً، أنها جدلية الحياة وجدلية الشعر الذي كان عنوان كتابي، الجواهري جدل الشعر والحياة.

وفي عام 1947م انتخب الجواهري نائباً في البرلمان العراقي، ولكن لم يمض بالمجلس كثيراً فاستقال منه.

وفي خضم الاعتقالات، والاجواء التعسفية، من السجن والمحاصرة، واغلاق الجرائد، ينتهز الجواهري فرصة الدعوة الموجهة له بالاشتراك في حفل تأبين عبد الحميد كرامي في لبنان فيسرع الى هناك.

وهناك في لبنان وفي قاعة سينما ريفولي، حيث جلس في الصف الأمامي شخصيات سياسية وأمنية رفيعة، صعد الجواهري المنصة وهو المطلوب في العراق حياً أو ميتاً، ولو كان غيره لكان بإمكانه استغلال المناسبة، والفرصة ليكسب ملجأ آمن.

من يستطيع أن يقتحم تلك الميادين، غير الجواهري، من يستطيع أن يجمع هذه المتناقضات غير شخصية استثنائية، لشاعر استثنائي بجدارة وكبرياء.

لقد كانت ساحات الكرخ والرصافة تعج بالناس وتتحرك لمجرد اعلان الجرائد بأن هناك قصيدة نارية للجواهري، فهو يتحدى، والجماهير كانت تتشوق الى ما يقوله.

ولمجرد السماع أو القراءة عبر الجرائد، فان أبياتاً شهيرة من القصيدة تنتشر وتذاع، وتصبح كالأمثال السائرة في أفواه الجماهير، تنقلها طبقات المجتمع، لاسيما المظلومين والمسحوقين.

وهذا إن يدل على شيء فإنما يدل على الالتصاق المباشر لشعر الجواهري مع قضايا الشعب، مع الأمور اليومية للناس، مع الأحداث التي تثير الناس، وطبعاً فإن المدار في هذا بين محورين، محور السلطة، ومحور الجماهير.

ولقد كان الجواهري في عمق المحور الثاني يتفاعل معه بقوة.

وهذا يعني أن وظيفة الجواهري بالنسبة للجماهير تكون مضاعفة فهو فضلاً عن اشتراكه مع الجماهير في ايجاد الحدث، فإنه يرى نفسه مسؤولاً عن حفظ ذلك الحدث بقصائده وأشعاره.

فهناك أبيات أخذت شهرتها من التزام الناس بها وترديدها في كل مكان، في الشارع، والمدرسة، وفي النوادي.

هذا ليس فقط في العراق ومدنه، بل كانت تلك الأبيات المشهورة تنتقل سريعاً الى بقية أنحاء العالم العربي.

من خصائص المطلع لدى الجواهري قوته، وتصريحه، واستعمال فعل الأمر، لذلك نرى كثيراً من قصائده وهو يخاطب الجماهير ويحرك فيهم الهمم بإطلاق فعل الأمر وذلك لبيان جدية القضية وأهميتها والتأكيد على العلاقة القوية ما بينه وبين أبناء الشعب.

وفي ذلك يقول الدكتور زاهد محمد زهدي: ومعلوم أن التقليد السائد في القصيدة العمومية هو أن يتفق (العروض) و(الضرب) في المطلع على الأقل، وهو ذاته كثيراً ما يتمسك بهذا التقليد أي الجواهري، في أكثر من بيت في القصيدة الواحدة.

ويقول أيضاً: مع أن التصريع يعطي في العادة قوة للقصيدة، الا أنه ليس شرطاً دائماً.

وبحكم العلاقة الوطيدة بينه وبقية الجماهير، فالشعبية كانت من مضامين شعره، فلا يغيب عن أية قضية تهم الشعب دون أن يلتفت اليها أو يشير بها أو يدافع عنها.

فلذلك أصبحت أبيات من قصائد مختلفة من قصائده، عناوين لمسميات تتعلق بظروف الناس، مثل غاشية الخنوع، وأطبق دجى، والكوفة، ودجلة الخير، وأتعلم أم لا تعلم، وفتى الفتيان، وأرح ركابك، هذه كلها عناوين أخذت من عبارات المطالع أو من عمق القصيدة، فتحولت الى لافتات وشعارات تداولها الناس.

يكفي أن ننظر ونتأمل في القصائد الجواهرية، والتي أنشدها الشاعر عبر قرن كامل، لتجد أنه قد سلك طريقاً شعرياً تمحور فيه على أسس ثابتة عموده الوطن.

فالوطن هو الشغل الشاغل للشاعر، والوطن عبارة عن وحدات متراصفة فوق أخرى، لتبدأ من الأهل، المجتمع، الأرض بسهولة ووديانه وجباله وصحرائه، لم يتوقف الجواهري عند حدود وطنه.

لا يمكن لقلب مثل قلب الجواهري أن يحدد بوطن وأن يشغله حيز واحد، فكان يرى أن وطنه امتداد لوطن أكبر، وأن هموم هذا الوطن هي هموم الأمة لا يمكنها القبول بالتجزئة.

فسعادة شعبه، هي من سعادة أمته، ومحنة شعبه، هي محنة أمته.

واذا كان الاستعمار قد نهش لسنين طويلة جسد العراق، فسورية ومصر والجزائر قد ابتلت وجرحت من حرب الاستعمار أيضاً.

فعلى المستوى الوطني كان وطنياً غيوراً، مدافعاً عن استقلال بلده وحريته، وكيف يكون غير ذلك وهو سليل عائلة عراقية وعربية مناضلة اشتهرت بوطنيتها ومواقفها الكفاحية المعروفة في عموم العراق، فوالده كان من الوطنيين الأحرار.

ولقد غنى الجواهري للعالم العربي أجمع، لقد غنى للقدس ويافا، وغنى للقاهرة ودمشق، وتونس الخضراء وطنجة وبيروت.

لقد توسع الفكر الأدبي والسياسي للجواهري في رقعة الوطنية والقومية لتأخذ أبعاداً أكثر شمولية تضرب في العمق الإنساني.

فنتج لديه أدباً أممياً انسانياً، يستجيب للحدث الإنساني اينما كان، ويمجد الشواخص الانسانية بتفاصيلها ومفرداتها، أحداثاً، وشخصيات، وقضاياً.

فترى في شعره الماماً مطرداً لما يدور حول الأدب العربي وساحاته، ولم يكن ليحصل هذا الا لكون الجواهري يتمتع بفكر رحب، وخيال نافذ، والتزام بقضايا الانسان.

لقد كتب وأنشد لشخصيات عالمية، وأرخ بشعره لأحداث مصيرية مرت على القرن العشرين.

نجده في عام 1962م يصبغ مؤتمر نزع السلاح في موسكو بصبغة انسانية ويهيج فيه روحاً تتحرق لأطفال العالم حيث هم الضحية الأكثر مأساوية قياساً الى بقية الناس.

ولم تكن الحوادث الشهيرة العالمية تسترعى انتباه الجواهري فقط، فلقد كان يتفاعل انسانياً حتى مع مفردات قد لا تستهوي أمثال الجواهري.

توفي الجواهري في أحد مشافي العاصمة السورية دمشق في يوم السابع والعشرين من يوليو سنة 1997 عن عمر يناهز الثامنة والتسعين.

ونظم له تشييع رسمي وشعبي مهيب، ودفن في مقبرة الغرباء في السيدة زينب في ضواحي دمشق، تغطيه خريطة العراق المنحوتة على حجر الجرانيت، وكلمات:

محمد مهدي الجواهري يرقد هنا بعيداً عن دجلة الخير.

(٣٦) الشاعر نزار قباني

الشاعر نزار قباني الذي شغف بجمال المرأة وافتُتن به، وكانت قصائده اندفاعية نحوها، مما جعله يعبر عن شعرية جمال المرأة، وشعرية الخلجات والأحاسيس التي تهدر كالأمواج حيناً، وكالعواصف حيناَ آخر، إلا أن معاناة الشاعر لم تنفصل عن معاناة وطنه وشعبه فتفجر شعره السياسي محاولاً أن يكون مرآة صادقة لما يحدث في فلسطين، ولبنان، وسورية وطنه الأم.

هكذا كان نزار يرى ويحس من خلال الجسد، فدمشق، كانت جسده الأم، ومن خلال الجسد كان يقتحم مملكة الشعر الرقيقة.

وُلِدَ نزار قباني في شهر مارس من عام 1923م، في حي مئذنة الشحم (أحد أحياء دمشق القديمة)، ويتساءل نزار فيما بعد عن تاريخ ولادته، فيقول: "هل كان مصادفة يا ترى أن تكون ولادتي في الفصل الذي تثور فيه الأرض على نفسها، وترمي فيه الأشجار كل أثوابها القديمة؟ أم كان مكتوباً علي أن أكون كشهر آذار أي شهر مارس، شهر التغير والتحولات.

والده توفيق قباني كان يمتهن صناعة الحلويات، وكان ميسور الحال، وقد ساهم في بعض الاجتماعات التي كانت تُعقد في منزله لمقاومة الاستعمار.

ونزار يذكر أنه في الثلاثينيات رأى العساكر يدخلون في ساعات الفجر الأولى للمنزل بالبنادق، ويأخذون والده معهم في سيارة مصفحة إلى معتقل (تدمر) الصحراوي.

أما والدته فتدعى فائزة، ويقول عنها نزار انها كانت ينبوع عاطفة يعطي بغير حساب، وكانت تعتبره ولدها المفضل وتخصّه دون سائر إخوته بالمعاملة، وتلبي جميع مطالبه.

أما علاقته بأمه على الصعيد الفكري فيقول عنها نزار: "على الصعيد الفكري لم يكن بيني وبين أمي نقاط التقاء، فلقد كانت مشغولة في عبادتها، وصومها، وسجادة صلاتها.

ويذكر أيضاً : "كانت أمي ماءً، وأبي ناراً، وكنت بطبيعة تركيبي أفضّل نار أبي على ماء أمي.

وفي طفولته يذكر استيقاظ النزعة العدوانية لديه التي تجلت في الرغبة في تحطيم الأشياء أو تفكيكها وردها إلى أجزائها، وسنتناول تلك النزعة لاحقاً في محطات أخرى من حياة شاعرنا نزار قباني.

مدرسة نزار قباني الأولى كانت الكلية العلمية الوطنية في دمشق، حيث دخل إليها في السابعة من عمره، وخرج في الثامنة عشرة يحمل شهادة البكالوريا الأولى (القسم الأدبي)، ومنها انتقل إلى مدرسة التجهيز حيث حصل على شهادة البكالوريا الثانية (قسم الفلسفة).

فالكلية العلمية الوطنية قد لعبت دوراً رئيسياً في تشكيله الثقافي، ذلك أنها كانت مؤسسة وطنية خاصة يقصدها أولاد البورجوازية الدمشقية الصغيرة، من تجار، ومزارعين، وموظفين، وأصحاب حرف.

وكانت الهيئة التعليمية في (الكلية العلمية الوطنية) ذات مستوى رفيع، وكان المدرسون من صفوة رجال المعرفة، ومن كبار الشعراء والمفكرين.

يقول نزار عن ذلك: "وإنه لمن نعمة الله عليّ وعلى شعري ، أن معلم الأدب الأول الذي تتلمذت عليه، كان شاعراً من أرق وأعذب شعراء الشام، وهو الأستاذ خليل مردم بك، هذا الرجل ربطني بالشعر منذ اللحظة الأولى".

واستمر خليل مردم يقطف لنا من شجرة الشعر العربي عشر زهرات جديدة في كل درس من دروسه، حتى صارت ذاكرتنا الشعرية في نهاية العام بستاناً يموج بالأخضر، والأصفر، والأحمر، ومن حسن حظي، أنني كنت من بين التلاميذ الذين تعهدهم هذا الشاعر المفرط في حساسيته الشعرية، وأخذهم معه في نزهاته القمرية، ودلهم على الغابات المسحورة التي يسكن فيها الشعر.

وفي هذا، يذكر نزار أن أول تجربة له مع الشعر حيث كانت في صيف عام 1939 حين كان مبحراً في رحلة مدرسية من بيروت إلى ايطاليا عندما قرأ الكلمة الأولى من أول بيت شعر نظمه في حياته، حيث يقول: "وللمرة الأولى،

وفي سن السادسة عشرة، وبعد رحلة طويلة في البحث عن نفسي.. نمتُ شاعراً."

كما كان قد بدأ في الثانية عشرة من عمره الرسم واستمر في هذه التجربة سنتين أو ثلاثاً مستعملاً قوارير اللون، والصباغات، والأقمشة، والرسم بالماء، والفحم، والزيت.

أما في الرابعة عشرة فقد سكنه هاجس الموسيقى، ونزار دائماً ما يشير إلى هاتين التجربتين اللتين لعبتا دوراً أساسياً في تشكيل لغته الشعرية حيث سكن الرسم والموسيقى كلمات نزار.

فهو يقول عن تلك المرحلة: "بعد مرحلة (طفولة نهد) و(أنتِ لي) و(سامبا).. ركبني هاجس الخطوط والأشكال وصارت الحروف عندي تأخذ أشكالاً مختلفة، فهي مرة خطوط مستقيمة، ومرة خطوط منكسرة، ومرة خطوط منحنية.

وللمرة الأولى، صرت أفكر هندسياً، وصارت القصيدة عندي عمارة أخطط لها كأي مهندس معماري.

بعد حصول نزار على شهادة البكالوريا الثانية (قسم الفلسفة) من مدرسة التجهيز، التحق بكلية الحقوق بالجامعة السورية.

وخلال دراسته هذه أصدر أول دواوينه "قالت لي السمراء" في سبتمبر 1944 على حسابه الخاص، وكانت الطبعة الأولى منها 300 نسخة فقط.

ونزار يقول عن مجموعته الأولى: "كانت القصيدة العربية تعاني انفصاماً حاداً في الشخصية وكنت أحس، وأنا أقرأ شعراء عصر النهضة، أنني أحضر حفلة تنكرية، وأن كل شاعر يستعير القناع الذي يعجبه، هذا يستعير سيف أبي فراس.. وذاك يستعير حصان عنترة..".

وفي وسط هذه الحفلة التنكرية، كنت أتساءل، وأنا شاب يافع، لماذا لا يكشف هؤلاء عن وجوههم الطبيعية، ويتكلمون بأصواتهم الطبيعية؟ ولماذا يستعيرون لغة الآخرين، وعصر الآخرين؟.

في هذا الاحتفال الكرنفالي، قررت بحماس الشاب أن أغيّر بروتوكول الحفلة، وأخرق نظامها، وبكل بساطة، دخلت القاعة المكتظة بوجهي الطبيعي وملابسي العادية، وفي يدي أول مجموعة شعرية لي (قالت لي السمراء).“

في السنة التالية، نال نزار شهادة الليسانس في الحقوق من الجامعة السورية في دمشق، وكان ذلك في عام 1945، وكانت هذه الفترة سنوات الحرب العالمية الثانية.

وفي شهر أغسطس من نفس العام، انضم نزار إلى السلك الدبلوماسي السوري، وكان وقتها في الثانية والعشرين من عمره، وعُيِّنَ ملحقاً بالسفارة السورية في القاهرة.

وهو يقول عن أسفاره التي بدأت منذ ذلك الحين: ”ومع كل خطوة كنت أخطوها، كان قلبي يكبر، وشبكية عيني تتسع، وآبار نفسي تمتلئ، والبدوي في داخلي يرق، ويشف، ويتحضّر“.

وقضى نزار في القاهرة ثلاث سنوات (1945 – 1948)، وفي القاهرة طبع مجموعته الثانية (طفولة نهد) وكان ذلك في عام 1948.

وبعد مجموعته ”طفولة نهد“ أصدر عام 1949 كتيباً شعرياً بعنوان ”سامبا“ وهي قصيدة طويلة تصف الرقصة التي شاعت في عصره.

ومن أهم تجارب نزار الشعرية خلال عمله الدبلوماسي بعد القاهرة كانت التجربة الإنكليزية، والتجربة الإسبانية.

انتقل نزار قباني بعد عمله الدبلوماسي في القاهر إلى لندن وكان ذلك خلال الفترة من 1952 إلى 1955، وتعلم اللغة الإنكليزية خلال عمله في السفارة السورية في لندن.

ووجد نزار فيها لغة اقتصاد وتقنين وظهرت تأثيراتها على مجموعته (قصائد) وما صدر بعدها من مجموعات مثل (حبيبتي) و(الرسم بالكلمات).

أما قصيدته "خبز وحشيش وخمر" فكان قد نشرها في مجموعته "قصائد" وقصيدته هذه كان لها صدى واسع في العالم العربي لتعرّضها لبعض الوقائع الدينية.

وكان قد كتبها في لندن عام 1954، وناقشها البرلمان السوري وقتها حيث طالب رجال الدين بمحاكمة الشاعر وطرده من السلك الدبلوماسي.

وانتقل نزار قباني بعد ذلك إلى الصين التي عمل بها خلال الفترة من 1958 حتى 1960، وكان مأخوذاً فيها بروعة معجزتها التي استطاعت أن تحرر ألف مليون إنسان، من مخالب المرض والجوع والأفيون والاستعمار.

وفي هذا يقول نزار: "ولكي أكون منصفاً ومتجرداً: إن الذي يريد أن يفهم الصين عليه أن يتخلى عن كل أفكاره السابقة، ويناقش الأمور بالمنطق الصيني لا بمنطقه هو، وعندئذ يجد الصين على حق في كل ما تقوله وما تفعله.

وبعد ذلك انتقل نزار إلى اسبانيا وكان ذلك ما بين 1962 و 1966، وتعلم فيها اللغة الإسبانية ووجد فيها لغة ماء ونار.

هكذا عشق نزار اسبانيا ولغتها وآثار هذه التجربة ظهرت في قصائده (أوراق إسبانية) ضمن مجموعته (الرسم بالكلمات) التي صدرت عام 1966.

ونزار يقول: "ليس شعر رفائيل ألبرتي، وغارثيا لوركا، ولوحة (غيرنيكا) لبيكاسو سوى شهادة خطيرة على تعايش الماء والنار في الفن الإسباني".

وكذلك يقول نزار عن تجربته في إسبانيا: "السفر إلى الأندلس، سفر في غابة من الدمع، وما من مرة ذهبت فيها إلى غرناطة، ونزلت في فندق (الحمراء) إلا ونامت معي دمشق على مخدتي الأندلسية.

استمر نزار في عمله الدبلوماسي واحداً وعشرين عاماً إلى أن قدم استقالته من عمله الدبلوماسي في ربيع عام 1966.

وأسس في بيروت داراً للنشر تحمل اسمه، وتفرغ للشعر، وهكذا أصبح لبنان وطناً ثانياً له ولكلماته.

كان نزار قد تزوج امرأة من عائلته تدعى (زهرة) وأنجب منها "هدباء" و"توفيق" و"زهراء".

وكانت وفاة ابنه توفيق وهو في الثالثة والعشرين من عمره عندما كان يدرس الطب في القاهرة نتيجة أزمة قلبية، أثرت فيه تأثيراً كبيراً، وقد رثاه نزار في قصيدة "إلى الأمير الدمشقي توفيق قباني" قائلاً فيها:

مكسرة كجفون أبيك هي الكلمات

ومقصوصة كجناح أبيك هي المفردات

ماذا سأكتب يا ابني.. وموتك ألغى كل اللغات.

بعد طلاقه من زوجته الأولى تزوج نزار للمرة الثانية، من "بلقيس الراوي" وهي عراقية.

وكانت بداية قصة هذا الزواج في مارس عام 1962 حين استدعته العراق، لتقديم أمسية شعرية في حديقة كلية التربية ببغداد وقدم فيها أروع قصائده.

وتقول بلقيس عن هذا اللقاء: "التقيت بنزار أول مرة عام 1962، عندما كان يقوم بزيارة لبغداد، كان لقاؤنا الأول في سامراء حيث اجتمعنا في دعوة غداء، وهناك قال لي نزار يا بلقيس هل تقبليني زوجاً، عندها شعرت بحب جارف له".

وحين تقدم نزار بطلب يدها من أسرتها العراقية الملتزمة بالتقاليد الموروثة، فإن قصائده الغزلية كانت سبباً لرفضه.

وحين عاد إلى بغداد في أبريل 1969 وذلك بدعوة رسمية للاشتراك في مهرجان المربد الشعري والذي عُقِدَ بقاعة الخلد في بغداد، حيث ألقى نزار قصيدته "إفادة في محكمة شعرية"، وبعد أيام تزوج نزار من بلقيس، ليستقرا معاً في بيروت، حيث رُزِقَ زينب وعمر.

وفي الخامس عشر من ديسمبر من عام 1981 قامت إسرائيل بتفجير مبنى السفارة العراقية في بيروت، حيث قُتِلَت بلقيس.

وفي هذا يقول نزار: "ما كان يمكن أن تموت بلقيس بهذه الصورة، بلقيس لم تكن امرأة عادية، كنت في مكتبي بشارع الحمرا، حين سمعت صوت انفجار زلزلني من الوريد إلى الوريد.

ولا أدري كيف نطقت ساعتها: يا ساتر يا رب، بعدها جاء من ينعي إلي الخبر، السفارة العراقية، تم نسفها، أحسست أنني فقدت بلقيس، سوف تحتجب عن الحياة إلى الأبد، وتتركني في بيروت ومن حولي بقاياها، فكما يقول نزار كانت بلقيس واحة حياتي وهويتي وأقلامي.

ولم يتعرف أحد على بلقيس بين الضحايا إلا من خاتم الزواج في يدها اليسرى.

وبعد ذلك اضطرته ظروف الحرب اللبنانية إلى مغادرة بيروت عام 1982، وتنقل بين باريس وجنيف، حتى استقر به المقام في لندن التي قضى بها الأعوام الخمسة عشر الأخيرة من حياته وحيداً.

ومن لندن كان نزار يكتب أشعاره ويثير المعارك والجدل.. خاصة قصائده السياسية خلال فترة التسعينيات، وكان قد ظهر الشعر السياسي عند نزار على أثر هزيمة يونيو عام 1967.

وكانت قصيدته (هوامش على دفتر النكسة) احتجاجاً ومعارضة على الوضع العربي الذي قاد إلى هذه الهزيمة.

استقر المقام لنزار في لندن حيث تابع شعره السياسي، وفي أواخر عام 1997 داهمته أزمة قلبية نجا منها بأعجوبة دخل على أثرها غرفة الإنعاش في مستشفى سان توماس بلندن.

وكانت هذه الأزمة القلبية على حد قوله استفتاء عظيماً لشعره.

فيقول: "عندما فتحت عيني في غرفة الإنعاش في مستشفى سان توماس في لندن بعد الأزمة القلبية الخطيرة التي أصابتني لم أصدق ما تراه عيني.

فقد كان الوطن العربي كله جالساً قرب سريري يذرف الدموع ويتضرع إلى الله كي يعيد إلى قلبي السلامة والعافية.

ويشهد الله أن ما لقيته من عشق الناس كان فوق ما أتوقع وأن أمطار الحنان التي تساقطت على سريري اللندني لم تكن مجرد نهر صغير بل طوفاناً حملني على ذراعيه وأوصلني إلى شاطئ السلامة.

يعتبر الشاعر شوقي بزيع أن أدب نزار "أقرب إلى المدرسة الرمزية منه إلى السُريالية، ولو أن شعره لا يخضع لتصنيف محدد ولا يندرج تحت مدرسة بعينها.

إلا إنه قبل كل شيء شعر حرية وتعدد وتنوع، فيه جمالية الرمزية وهندستها، وفيه صفاء الرومانسية ورقتها الغنائية، وفيه سعي الواقعية نحو الالتزام بقضايا الإنسان وهمومه المباشرة.

وفي الحقيقة هذا كله يتضح في سر انتشار شعر نزار السريع، ورواج نتاجه، مما جعله ظاهرة شعبية لم يعرفها الشعر العربي منذ عهود طويلة.

وليس غريباً أن يُعتبَر نزار أمير الشعر الغنائي على مدى أربعين عاماً، وكان المطربون الكبار يتسابقون للحصول على قصائد نزار بدءاً من أم كلثوم وعبد الحليم حافظ ونجاة، مروراً بفايزة أحمد وفيروز وماجدة الرومي.

ويسمي نزار اللغة التي استعملها في أدبه اللغة الثالثة وهي الجسر بين اللغة البلاغية المتعجرفة من جهة واللغة العامية المتواضعة من جهة أخرى.

وفي هذا يقول: "هذه الازدواجية اللغوية التي لم تكن تعانيها بقية اللغات، كانت تشطر أفكارنا وأحاسيسنا وحياتنا نصفين.

"لذلك كان لا بد من فعل شيء لإنهاء حالة الغربة التي كنا نعانيها.

وكان الحل هو اعتماد (لغة ثالثة) تأخذ من اللغة الأكاديمية منطقها وحكمتها، ورصانتها، ومن اللغة العامية حرارتها، وشجاعتها، وفتوحاتها الجريئة."

وفي هذا نسمع رأي الشاعر أدونيس فيقول: "كان منذ بداياته أي نزار الأكثر براعة بين معاصريه من الشعراء العرب، في الإمساك باللحظة التي تمسك بهموم الناس وشواغلهم الضاغطة، وبخاصة تلك المكبوتة والمهمشة، إلى أكثرها إيغالاً في الحلم وفي الحق بحياة أفضل.

أم الأستاذ برهان بخاري فيقسم التراث الشعري لنزار قباني من الناحية العروضية إلى ثلاثة أقسام: القسم الأول وهو ما كتبه متقيداً بشروط القصيدة التقليدية.

والقسم الثاني: هو ما خالف فيه شروط القصيدة التقليدية بتغيير حرف القافية فقط داخل القصيدة الواحدة.

أما القسم الثالث: فهو الذي تحرر فيه من شروط القصيدة التقليدية بما في ذلك التحرر من الالتزام بالصدر والعجز في البيت الواحد، وحافظ فيه على تفعيلة بحر معين ضمن القصيدة الواحدة.

أما الأستاذة مؤمنات الشامي فرأت في دراستها إلى "أن نزار قباني يُعدُّ من أنصار شعر التفعيلة المجددين فيه، أشعاره تسير بإيقاع سلس، رشيق، وسريع.

وتشير الدراسة إلى أن حركة الشعر الحر بدأت سنة 1947 في العراق، ومن العراق زحفت هذه الحركة، وامتدت حتى غمرت الوطن العربي كله.

هذا يدل على أن نزار لم يتأخر عن رعيله الأول في كتابته القصيدة الحرة، التي استمر في كتابتها إلى مرحلة التسعينيات والتي اعتمدها في نظمه.

يقول نزار: "إنني في شعري أحمل جنسيات العالم كله.. وأنتمي لدولة واحدة، هي دولة الإنسان".

لشعر نزار ترجمات للإنكليزية، والفرنسية، والإسبانية، والإيطالية، والروسية.

وقد قام المستشرق الإسباني بدرو مارتينيز بترجمة مختارات من شعر نزار

إلى اللغة الإسبانية، وقد صدرت هذه المختارات عن المعهد الثقافي الإسباني العربي تحت عنوان (أشعار حب عربية).

ويقول نزار بهذا الصدد: "في الواقع كنت مبهوراً بقدرة اللغة الإسبانية على نقل انفعالاتي وهواجسي بمثل هذه الدقة والصفاء.

بل لا أكون مبالغاً إذا قلت إن النص الإسباني لبعض القصائد كان يتفوق في جماليته وموسيقيته على النص العربي.

أما عن الترجمة الروسية لمجموعة منتخبة من قصائد نزار من مختلف دواوينه، فيذكر د. فالح الحمراني: "تضمن ديوان نزار بالروسية قصائد مثل: جسمك خارطتي، وبيروت حبيبتي، ومدرسة الحب، ورسالة من تحت الماء، وقارئة الفنجان، وقولي أحبك، ونهر الأحزان، وأشهد ألا امرأة إلا أنت، واختاري، وحارقة روما، وقصائد حب قصيرة جداً.."

وأدرج المستشرق الروسي دياكونوف الشاعر نزار قباني ضمن كوكبة الشعراء العرب المشهورين الذين أسسوا لانطلاقة الشعر الحديث ووضع مفهوم حديث للقصيدة العربية بعيداً عن المفهوم الكلاسيكي لها.

يقول نزار في سيرته الذاتية: "إن أخطر ما يقع فيه الشاعر هو السقوط في صمغ الطمأنينة، ومهادنة الأشياء التي تحيط به.

والشاعر الذي لا يعرف قشعريرة الصدام مع العالم يتحول إلى حيوان أليف، استؤصلت منه غدد الرفض والمعارضة.

إن بذور التحدي والرفض لدى الشاعر نزار قباني تعود عميقاً إلى طفولته الأولى، حيث يتحدث نزار عن رغبته في تحطيم الأشياء والألعاب عندما كان في سن العاشرة تقريباً، وأن هذه الرغبة كانت قد أتعبته وأتعبت أهله معه.

فإن عبرت عن شيء فهي تعبّر عن استيقاظ النزعة العدوانية الكائنة في صميم الكائن البشري.

وفي الواقع، كان شعر نزار السياسي تعبيراً صارخاً لرغبته القديمة في الطفولة في تحطيم الأشياء وكسرها.

لقد كان يريد تحطيم الواقع السياسي المرير ليخرج منه وعي جديد يتمثل بانتفاضة أو صحوة أو يقظة، وهذه اليقظة لا تحصل إلا من الداخل.

حتى شعر نزار الغزلي لم يخفِ إلى حد ما بذور الرفض والتحدي لواقع تغييب المرأة، والتعتيم الملقى عليها.

هكذا مجموعته الأولى "قالت لي السمراء" كانت في الواقع ردة فعل عنيفة على رياء المجتمع وقتها وازدواجيته المؤلمة.

وبالتالي فإن بذور التحدي والرفض كانت كامنة فيها، كما أنه استطاع أن يعبّر عن نفسه كما هي، فها نحن نسمعه يقول: "كنت أبحث باستمرار عن وجهي وصوتي بين ألوف الأوجه والأصوات، استعارة أصابع الآخرين وبصماتهم لم أحترفها، كنت أريد أن أكتب بأصابعي أنا.. وأترك على الورق بصماتي المميزة.

استطاع نزار منذ البداية أن يعثر على وجهه كما يصفها هو بنفسه، وينزع بالتالي من خلال قصائده سواء الغزلية أو السياسية الأقنعة التي يحاول البعض أن يضعوها على وجوههم في الأدب أو في السياسة أو في الدين أو في الأخلاق.

وتعتبر الانعطافه في مسيرته الشعرية على أثر هزيمة يونيو 67 حيث كانت ثمرتها قصيدته "هوامش على دفتر النكسة" التي كانت تعتبر البداية لتفجّر شعره السياسي الذي تناول فلسطين والعرب، ثم كتب فيما بعد "إلى بيروت الأنثى مع حبي" وقد صدرت هذه المجموعة عام 1978.

وجُمِعَت قصائد نزار السياسية فيما بعد في مجلدين، المجلد الأول وفيه اثنان وخمسون قصيدة تتناول مختلف القضايا التي تهم الواقع العربي قبل هزيمة يونيو وبعدها.

أما المجلد الثاني ففيه أربع مجموعات: المجموعة الأولى هي "قصائد مغضوب عليها"، وفيها عشرون قصيدة.

والمجموعة الثانية "تزوجتك أيتها الحرية" وتضم أربعين قصيدة، عالج فيها الشاعر موضوع الحرية المفقودة.

أما المجموعة الثالثة "الكبريت في يدي ودويلاتكم من ورق" ففيها أربع وعشرون قصيدة، وهو يهاجم فيها بعض الكتاب والشعراء العرب الذين جعلوا من مهنتهم حرفة يبيعون أقلامهم لمن يدفع لهم.

وأخيراً المجموعة الشعرية الرابعة "هوامش على الهوامش" وفيها ثماني قصائد.

وهناك قصائد سياسية قالها الشاعر بعد ذلك، ومن أشهرها المهرولون.

كذلك هناك قصيدته "المتنبي وأم كلثوم على قائمة التطبيع" وهي قصيدة يرفض فيها الشاعر كل محاولات التطبيع مع اسرائيل.

ومن آخر ما كتب نزار في شعره السياسي قصيدته التي يصف فيها مجزرة قانا، وتشير إلى نضج شعوري كبير للمعاناة الإنسانية في فلسطين.

من الجوائز والأوسمة العالمية التي نالها نزار قباني، وسام الاستحقاق الثقافي الإسباني عام 1964 وجائزة جبران العالمية التي قدمتها للشاعررابطة إحياء التراث العربي في سيدني بأستراليا. وميدالية التقدير الثقافي من الجمعية الطبية العربية الأميركية.

كذلك حصل على عضوية شرف في جمعية متخرجي الجامعة الأميركية في بيروت وجائزة سلطان بن علي العويس للإنجاز العلمي والثقافي في دبي، عام 1994.

ومن أشهر دواوينه (قالت لي السمراء) و(طفولة نهد) و(أنتِ لي وحبيبتي) و(الرسم بالكلمات) و(يوميات امرأة لا مبالية) و(قصائد متوحشة) و(كتاب الحب) و(أشعار خارجة على القانون) و(إلى بيروت الأنثى مع حبي) و(كل عام وأنتِ حبيبتي) و(أشهد أن لا امرأة إلا أنتِ) و(هكذا أكتب تاريخ النساء) و(الحب لا يقف على الضوء الأحمر) و(سيبقى الحب سيدي) و(لا غالب إلا الحب) و(دمشق ونزار قباني).

يعتبر الشاعر السوري الكبير نزار قباني من أهم الشعراء العرب في النصف الثاني من القرن العشرين.

وقد أدرجت العديد من قصائده في المناهج المدرسية لتنوع وتميز مدرسته الشعرية، حيث جمع في شعره كُلاّ من البساطة والبلاغة اللّتين تميزان الشعر الحديث وخاصة شعر نزار قباني، فأبدع في كتابة الشعر الوطني والغزلي، حيث أنه كتب الشعر الغزلي في المرأة وكتب الشعر السياسي، إذ تغزل في دمشق العريقة مدينة الياسمين كما يصفها.

قال النقاد عن نزار انه مدرسة شعرية وحالة اجتماعية وظاهرة ثقافية فأسماهُ حسين بن حمزة "رئيس جمهورية الشعر"، كما لقبّه "أحد آباء القصيدة اليومية" إذ قرّب الشعر من عامة الناس.

أما الأديب المصري أحمد عبد المعطي حجازي فوصف نزار بأنه "شاعر حقيقي له لغته الخاصة، إلى جانب كونه جريئًا في لغته واختيار موضوعاته، لكنه انتقد هذه الجرأة التي وصلت في المرحلة الأخيرة من قصائده "لما يشبه السباب" كما يصفها عبد المعطي.

إن أهم منجز لنزار قباني كما قال الشاعر الفلسطيني عزالدين المناصرة هو أنه (نقل موضوع الحب من الوصف الخارجي إلى موضوع خاص في الشعر العربي الحديث حيث لا يشبهه أحد).

وفي 30 ابريل من عام 1998 وافته المنية عن عمر يناهز 75 عاماً إثر أزمة قلبية ثانية داهمته، ولم تمهله طويلاً، ولفظ الشاعر أنفاسه الأخيرة بين يدي ابنتيه هدباء، وزينب.

وكانت وصيته: "أرغب أن ينقل جثماني بعد وفاتي إلى دمشق وأدفن في مقبرة الأهل، لأن دمشق هي الرحم الذي علمني الشعر وعلمني الإبداع وأهداني أبجدية الياسمين".

ويذكر الكاتب شمس الدين العجلاني: "يعود الشاعر إلى دمشق ملفوفاً بالعلم السوري بعد أن وافته المنية في منزله بلندن عن عمر يناهز 75 عاماً"

"لم تكن جنازة تلك التي عبرت شوارع دمشق، بل قافلة أكف وأفئدة وعيون تحتضن جثمان شاعرها الكبير.

(٣٧) الأديب مصطفى لطفي المَنْفَلُوطي

شخصيتنا هو أديب مصري، قام بالكثير من الترجمة والاقتباس لبعض الروايات الغربية الشهيرة بأسلوب أدبي فذ واستخدام رائع للغة العربية، أما كتاباه النظرات والعبرات فيعتبران من أبلغ ما كتب بالعربية في العصر الحديث، أنه الأديب مصطفى لطفي المَنْفَلُوطي.

ولد مصطفى لطفي المنفلوطي في منفلوط إحدى مدن محافظة أسيوط في سنة 1876م ونشأ في بيت كريم توارث اهله القضاء قرابة مائتي عام.

وسار المنفلوطى على نهج آبائه في الثقافة والتحق بكتاب القرية كالعادة المتبعة في البلاد وقتها فحفظ القرآن الكريم كله وهو دون الحادية عشرة ثم أرسله ابوه إلى الأزهر بالقاهرة تحت رعاية رفاق له من أهل بلده.

وقد أتيحت له فرصة الدراسة على يد الشيخ محمد عبده، وبعد وفاة أستاذه رجع المنفلوطى إلى بلده حيث مكث عامين متفرغا لدراسة كتب الادب القديم، حيث قرأ لابن المقفع والجاحظ والمتنبي وأبي العلاء المعري وكون لنفسه أسلوبا خاصا يعتمد على شعوره وحساسية نفسه.

المنفلوطي من الأدباء الذين كان لطريقتهم الإنشائية أثر في الجيل الحاضر، فقد كان يميل إلى مطالعة الكتب الأدبية كثيراً.

ولزم الشيخ محمد عبده فاستفاد منه، وسجن بسببه ستة أشهر لقصيدة قالها في الخديوي عباس حلمي وكان على خلاف مع محمد عبده.

ونشر في جريدة المؤيد عدة مقالات تحت عنوان النظرات، وتولى أعمالاً كتابية في وزارة المعارف وأمانة سر الجمعية التشريعية، ثم في أمانة سر المجلس النيابي.

يقول الأديب الناقد حسن الزيات في كتابه تاريخ الأدب العربي عن المنفلوطي إنه كان مؤتلف الخلق، متلائم الذوق متناسق الفكر متسق الأسلوب ، منسجم الزي وكان صحيح الفهم وسليم الفكر.

وقال عنه محمد عبدالفتاح في كتابه "أشهر مشاهير أدباء الشرق" ان المنفلوطي وطنّي يتهالك وجداً على حب وطنه ويذري الدمع حزناً عليه وعلى ما حل به.

فالمنفلوطي ليس له حزب خاص ينتمي اليه ولا جريدة خاصة يتعصب لها وليس بينه وبين جريدة من الجرائد علاقة خاصة حتى الجرائد التي كان يكتب فيها رسائله فلم يكن بينه وبينها أكثر مما يكون بين أي كاتب يكتب فيها.

ولاقت روايات المنفلوطي وكتبه الأدبية شهرة واسعة في جميع الأقطار العربية فطبعت مرات متعددة وتهافت الناس من كل الأعمار والأجناس على قراءتها.

لكن صاحبها لم يسلم من النقد ومن ألسنة النقاد وأقلامهم إذ انقسم الناس حوله بين مؤيد ومعارض، وهذا شأن جميع الكبار في ميادين الأدب والفن والسياسة وغيرها.

أما الأديب اللبناني عمر فاخوري فكان أشد الناس قسوة على المنفلوطي فقد قال: إن مذهبه الأدبي غامض وآراءه في صنعة الأدب مبهمة.

الى جانب هذا النقد الجارح اتفق مؤيدوه على ان انشاءه فريد في اسلوبه وأن ما كتبه كان له الأثر الكبير في تهذيب الناشئة أخلاقاً ولغة وسلوكاً.

فالدكتور طه حسين يقول إنه كان يترقب اليوم الذي تنشر فيه مقالات المنفلوطي الأسبوعية في جريدة المؤيد ليحجز لنفسه نسخته منها وكان يقبل على قراءتها بكل شغف.

ولقد أجمع الذين عرفوا المنفلوطي وعاشروه على أنه متحل بجميع الصفات التي كان يتكلم عنها كثيراً في رسائله وأن أدبه النفسي وكرم أخلاقه وسعة صدره وجود يده وأنفته وعزة نفسه وعطفه على المنكوبين والمساكين ورقة طبعه ودقة ملاحظاته ولطف حديثه إنما هي ذات الصفات التي تجدها في كتبه ورسائله لا تزيد ولا تنقص شيئاً.

وقد قال عنه العقاد إنه أول من أدخل المعنى والقصد في الإنشاء العربي، وأوصى طلابه بقراءة كتب المنفلوطي.

وقال عنه أحمد عبيد في كتابه مشاهير شعراء العصر المنفلوطي أحد شعراء الأمة العربية وكتّابها، ومن أعظم أركان النهضة الأدبية المعاصرة الذين ساعدوا على رفعة شأن الأدب العربي، وهو صاحب القلم البديع الجذاب المتفوّق في جميع الأغراض والمقاصد حتى سمي بحق "أمير البيان".

أما حافظ ابراهيم، فيقول: المنفلوطي حسن الديباجة، منسجم الكلام، رقيق المعنى، كما مدحه محمد إمام قائلا: شاعر انقادت له القوافي الشاردة.

وقال عنه ولي الدين يكن ان مصطفى لطفي المنفلوطي رجل من كبار كتاب القلم في زماننا ، فهو من كتاب الطبقة الأولى، وشعراء الطبقة الثانية.

ولبيان مدى التناقض في (نقد) أدب المنفلوطي، نرى من سماه (أديب الحزن والبكاء) وعلى النقيض نرى من يصفه بـ (أمير البيان).

كان يميل في نظرياته إلى التشاؤم، فلا يرى في الحياة إلا صفحاتها السوداء، فما الحياة بنظره إلا دموع وشقاء، وألف كتاب (الأربعون) حين بلغ الأربعين من عمره، وقد تشاءم فيها من هذا الموقف، وكأنه ينظر بعين الغيب إلى أجله القريب.

للمنفلوطي أعمال أدبية كثيرة اختلف فيها الرأي وتدابر حولها القول وقد بدأت أعماله تظهر للناس من خلال ما كان ينشره في بعض المجلات الإقليمية كمجلة الفلاح والهلال والجامعة والعمدة وغيرها.

ثم انتقل كما ذكرنا إلى أكبر الصحف وهي "المؤيد" وكتب مقالات بعنوان نظرات جمعت في كتاب تحت نفس الاسم على ثلاثة أجزاء.

الذي يضم مجموعة من مقالاته في الأدب الاجتماعي، والنقد، والسياسة، والإسلاميات، وأيضا مجموعة من القصص القصيرة الموضوعة أو المنقولة، جميعها كانت قد نشرت في جرائد، وقد بدأ كتابتها منذ العام 1907.

واتسمت مترجمات المنفلوطي بالتعريب، فلم يكن يكتفي بالترجمة فقط، فكان عندما يترجم عملاً كأنه يعيد تأليفه من جديد.

لم يكن المنفلوطي يجيد الفرنسية بل كلف بعض الأصدقاء بأن يقوموا بترجمة بعض الأعمال ثم يقوم هو بإعادة كتابتها كأنه يؤلفها من جديد ويمزجها بالواقع المصري والعربي مزجا مؤثرا.

واختار المنفلوطي الأعمال المعنية بالعدالة والفضيلة والانتصار للفقراء ومن هذه الأعمال قصة بول وفرجيني (لبرناردين دي سان بير) وسماها الفضيلة، ورواية ماجدولين.

أو تحت ظلال الزيزفون لألفونس كار، وايضا رواية الشاعر لأدموند روستان، وكذلك رواية في سبيل التاج لفرانسوا كوبيه.

وقد جمع المنفلوطي هذه الأعمال في عمله الكبير "العبرات" وهو العمل الذي حقق نجاحا كبيرا له، وجعل للمنفلوطي مكانة متقدمة في الحياة الأدبية المصرية والعربية.

فالعبرات يضم تسع قصص، ثلاثاً وضعها المنفلوطي وهي: اليتيم، والحجاب، والهاوية. وواحدة مقتبسة من قصة أمريكية اسمها صراخ القبور، وجعلها بعنوان العقاب.

بالإضافة إلى خمس قصص ترجمها المنفلوطي وهي : الشهداء، والذكرى، والجزاء، والضحية، والانتقام وقد تم طباعته في عام 1916.

كما له العديد من المؤلفات الأخرى ومنها كتاب "محاضرات المنفلوطي" وهي مجموعة من منظوم ومنثور العرب في حاضرها وماضيها جمعها بنفسه لطلاب المدارس وقد طبع من المختارات جزءاً واحد فقط.

بالإضافة إلى كتاب (مختارات المنفلوطي)، وهي مختارات شعرية ونثرية انتقاها المنفلوطي من أدب الأدباء العرب في مختلف العصور.

ومن أقوال المنفلوطي عن حبه للكتاب، لم تكن ساعة من الساعات أحب إليّ ولا آثر عندي من ساعةٍ أخلو فيها بنفسي وأمسك على بابي ثم أسلم نفسي إلى كتاب فيُخيل إلي أني قد انتقلت من هذا العالم الذي أنا فيه إلى عالم آخر من عوالم التاريخ الغابر، فأشهد بعيني تلك العصور الجميلة، عصور العربية الأولى.

مرت أكثر من تسعين عاماً على وفاة أديبنا الكبير (مصطفى لطفي المنفلوطي) الكاتب الذي ألهب برواياته الممتلئة بالشفافية والرومانسية إلى حد الإفراط مشاعر المراهقين والمراهقات لعقود عبر روايات مترجمة أعاد صياغتها بطريقة رومانسية.

وكان قد أصيب بشلل بسيط قبل وفاته بشهرين، فثقل لسانه منه عدة أيام، فأخفى نبأه عن أصدقائه، ولم يجاهر بألمه، ولم يدع طبيباً لعيادته، لأنه كان لا يثق بالأطباء.

توفي الأديب في عام (1924م) عن عمر يناهز الثانية والخمسون عاماً تقريباً، وكانت وفاته في اليوم الذي جرت فيه محاولة اغتيال فاشلة لسعد زغلول حيث نجا من تلك المحاولة ولكنّه أصيب إصابة بالغة، فانشغل الناس بتلك الحادثة ولم يلتفتوا كثيراً لوفاة المنفلوطي، ولقد رثاه "حافظ إبراهيم" و"أحمد شوقي" في مأتم أقيم في وقت لاحق، وقد أشار إلى ذلك أحمد شوقي:

اخترت يوم الهول يوم وداع... ونعاك في عصف الرياح الناعي

هتف النعاة ضحى فأوصد دونهم... جرح الرئيس منافذ الأسماع

من مات في فزع القيامة لم يجد... قدما تشيع أو حفاوة ساع

ما ضر لو صبرت ركابك ساعة... كيف الوقوف إذا أهاب الداعي؟؟

(٣٨) الشاعر فهد العسكر

شخصيتنا هو الشاعر الكويتي المعروف فهد العسكر الذي ولد في عام 1917م، في المنطقة التي كانت تسمى "سكة عنزة"، حيث كان تجمع الأغنام فيها صباحاً، ليسرح بها راعي الغنم ويعود بها في المساء.

يرجع نسبه إلى قبيلة "عنزة"، فأجداده من "نجد" فقد كان جده "محمد" تاجر غنم، وإبل، كثير التنقل بين الرياض، والكويت.

وقد ترعرع الشاعر فهد العسكر في مجتمع محافظ متدين، لكنه حاول أن يتمرد بشعره على العادات التي كان يعتبرها عادات خاطئة.

درس فهد في المدرسة "المباركية"، أول مدرسة نظامية في الكويت، تتلمذ على يد أساتذة أجلّاء، منهم الشيخ "عبد الله النوري"، وقد قرأ دواوين الشعر العربي مبكراً.

ونشأ كما ذكرنا في بيت محافظ شديد المحافظة على العادات والتقاليد، وكان والداه متدينين، فشب فهد متديناً أشد التدين.

لكن بعد أن تمرد الشاعر فهد العسكر على الأعراف والعادات الاجتماعية، تم اتهامه بالكفر والفسق والخروج على التقاليد والعادات السائدة حتى نبذه الجميع، وظلت والدته تواصله وتمده بكل ما يحتاج.

فقد كانت تلك الأقاويل تؤلمها وتشكل لها غصة في صدرها، وقد أصيب بالعمى بعد ذلك وانتهى به المطاف إلى غرفة متواضعة كأنها زنزانة حبس بها نفسه محاطاً بظلمتها ومحاصراً بمرضه حتى شبهه البعض بالشاعر أبي العلاء المعري (رهين المحبسين).

يعد فهد العسكر في طليعة شعراء الكويت المجددين في الشعر وقد أثرت حياته التي كانت عبارة عن سلسلة من الآلام والأحداث على شعره ونبهت إحساسه وأرهقت مشاعره وأقلقت نفسيته وجعلته حاد العاطفة.

ومن يقرأ شعره يحس بمرارة الأيام وقسوة الحياة التي كان يحس بها الشاعر لذلك عاش حزيناً محبطاً، وقد غادر الحياة وهو لا يزال بالبؤس وشعره مليء بالشقاء والعناء والحرمان والغربة والوحدة التي كان يشعر بها.

فبعد أن فقد بصره واتهم بالزندقة والإلحاد جفاه الأهل والأقارب والمجتمع بكل شرائحه على الرغم من لهفتهم لقراءة شعره الذي طالما غنى فيه فأطرب وناح فأبكى وأنشد فأعجب.

فهد العسكر مدرسة أدبية ذات فكر متحرر لا تؤمن بالأوضاع الموروثة وتتجه نحو التجديد في الشعر الذي عبر فيه عن سخطه على متطلبات الدنيا وانتقاده للأعراف والمجتمع الذي عاش فيه وصار منبوذاً ومات وهو يعاني الشؤم والحرمان.

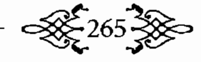
وتضمنت قصائده الشكوى من الناس ومما يعاني من وحدة اضطر إليها وأجبر إجباراً عليها ولو قرأنا قصيدة «شهيق وزفير» التي نظمها عام 1946م قراءة واعية نرى مدى ما يعانيه من ضيق وبؤس وحرمان.

فهو قيثارة شعرية، مترعة شجناً، ومفعمة ألماً وحزناً وأسىً، فقد كان شعره صدى عميقاً لتقلبا ت حياته الحادة.

الشاعر فهد العسكر.. اسم إشكالي بحدّ ذاته، ومثار اختلاف، تتصارع حوله الآراء، وتتشابك الخطوط، فيتداخل الشخصي والذاتي بالأدبي والفكري بالاجتماعي.

ولعل ما يزيد الأمر تعقيداً، هو طبيعة المرحلة التي عاش فيها الشاعر، من ضيق أفق، وأن الناس يعرفون بعضهم بشكل جيد، ويرون بعضهم بعيون مفتوحة للآخر.

لقد سار فهد العسكر على خط التنوير، فسبق زمنه، وجيله، وواقعه، فهو وأمثاله لم يتكيّفوا مع أوضاع المجتمع، ولم ينتظروا نضوج الظروف الموضوعية، وسياقات التطور المجتمعي الطبيعي التاريخي، فانقطعوا عن الجموع، واحتار المجتمع في توصيفهم فاختار لهم صفات قاسية، مدمرة اجتماعياً، تتراوح بين الكفر، والإلحاد.



ولعل أخطر ما في هذه السياقات، سهولة إطلاق التهم، التي شكلت معاناة حقيقية للشاعر.

وربما كان الرجل يتمتع بشيء من التحرر الفكري، يطلق معه العنان لعقله، يفكر، يتأمل.. يشك.. ربما كان متحرراً إلى حد ما من القيود التي فرضتها البيئة بكل صرامة.

قال الشعر مبكراً، وقد كتب قصيدة مدح فيها الملك "عبد العزيز"، غناها المطرب الكويتي المشهور "عبد اللطيف الكويتي"، ولمّا وصلت القصيدة إلى أسماع الملك، دعاه إلى زيارة الرياض.

بدأ فهد يتردد على مكتبة الكويت الأولى "مكتبة ابن رويّح"، وكان يستعير منها الكتب، ويقرأ بنهم.

فحصل لديه نوع من التغيّر في أفكاره، وأخذت نظرته إلى الحياة تتغير، وبدأ تشدده في الدين يضعف، ويضعف شيئاً فشيئاً إلى أن تحول كلياً في تفكيره وفي نظرته إلى الحياة، وإلى العادات، والتقاليد الموروثة.

لقد أغرق فهد في الكتب التي تحمل طابع التحرر، وتُعرض أفكار المفكرين من أدباء، وفلاسفة في الشرق، والغرب، فأخذت روح التدين، تضمحل عنده، وبدأ يتخلى عن تعصبه الشديد، وتدينه.

وبدأ يضمّن شعره بعض آرائه في الدين، والحياة، فيأتي بأفكار تحررية، لم يعهدها الناس عنده.

بدأ فهد، وكأنه يغرّد خارج السرب، هو ماض في طريق اختاره، فضاق الجميع به، وهو يضرب عرض الحائط بكل ما يصدر عنهم.

لقد تحدى أفكارهم، وآراءهم، فرأوا فيه ابناً عاقاً، انحرفت بعقله الكتب الحديثة، والآراء المتطرفة، والشعر الماجن، فانجرف وراءها.

لكنه ما لبث أن شعر بوطأة الاتهامات التي كالوها له، فعبّر عن المشهد في قصيدته الشهيرة "شهيق وزفير".

إنه يشكو شكوى مريرة، ويبدي ضيقه، وبرمه من خصومه، عبّر عنه باسم الفعل "أفٍّ" المفعم توجعاً، وألماً، لقد نفّس عن مكنونات صدره، واحتقاناته، فزفر "أفٍّ" ليفرغ تلك الشحنات، وذلك الأسى.

ومن أجل التأكيد على المضمون لمن فاته شيء من دلالات "أفٍّ"، أتى بـ"كم ضايقوني" إنه يخبر بـ"كم" عن كثرة ما ضايقوه، ونكدّوا عليه عيشه، ورموه بالثقيل من التهم، من "الشذوذ" و"الجنون" و"الخلاعة"، و"المجون"، و"الكفر".

لم يستسلم فهد، ودافع عن نفسه، وهو قَدْ دفع أكبر التهم عن نفسه، وهي تهمة "الكفر"، ولعلّه قَدْ رأى لهجوماتهم أسباباً أخرى.

هكذا يرى الشاعر فهد العسكر المسألة، فهي مسألة اجتماعية المضمون، وإنه يؤكد على المضمون الاجتماعي للحملة العنيفة عليه.

وقد عبّر عن ذلك بصورة كنائية بديعة في قصيدة "حرق البخور في الدواوين"، فقد لخص فهد الإشكالية، وظل يدفع عن نفسه التهم، لكن الأمواج المتدافعة نحوه، والمتلاحقة فيما يبدو.. كانت عاتية، قَدْ طغت على سبّاح في مثل قدرات فهد، وإمكاناته، فشعر بالضيق والتشرد والضياع.

ويعرف المجتمع الكويتي ما يسمى بالديوانية، وهي ذات أغراض متعددة، اجتماعيّة، ثقافية أدبية، وحتى سياسية واقتصادية.

وهي جزء أصيل في بنيوية المجتمع الكويتي، وقد كانت لفهد ديوانيته، ومجلسه الخاص الذي هو أقرب ما يكون إلى المنتدى الأدبي يرتاده نخبة من أدباء الكويت ومثقفيه، يتبادلون الشعر والأدب كشكل من أشكال المثاقفة، يسمعون من فهد، ويسمعونه، وتدور الحوارات، وتحتدم المناقشات حول ما ينشد من إبداعات.

لقد كان مجلسه مدرسة للحرية وعقولاً متفتحة رافضة لكل انغلاق أو جمود، يتنسم مرتادوه فضاءات التنوير، والحرية ويطّلعون على الآراء، والمذاهب الحديثة، وربما كان هذا المنتدى هو الوحيد في زمانه.

لقد كان لمنتدى العسكر، الفضل في تخريج بعض الشعراء، ولعل مما يحسب له أيضاً أن بعض رواده، كانوا المرجع لشعر فهد، عندما انعدمت المراجع أو كادت تنعدم.

لم يتعرض أديب من اتهامات وانتقادات وهجوم، مثلما تعرض له فهد، سواء فيما يتعلق بحياته، أو فيما يتعلق بشعره.

ازدادت الهوة اتساعاً بين الشاعر، وذويه، وأهله، ومجتمعه.. لقد اعتبروه ابناً عاقاً، خرج على قوانينهم، وتحدى آراءهم، وأفكارهم، وتقاليدهم، وعندما يئسوا من إصلاحه، وردعه.. حكموا عليه بالإبعاد.

فما إن علم بعض أقاربه بانتقاله إلى الرفيق الأعلى، حتى انقضّوا على آثاره الشعرية، وأتلفوها، ولولا المنشور هنا وهناك ولولا المتناثر بيد الأصفياء من الأصدقاء لضاع شعر الرجل ولطمست موهبة شعرية، واندثرت تجربة جديرة بالانبعاث، والدراسة، والبحث.

ولعل أكثر المهتمين بالشاعر، وبشعره المتناثر، الأديب الكويتي الفاضل "عبد الله زكريا الأنصاري" والذي كان من أصدقاء الشاعر المقرّبين، وقد قام بجهد استثنائي من أجل جمع شعر العسكر.. فكان كمن يجمع أشلاء صورة ممزقة.. نثرت في مهب الريح.

لقد تكالبت الظروف على الشاعر عزلةً ونبذاً واعتزالاً.

تسلل المرض العضال إلى رئتي الشاعر فهد العسكر، وبدأ الشاعر الممتلئ عناداً، وإصراراً على مواقفه ينهار.

فنقله أخوه إلى بيته، ثم إلى المستشفى الأميري، يصارع المرض، وينتظر ساعة الراحة الأبدية، حتى أسلم الروح إلى بارئها في 15/8/1951 .

ولعل من المفارقات العجيبة، أنه لم يصلِّ عليه سوى خمسة أشخاص من بينهم إمام مسجد "المديرس" وقد حمله أولئك إلى مثواه الأخير، ودفنوه..

هكذا قضى الشاعر فهد العسكر وحيداً، لم يترك من متاع الدنيا شيئاً كلّ ما تركه ثروة أدبية متناثرة ومبعثرة.

لقد عاش فهد حياة كئيبة، بائسة بسبب أفكاره، ورؤاه، وخروجه على تقاليد مجتمعه.. فدفع الثمن باهظاً، نبذاً وعزلةً.

كان الشعر متنفس فهد، ومجال التفريغ العاطفي، والنفسي، والفكري لديه.

ضمّن شعره بعض آرائه في الدين، والحياة، وأتى بأفكار تحررية، حتى تشبعت روحه بالحرية الفكرية، والثورة على التقاليد والعادات، والسير بالشعر إلى الحرية المطلقة التي لا تعترف بالقيود التي تحدّ من حرية القول.

أصرّ فهد على التشبث بالحرية التي اعتقد أنه ملكها، فضحى بكل عرض الدنيا من أجلها، فاعتزله الناس وهجرهم.

كتب فهد في أغراض الشعر المتعددة، لكن نغمة الشكوى، والألم والإحباط، هي الأبرز حيث إنَّها تحتلّ مساحة مهمة من شعره وقصيدة "شهيق وزفير" منفوحة بخصوصية، وفرادة في المشهد الشعري عنده.

كان الشاعر فهد العسكر رقيق الإحساس، مرهف الشعور جياش العاطفة، مرّ بتلقبات حادة في حياته من تدين قوي إلى تحرر منطلق من جميع القيود.

فهو قد كان قيثارة شعرية مترعة شجناً وقلقاً وألماً.

(٣٩) الكاتب أحمد حسن الزيات

شخصيتنا يعتبر من كبار رجال النهضة الثقافية في مصر والعالم العربي، ومؤسس لمجلة الرسالة، وقد اختير عضوا في المجامع اللغوية في القاهرة، ودمشق، وبغداد، وحاز جائزة الدولة التقديرية في الآداب في مصر، انه الكاتب المصري أحمد حسن الزيات.

شهدت مصر في النصف الأول من القرن الرابع عشر الهجري نهضة أدبية وفكرية، شملت كل فنون الأدب وألوان الفكر، وازدانت الحياة بكوكبة من فحول الشعراء، وكبار الكُتّاب، وأئمة اللغة والبيان، وقادة الرأي والتوجيه، ودعاة التربية والإصلاح، وجهابذة الفقه والقانون، ونجوم الصحافة والأدب.

واجتمع لها من هؤلاء الأعلام ما لم يجتمع لها في قرون طويلة، منذ أن أصبحت مصر إسلامية الوجه، عربية اللسان.

وكان أحمد حسن الزيات واحدًا من هذه الكوكبة العظيمة التي تبوأت مكان الصدارة في تاريخ الثقافة العربية، فدخوله إلى هذه الكوكبة يرجع إلى بيانه الصافي، وأسلوبه الراقي، ولغته السمحة، وبإصداره مجلة "الرسالة" ذات الأثر العظيم في الثقافية العربية.

ولد الكاتب أحمد حسن الزيات في الثاني من إبريل 1885م، ونشأ في أسرة متوسطة الحال، تعمل بالزراعة، وكان لوالده نزوع أدبي، وتمتّعت أمه بلباقة الحديث.

تلقى الزيات تعليمه الأوّلي في كُتّاب القرية، وهو لا يزال صغيراً في الخامسة من عمره، فتعلم القراءة والكتابة، وأتمّ حفظ القرآن الكريم وتجويده، ثم أرسله أبوه إلى أحد العلماء في قرية مجاورة، فتلقى على يديه القراءات السبع وأتقنها في سنة واحدة.

التحق الزيات بعد ذلك بالجامع الأزهر وهو في الثالثة عشرة من عمره، وكانت الدراسة فيه مفتوحة لا تتقيد بسن معينة، أو تلزم التلاميذ بالتقيد بشيخ محدد، إنما كان الطلاب يتنقلون بين الأساتذة، يفاضلون بينهم.

وظل الزيات بالأزهر عشر سنوات، تلقى فيها علوم الشريعة والعربية، غير أن نفسه كانت تميل إلى الأدب، بسبب النشأة والتكوين، فانصرف إليه بشكل كامل.

وتعلق بدروس الشيخ "سيد علي المرصفي" الذي كان يدرّس الأدب في الأزهر، ويشرح لتلاميذه "حماسة" أبى تمام، وكتاب "الكامل" للمبرّد، كما حضر شرح المعلقات للشيخ محمد محمود الشنقيطي، أحد أعلام اللغة البارزين.

وفي هذه الأيام اتصل بطه حسين، ومحمود حسن الزناتي، وربطهم حب الأدب برباط المودة والصداقة.

فكانوا يترددون على دروس المرصفي الذي فتح لهم آفاقاً واسعة في الأدب والنقد، وأثّر فيهم جميعاً تأثيراً قوياً، وكانوا يقضون أوقاتاً طويلة في "دار الكتب المصرية" لمطالعة عيون الأدب العربي، ودواوين فحول الشعراء.

لم يستكمل الثلاثة دراستهم بالجامع الأزهر، والتحقوا بالجامعة الأهلية التي فتحت أبوابها للدراسة في سنة 1908م وكانت الدراسة بها مساء.

وتتلمذوا على نفر من كبار المستشرقين الذين استعانت بهم الجامعة للتدريس بها، من أمثال: نللينو، وجويدي، وليتمان.

وكان الزيات في أثناء فترة التحاقه بالجامعة يعمل مدرساً بالمدارس الأهلية، وفي الوقت نفسه يدرس اللغة الفرنسية التي أعانته كثيراً في دراسته الجامعية حتى تمكن من نيل إجازة الليسانس سنة 1912م.

التقى الزيات وهو يعمل بالتدريس في المدرسة الإعدادية الثانوية في سنة 1914م بعدد من زملائه.

وكانوا بعد ذلك قادة الفكر والرأي في مصر، مثل: العقاد، والمازني، وأحمد زكي، ومحمد فريد أبو حديد، وقد أتيح له في هذه المدرسة أن يسهم في العمل الوطني ومقاومة الاستعمار.

فكان يكتب المنشورات السرية التي كانت تصدرها الجمعية التنفيذية للطلبة في أثناء ثورة 1919م، وكانت تلك المدارس من طلائع المدارس التي أشعلت الثورة وقادت المظاهرات.

وظل الزيات يعمل بالمدارس الأهلية حتى اختارته الجامعة الأمريكية بالقاهرة رئيسًا للقسم العربي بها في سنة 1922م.

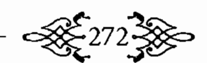
وفي أثناء ذلك التحق بكلية الحقوق الفرنسية، وكانت الدراسة بها ليلاً، ومدتها ثلاث سنوات، أمضى منها سنتين في مصر، وقضى الثالثة في فرنسا حيث حصل على ليسانس الحقوق من جامعة باريس في سنة 1925.

وظل بالجامعة الأمريكية حتى اختير أستاذًا في دار المعلمين العالية ببغداد عام 1929م، ومكث هناك ثلاث سنوات، حفلت بالعمل الجاد، والاختلاط بالأدباء والشعراء العراقيين، وإلقاء المحاضرات.

وبعد عودة الزيات من بغداد سنة 1933م هجر التدريس، وتفرغ للصحافة والتأليف، وفكّر في إنشاء مجلة للأدب الراقي والفن الرفيع، بعد أن وجد أن الساحة قد خلت باختفاء "السياسة" الأسبوعية التي كانت ملتقى كبار الأدباء والمفكرين، وذات أثر واضح في الحياة الثقافية بمصر، وسانده في عزمه أصدقاؤه من لجنة التأليف والترجمة والنشر.

وفي 15 من يناير 1933، ولدت مجلة الرسالة التي كانت أعدادها تنفد على الفور.

ويعد الزيات صاحب مدرسة في الكتابة، وأحد أربعة عُرف كل منهم بأسلوبه المتميز وطريقته الخاصة في الصياغة والتعبير، والثلاثة الآخرون هم: مصطفى صادق الرافعي، وطه حسين، والعقاد، ويوازن أحد الباحثين بينه وبين العقاد وطه حسين، فيقول: "والزيات أقوى الثلاثة أسلوباً، وأوضحهم بيانًا،



وأوجزهم مقالة، وأنقاهم لفظًا، يُعْنى بالكلمة المهندسة، والجملة المزدوجة، وعند الكثرة الكاثرة هو أكتب كتابنا في عصرنا".

وقد عالج الزيات في أدبه كثيرًا من الموضوعات السياسية والاجتماعية.

فقد أخرج للمكتبة العربية عددًا من الكتب، منها كتابه "تاريخ الأدب العربي" الذي صدر سنة 1916م، ثم أصدر "في أصول الأدب" سنة 1934م، و"دفاع عن البلاغة" سنة 1945م وهو كتاب في النقد الأسلوبي، قصره الزيات على بيان السمات المثلى للأسلوب العربي.

ثم جمع الزيات مقالاته وأبحاثه التي نشرها في مجلته، وأصدرها في كتابه "وحي الرسالة" في أربعة مجلدات، أودعها تجاربه ومشاهداته وانفعالاته وآراءه في الأدب والحياة والاجتماع والسياسة.

ولم يكن التأليف وكتابة المقالة الأدبية هما ميدانه، بل كان له دور في الترجمة الراقية، ذات البيان البديع، فترجم من الفرنسية "آلام فرتر" لجوته سنة 1920م، ورواية "روفائيل" للأديب الفرنسي لامرتين، وذلك في أثناء إقامته بفرنسا سنة 1925م.

وقد عاش بعيدًا عن الانتماءات الحزبية، فلم ينضم إلى حزب سياسي يدافع عنه، مثل العقاد وهيكل وطه حسين، ولم يدخل في خصومه مع أحد، ولم يشترك في المعارك الأدبية التي حفلت بها الحياة الثقافية في مصر.

وظل الزيات محل تقدير وموضع اهتمام حتى لقي ربه بالقاهرة في صباح الأربعاء الثاني عشر من مايو عام 1968م عن ثلاثة وثمانين عامًا.

(٤٠) الشاعر أحمد زكي أبو شادي

شخصيتنا هو أحمد زكي أبو شادي وهو شاعر وطبيب مصري مؤسس مدرسة أبولو الشعرية التي ضمت شعراء الرومانسية في العصر الحديث والذي كان يعمل وكيلا لكلية الطب، ثم هاجر إلى الولايات المتحدة الأمريكية، وبقي هناك حتى وفاته.

ولد أحمد زكي بن محمد حسين عاكف في السويس في الخامس من أبريل عام 1894م، وهو أكبر أشقائه، وكان له شقيقان وثلاث شقيقات.

وجد أحمد زكي عناية من والده الذي كان رجلا مثقفا جمع مكتبة كبيرة وكان أيضا على صلة بالشيخ محمد عبده.

فألحق ابنه بالكتاب لفترة قصيرة، ثم التحق بمدرسة السويس الابتدائية، ثم لما انتقل أبوه إلى القاهرة التحق بمدرسة أم عباس الابتدائية، وظل بها حتى أتم المرحلة الابتدائية سنة 1907م.

والتحق بعد ذلك بالمدرسة التوفيقية الثانوية، ومنها نال الشهادة الثانوية سنة 1911م، وكان ترتيبه الثالث عشر على جمهورية مصر.

التحق أحمد زكي بعدها بمدرسة المعلمين العليا، وزامل فيها عددا من الطلاب شاء لهم القدر أن يكونوا من أعلام النهضة الفكرية والأدبية.

فقد كان من بينهم محمد فريد أبو حديد الأديب الكبير، ومحمد عوض محمد الجغرافي المميز، ومحمد شفيق غربال مؤسس المدرسة التاريخية المصرية الحديثة، وعبد الحميد العبادي المؤرخ الكبير، وأحمد عبد السلام الكرواني أول من درس الطيران وهندسته، ومحمد بدران شيخ المترجمين العرب في العصر الحديث.

وهذه المجموعة الطيبة اشتركت -وهي على وشك التخرج في مدرسة المعلمين وقتها- في تأليف "لجنة التأليف والترجمة والنشر" وهي التي صارت بعد ذلك أعظم مؤسسة أهلية قامت على النشر في مصر، ولا تزال مطبوعاتها

عنوان الجودة والإتقان والتميز، وأثّرت الحياة الفكرية بزاد ثقافي لا يزال أثره قائما حتى الآن.

وقد اختارت اللجنة الوليدة كتابا مدرسيا ليكون باكورة إنتاجها، وعهدت إلى كل من أحمد زكي وأحمد الكرواني ليترجما كتاب "مبادئ الكيمياء" ليكون مرجعا للطلاب.

وبعد التخرج عمل مدرسا بالسعيدية الثانوية، ثم ألغي التعيين بسبب اندلاع الحرب العالمية الأولى، ثم رشح للسفر في بعثة إلى إنجلترا لاستكمال تعليمه، لكنه حرم منها بسبب رسوبه في الكشف الطبي.

لم يجد أحمد زكي بدا من العمل في ميدان التدريس، فاشتغل مدرسا بالمدرسة الإعدادية الثانوية، وهي مدرسة غير حكومية تم إنشاؤها في العقد الثاني من القرن العشرين بأحد أحياء القاهرة.

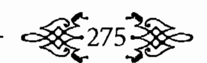
وقام بالتدريس فيها عدد كبير من نوابغ المدرسين ممن ضاقت عنهم مدارس الدولة بسبب الحرب العالمية الأولى، ومن بين هؤلاء عباس محمود العقاد، وأحمد حسن الزيات، ومحمد فريد أبو حديد، وغيرهم من أعلام الفكر والأدب.

ثم اختير ناظرا لمدرسة وادي النيل الثانوية بباب اللوق بالقاهرة، وكان صاحبها هو والد الفنان الكبير يوسف وهبي، وتقوم مكانها اليوم المدرسة الألمانية.

وفي سنة 1919م استقال من وظيفته وتوجه إلى إنجلترا على نفقته الخاصة طلبا للتخصص في الكيمياء التي لم تكن للمصريين في نهضتهم الحديثة إلى ذلك اليوم عهد بها، وكانت شيئا مجهولا.

وهناك التحق بجامعة "نوتنجهام" التي زامله فيها العالم الكبير "علي مصطفى مشرفة" و"محمد أحمد الغمراوي" ثم تركها إلى جامعة ليفربول.

ونجحت مساعيه في أن تلحقه الدولة ببعثتها الرسمية، ثم حصل على شهادة بكالوريوس العلوم من ليفربول سنة 1923م، وبعد ذلك بعام حصل على الدكتوراه في فلسفة الكيمياء.



ثم انتقل إلى جامعة مانشستر لمواصلة البحث العلمي، فأمضى بها عامين، ثم التحق بجامعة لندن، ومكث بها عامين آخرين.

توجها بعد ذلك بحصوله على درجة الدكتوراه في العلوم سنة 1928م وهي أرفع الدرجات العلمية التي تمنحها الجامعات، وكان ثالث مصري يحصل على هذه الدرجة الرفيعة.

وبعد رجوعه من إنجلترا عين أستاذا مساعدا للكيمياء العضوية في كلية العلوم، ثم تم ترقيته أستاذا بها سنة 1930م، ليكون أول أستاذ مصري في الكيمياء.

ثم رشح نفسه لعمادة كلية العلوم سنة 1936م في انتخاب أول عميد مصري ففاز بأغلبية الأصوات، لكنه لم يعين بسبب الأهواء الحزبية.

وحين شغر منصب مديري مصلحة الكيمياء في سنة 1936م وكان يشغله أجنبي، عين أحمد زكي مديرا لها ترضية له؛ بسبب ما حدث في انتخابات العمادة، وفي الوقت نفسه لم يكن هناك أكفأ منه يصلح لهذا المنصب.

فقد نهض أحمد زكي بمصلحة الكيمياء وكان أول مصري يتولى هذا المنصب الرفيع حيث عمل على تنظيمها، وظل مديرا لها إحدى عشرة سنة، فارتقى بها إلى المصاف العالمية، وجعلها قادرة على الوفاء بحاجات المجتمع المصري وصناعاته.

وفي أثناء هذه الفترة كان أحمد زكي لا يتوقف عن الدعوة لإنشاء معهد قومي للبحوث العلمية، من أجل قيام النهضة المصرية على أسس علمية وقواعد راسخة.

وكان يؤازره في دعوته مجموعة من العلماء والمفكرين، ونجحت دعوته في استجابة الحكومة المصرية، فخرج قانون مجلس فؤاد الأول الأهلي للبحوث إلى حيز التنفيذ سنة 1945م ثم أضيفت إليه في العام التالي أعباء إدارة مصلحة الصناعة.

قام أحمد زكي سنة 1946م برحلة طويلة إلى الولايات المتحدة الأمريكية تفقد خلالها كثيرا من مراكز البحوث العلمية.

ورافقه في هذه الرحلة عدد كبير من العلماء المصريين والمبعوثين الذين كانوا يدرسون وقتها في الولايات المتحدة.

ومن خلال هذه الزيارة وغيرها من الزيارات إلى المعاهد والمؤسسات العلمية والصناعية والجامعات استطاع أن يضع أساسا دقيقا للمركز القومي للبحوث الذي ولد على يديه صرح شامخ، وتولى هو رئاسته خمس سنوات من 1947م حتى 1952م.

وعندما شكل حسين سري باشا وزارته سنة 1952م اختار أحمد زكي وزيرا للشئون الاجتماعية، الذي حاول أن يبث في الوزارة روحاً إصلاحية وهمة ونشاطاً.

لكن الأيام كانت أسرع منه، فاستقالت الوزارة بعد أقل من عشرين يوما في الثاني والعشرين من يوليو سنة 1952، أي قبل قيام الثورة بيوم واحد.

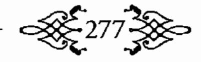
وعاد أحمد زكي مرة أخرى إلى رئاسة المجلس الأعلى للبحوث المعروف حاليا بالمركز القومي للبحوث.

كان أحمد زكي أقرب إلى جهاد المصلحين منه إلى العلماء الذين يعكفون في معاملهم وينكبون على بحوثهم العلمية.

لذلك اتسمت أعماله بإيقاظ الهمم والدعوة إلى الوثوب والنهضة، فلم يكد يعود من بعثته حتى أسهم مع نخبة من أعلام الفكر في تأسيس المجمع المصري للثقافة العلمية سنة 1929م ليكون منارة لنشر الثقافة العلمية بين طوائف الأمة.

وحين انتشرت في مصر ظاهرة إنشاء الجمعيات العلمية في الفروع المتخصصة، كان لأحمد زكي الفضل الأكبر في إنشاء الجمعية الكيميائية المصرية سنة 1938م، وتولى رئاستها ربع قرن.

وإلى جانب هذا النشاط الوافر كان عضوا في المجلس الأعلى لدار الكتب، وفي مجلس إدارة معهد فؤاد الأول للصحراء، وفي مجلس إدارة البنك الصناعي.



وعلى الرغم من هذه الأعباء التي كانت تثقل كاهل أحمد زكي وتحمله مسئوليات إدارة مؤسسات علمية وجمعيات أهلية فإنه لم ينقطع عن مواصلة الكتابة في كبريات الصحف والمجلات كالهلال والرسالة والثقافة.

وكان صاحب بيان عربي جميل وقدرة فائقة على العرض الجذاب، فكتب عن تاريخ العلم وقصص الاختراع والمخترعين، وتبسيط النظريات العلمية، وترجم بعض الآثار العلمية الأوروبية.

فنشر على صفحات مجلة الرسالة كتابه "قصة الميكروب.. كيف كشفه رجاله" على مدار ثلاث سنوات من 1935 وحتى 1938م.

كما ترجم كتاب "في أعماق المحيطات" إلى العربية، وكان لأسلوبه الأدبي في معالجة الموضوعات العلمية فضل في نشر العلم بين غير المتخصصين.

الدكتور أحمد زكي أديب مطبوع صاحب أسلوب مشرق، دائم الاطلاع على كتب الأدب العربي، حتى إنه كان يأخذ معه إلى إنجلترا عددا من كتب الأدب العربي، وكان له شغف بشعر المتنبي، فيؤثره على غيره من الشعراء ويستشهد بكثير من أبياته.

وقد برزت قدرات أحمد زكي على التعبير الرصين في ترجمته لاثنين من الكتب البارزة في الأدب الغربي هما "غادة الكاميليا" و"جان دارك"، وهما يشهدان على تمكنه من العربية وبراعته في التصوير المحكم.

وقد رشحته مواهبه الأدبية وتبحره في الكيمياء وتمكنه من الإنجليزية والفرنسية والألمانية أن يكون ضمن الفوج الثالث الذي دخل مجمع اللغة العربية سنة 1946م، وهم: عبد الرزاق السنهوري، وإبراهيم بيومي مدكور، وعبد الوهاب عزام، ومحمود شلتوت، ومحمد فريد أبو حديد، وغيرهم، وقد اشترك في كثير من لجان المجمع.

وفي قمة نشاطه العلمي وانشغاله الإداري يقبل دعوة آل زيدان أصحاب دار الهلال في رئاسة تحرير مجلة الهلال سنة 1947م، وقد دامت رئاسته أربع سنوات.

استطاع خلالها أن ينهض بالمجلة نهوضا واضحا، فكتب لها كبار الكتاب ورجال السياسة، واستحدث لها أبوابا صحفية جديدة، وأظهر عناية بأبواب العلم والطب والأسرة.

وجعل الهلال تصدر في اثني عشر عددا في العام بدلا من عشرة، واعتنى بتطوير الطباعة والإخراج، واختار لها القطع الذي ظلت فترة طويلة تصدر بها، ونقل المجلة نقلة كبيرة في الشكل والمضمون.

ويذكر التاريخ لأحمد زكي موقفين يدلان على حرصه على الحفاظ على كرامة العلم واحترامه لتاريخه.

فبعد قيام الثورة زاره أحد المسئولين في المجلس الأعلى للبحوث الذي كان يشغل رئاسته، وأبدى المسئول في حديثه ما يشير إلى امتهان مكانة المجلس.

فما كان من أحمد زكي إلا أن قام بالرد على ذلك في كتاب أطلق عليه "المجلس الأعلى للبحوث ماضيه القصير وحاضره ومستقبله".

وتحدث فيه عن العلم وكرامة العلماء، وعن الأمم المتقدمة والمتخلفة، ثم تقدم باستقالته سنة 1953م.

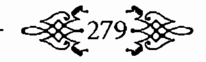
وبعد استقالته اختير رئيسا لجامعة القاهرة، وكانت البلاد تمر بظروف حرجة، ولم تطل فترة رئاسته للجامعة.

كان إنتاج أحمد زكي أبو شادي الأدبي غزيرا وصدر له عدد كبير من الدواوين والمؤلفات، ومن أعماله: الشفق الباكي و(أشعة وظلال) و(فوق العباب) وله مؤلفات مسرحية منها (الآلهة) و(إخناتون فرعون مصر).

كانت أعماله مصدر إلهام للشعراء الصغار وقتها أمثال إبراهيم ناجي وعلي محمود طه وأبو القاسم الشابي.

توفي أحمد زكي أبو شادي في الثاني عشر من أبريل سنة 1955 في الولايات المتحدة الأمريكية وهو يهتف:

وطني لو دعيت أن افتديه ما تمنيت غير تخليد رمسي



(٤١) الأديب عبدالله البردوني

شخصيتنا من اليمن السعيد، أُصيب بالعمى بسبب الجدري وهو طفل صغير، لكن ظروفه أسعفته للدراسة في مدارس منطقة ذمار عشر سنوات، ثم انتقل بعدها إلى صنعاء حيث أكمل دراسته في دار العلوم ثم عُين استاذاً للآداب العربية في المدرسة ذاتها، انه الأديب عبد الله البردوني.

ولد عبد الله البردوني في سنة 1929 م في قرية البردون في اليمن من أبوين فلاحين، عاش ضريراً أغلب حياته.

وقد حُرم من أمه صغيراً وأخفق في حبه إخفاقاً مؤلماً ولذلك خرج شعره وفيه مسحة من الحزن الكئيب.

وقد آثر الصور المسموعة أو الصوتية على الصور المنظورة أو المرئية بسبب فقده لبصره كما أثرت فيه ظروف مولده ونشأته في بيئة فقيرة محرومة فطبعت على شعره بطابع العطف والحنان الشديد على الفقراء المحرومين والمعدمين من أمثاله فهو شديد الاحساس بشقائهم.

ولذلك نجده يلمح في ديوانه على التناقض الطبقي وحمله على ترف القصور الذي بنى على استنزاف جهد الكادحين.

ونجد كذلك في شعره الوطني تعبيراً عن إيمانه العميق بوحدة اليمن الطبيعية وبالوحدة العربية.

والبردوني يحسن رسم الصور وابتكارها فهو مولع كثيراً بالإيحاء والرمزية وتشخيص التجريدات فللفجر عنده شفاه وللربى أجفان وللربيع قلب.

للبردوني عشرة دواوين شعرية، وست دراسات، حيث صدرت دراسته الأولى (رحلة في الشعر قديمه وحديثه) في عام 1972.

مرت سنوات طويلة لوفاة شاعر اليمن العملاق عبد الله البردوني والذي عُرف شاعرا من أعمدة الشعر العمودي على المستوى العربي في أغلب عقود القرن الماضي.

إذ لم يكن في عيون قارئيه وسامعيه ومعايشيه شاعرا عاديا بل كان مخزون ثقافة اليمن ووعيه وثوراته وجباله وقبائله وطموحه وآماله وآلامه.

فلا تكاد توجد مفردة في شعره -وتلك إحدى مزاياه- إلا تعبر بعمق وصدق عن جانب من جوانب الحياة فيها.

لقد كان هذا الشاعر صنَّاجة اليمن التي افتتن بها وجسدها في معظم قصائده هائماً بها معبرا عن ذلك بتلميح يفوق التصريح وتصريح يقارب الهجو، ويغرف من عتاب المحبة في غير اكتراث بفلتات التعبير ونشاز الألفاظ التي لا يستوعبها من لم يعايش تجربة الشاعر.

كما أن ارتباط الشاعر باليمن الممتد في عروق التاريخ المتجذر في جغرافيا العرب الساكن في خلايا سكانه وموروثات أبنائه لم يشفع للرجل الذي ظل مجهولا في عامة العرب، وإن احتفلت به نوادي الأدباء وملتقيات الشعراء.

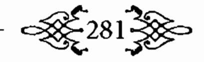
فالشاعر القادم من عمق طرف العرب لا يعرفه إلا المتخصصون ولا يردد معه شعره إلا قلة من المتذوقين، مما يطرح إشكالا طالما نغص حياة كثير من المهتمين بأطواد المعرفة والأدب في العالم العربي، لماذا لا يهتم الناس بمن هم في ميزان البذل والعطاء المعرفي؟.

اللافت في حياة البردوني أنه عاش من عامة الشعب ومات كذلك لا أحد يهتم به، ولم يفت البردوني أن يسجل ذلك في رائعته بلاد المنفى:

لأن بلادي الحبيبة وفي مرتباها غريبة لأنها وهي ملأى بالخصب غير خصيبة لأنها وهي حبلى بالري عطشى جديبة.

البردوني شاعر اليمن وشاعر منتم الى كوكبة من الشعراء الذين مثلت رؤاهم الجمالية حبل خلاص لا لشعوبهم فقط بل لأمتهم أيضا.

فقد عاش حياته مناضلا ضد كافة اشكال القهر ببصيرة الثوري الذي يريد وطنه والعالم كما ينبغي ان يكونا، وبدأب المثقف الذي ربط مصيره الشخصي بمستقبل الوطن، فأحب وطنه بطريقته الخاصة، رافضا أن يعلمه أحد كيف يحب.



شعر البردوني فيه تجديد وتجاوز للتقليد في لغته وبنيته وموضوعاته حتى قيل هناك شعر تقليدي وشعر حديث وهناك شعر البردوني.

أحب الناس وخص بحبه أهل اليمن إذ يحرص على لقائهم بشوشاً طاوياً ما في قلبه من ألم ومعاناة، لا يكف عن السؤال حتى سُمي شاعر الاسئلة.

دخل البردوني بفكره المستقل الى الساحة السياسية اليمنية وهو المسجون في بداياته بسبب شعره والمُبعد عن منصب مدير إذاعة صنعاء والمجاهر بآرائه عارفا ما ستسبب له من متاعب.

للبردوني أعمال أدبية متنوعة فديوانه الأول صدر سنة 1961م في القاهرة بعنوان "من أرض بلقيس" ثم أصدر بعده في طريق الفجر ثم مدينة الغد ثم زمان بلا نوعية.

وقد تقلد الشاعر أوسمة كثيرة كوسام الأدب والفنون في عدن وحصل على جوائز أدبية رفيعة كجائزة مهرجان أبي تمام بالموصل في العراق وجائزة شوقي وحافظ في القاهرة.

وفي عام 1982 أصدرت الأمم المتحدة عملة فضية عليها صورته كمعاق تجاوز العجز، وترك البردوني دراسات كثيرة وأعمالا لم تنشر بعد أهمها السيرة الذاتية، والبردوني موسيقار عاشق في أشعاره.

وقد لحن قصيدته العمودية على ايقاعات البحور المشهورة كالبسيط والخفيف والرمل والمتقارب والكامل والطويل والسريع والمتدارك.

وأدخل الموسيقى الى شعره عن طريق الحوار والسؤال حيث يتوارى صوت الأنا المفرد ويظهر الصوت والصوت الآخر فيعلو الجرس الدرامي ويخفق الحس الغنائي ويتم التعبير بالحوار والمقابلة.

وينطبق على موسيقاه وصف الدكتور سالم عباس خداده على انها نهر متدفق حينا وبحر صاخب حينا آخر.

وفي الساعة الحادية عشرة من صباح يوم الاثنين الموافق 30 أغسطس من عام 1999، وفي آخر سفرات الشاعر الى الأردن للعلاج توقف قلبه عن الخفقان بعد ان خلد اسمه كواحد من شعراء العربية في القرن العشرين.

(٤٢) الروائي الأديب محمد ديب

شخصيتنا هو كاتب وروائي جزائري كبير ولد بالغرب الجزائري بمدينة تلمسان سنة 1920، حيث عاش طفولته فقيرا ثم يتيما بعد أن توفي والده وهو لايزال في العاشرة من عمره. لكن ذلك لم يوقف عزمه على متابعة دراسته بجد في مسقط رأسه، فبعد أن بلغ سن التاسعة عشرة اشتغل بالتعليم ثم انتقل سنة 1942 للعمل في السكك الحديدية. ثم عمل محاسبا ثم مترجما ثم مصمما للديكور ثم حرفيا في النسيج، انه الأديب محمد ديب.

كان مولد محمد ديب الأدبي عام 1952 حين صدرت له أول رواية وهي رواية البيت الكبير، وقد نشرتها جريدة "لوسوي" الفرنسية، ونفذت طبعتها الأولى بعد شهر واحد.

ثم أصدر رواية الحريق التي تعلن إرهاصات الثورة الجزائرية، والغريب في الأمر أنه بعد ثلاثة أشهر من نشرها انطلقت ثورة الفاتح من نوفمبر عام 1954 في الجزائر.

وقد نال محمد ديب عام 1963 جائزة الدولة التقديرية للآداب كذلك كان أول كاتب مغاربي يحصل على جائزة الفرنكوفونية، حيث تسلمها من الأكاديمية الفرنسية تنويها بأعماله السردية والشعرية.

يعد محمد ديب أحد أبرز الروائيين والشعراء الجزائريين المعاصرين، وقد كتب جميع مؤلفاته باللغة الفرنسية، فأثار بذلك مسألة هوية وانتماء هذا الأدب.

هل هو أدب عربي، لأن موضوعاته عربية ويعالجها المؤلف من منطلق وطني عربي، أم أنه أدب فرنسي، لأنه مكتوب باللغة الفرنسية، وبأسلوب تجديدي متميز، جعل الشاعر الفرنسي لويس أراغون يمدح شعرية لغة ديب، ودفع الأكاديمية الفرنسية إلى منحه جائزة الفرنكوفونية في عام 1982، ومما أدى كذلك إلى حصوله على جائزة الشاعر مالارميه في عام 1998.

أخذ محمد ديب يكتب في الصحافة المحلية الصادرة باللغة الفرنسية حول قضايا وطنه، وكان ديب قد كرّس أغلب وقته واهتمامه للأدب، ولكنه، نتيجة لسياسة نشر الثقافة الفرنسية، لم يتمكن من اللغة العربية الفصحى قراءةً وكتابةً، فقد كانت اللغة الفرنسية نافذته الوحيد للاطلاع على الأدب العالمي عامة والفرنسي خاصة.

فعندما نشر قصيدته الأولى «فيغا» عام (1947) بدا واضحاً تأثره بالثقافة الفرنسية، وتمكنه في الوقت ذاته من أدواته التعبيرية كشاعر له خصوصيته.

ومع أنه قد نشر في سنوات المنفى في فرنسا ستة دواوين شعرية لفتت أنظار الأدباء والنقاد، إلا أن إنتاجه الروائي الذي تجاوز العشرين رواية، كان أكثر انتشاراً وتأثيراً، وأطوع للترجمة من شعره الذي بقي محصوراً في دائرة هواة الشعر.

فمنذ عام 1945 أخذ ديب يعيش متنقلاً بين الجزائر وباريس، وفي عام 1951 تزوج من سيدة فرنسية وعاد إلى حياته النضالية في الجزائر إلى أن نفته السلطات نهائياً في عام 1959 بسبب تصاعد تأثيره في حركة التحرير.

وكان منذ عام 1952 بدأ بنشر أجزاء «ثلاثية الجزائر» الملحمية، فصدر الجزء الأول «الدار الكبيرة» والثاني «الحريق» والثالث «النول» التي ترجمها سامي الدروبي بأسلوب مبدع، وصدرت طبعتها الأولى في القاهرة (1970)، تلتها طبعات أخرى في بيروت ودمشق.

وبهذه الثلاثية جعل ديب من الكتابة بالفرنسية كتابة وطنية، وباتت فيها صورة الوطن الجزائر كبيرة وواضحة، وهي تخرج من حرب إلى حرب أشد ضراوة، وجعلت شخصيات الرواية تؤسس قناعاتها النضالية، ليس فقط انطلاقاً من خيارات ظرفية، ولكن من صلب التجربة الإنسانية التي لا حدود لقوتها.

ونتيجة لتحولات ما بعد الثورة، قرر محمد ديب البقاء في المنفى الذي لم يعد حالة ثقافية، بل حالة وجدانية ومأساة، لم تعمل كتاباته اللاحقة إلا على تأكيدها.

فأصدر روايته «هابيل» وكذلك رواية «من يذكر البحر؟» و«مسيرة على الضفة الموحشة» و«معلم الصيد» وغيرها من الروايات التي رسمت الخيبة وأعطتها هوية الانكسار والمنفى.

في عقد الثمانينيات انسحب محمد ديب باتجاه الشمال، نحو اسكندنافيا، بحثاً عن أرض محايدة، إذ لم تعد الرواية النضالية والسياسية هاجسه، وحل محلها انشغاله بهموم الذات بمختلف جروحها وانكساراتها.

وكتب هناك ثلاثية جديدة سماها النقاد «ثلاثية الشمال»، وهي تضم «شرفات أورّسول» و«إغفاءة حواء» و«ثلوج من مرمر»، وأتبعها برواية «فقر بلا هوادة».

وفي أعمال هذه المرحلة أخذت أسئلته الوجودية تهتم بأدبية وفنية الكتابة، بعيداً عن الهم السياسي.

ومع مطلع التسعينيات عاد ديب إلى باريس للانشغال بأسئلة الديمقراطية في وطنه الجزائر، واستمر في الكتابة، فأصدر «المولود الموريسكي» و«الليلة الموحشة».

وفي معظم هذه النصوص ينتفي الشكل الروائي، ولا يبقى منه سوى بعض الملامح داخل مزيج من الأشكال يتداخل فيها الشعر والنقد والمسرح والقصة، بأسلوب يعيد النظر في المكونات الثقافية للرواية.

كان محمد ديب بدوره يتلاشى في هذه الكتابات عائداً إلى تربة منحته المنفى وفرصة التأليف.

ويعد محمد ديب إلى جانب مولود فرعون ومولود معمري ومالك حداد وكاتب ياسين من مؤسسي الحركة الأدبية الفرنكوفونية في الجزائر.

وقد يكون مع كاتب ياسين في طليعة هذا الجيل الذي استطاع أن يتحدى الاستعمار عبر لغته نفسها، وأن يكتب أدباً جديداً، فرنسي اللغة، جزائري الروح والهموم.

وهو يقول بهذا الصدد: «يُهيأ إلينا أن ثمة عقداً يربطنا بشعبنا، ويمكننا أن نسمي أنفسنا (كتّابَه العامّين)، نحو هذا الشعب نلتفت أولاً، ثم نلتفت نحو العالم، لنشهد على هذه الخصوصية.

توفي الأديب محمد ديب في الثاني من مايو عام 2003 بسان كلو إحدى ضواحي باريس في فرنسا .

مات محمد ديب في صمت كبير، كما عاش في شموخ كبير، ودُفن في إحدى ضواحي باريس بوجود حفنة من الأصدقاء المقربين، حسب وصيته، ومن دون ضجة رسمية.

وتُرجمت معظم رواياته إلى اللغات الأوربية وبعض اللغات الشرقية.

(٤٣) الشاعر خليل مطران

شخصيتنا هو شاعر لبناني عاش معظم حياته في مصر، ولد سنة 1871 في بعلبك وتعلم فيها، سافر إلى مصر سنة 1893، حيث عرف بجمعه بين الثقافة العربية والأجنبية، وعرف بغزارة علمه وإلمامه بالأدب الفرنسي والعربي، بالإضافة لرقة طبعه وهو الشيء الذي انعكس على أشعاره، فأطلق عليه لقب «شاعر القطرين» ويقصد بهما مصر ولبنان، وبعد وفاة حافظ وشوقي أطلقوا عليه لقب «شاعر الأقطار العربية» وقيل عنه: انه شاعر الشعور والخيال، وشاعر بعلبك والأهرام.

اشتغل بمكاتبة الصحف، وأنشأ المجلة المصرية، وجريدة الجوائب، وله ديوان اسمه «ديوان الخليل»، انه الشاعر خليل مطران.

يعتبر مطران من مجددي الشعر العربي، فهو من رواد حركة التجديد، وصاحب مدرسة في كل من الشعر والنثر، تميز أسلوبه الشعري بالصدق الوجداني والأصالة والرنة الموسيقية، كما يعد من مجددي النثر فقد أخرجه من الأساليب الأدبية القديمة.

في بداياته الشعرية حاكى شعراء عصره في أغراض الشعر الشائعة من مدح ورثاء، لكنه ما لبث أن استقر على المدرسة الرومانسية والتي تأثر فيها بثقافته الفرنسية.

وقد نقل الشعر العربي من أغراضه التقليدية وتصوراته القبلية إلى أغراض جديدة، تنسجم مع متطلبات العصر واتجاهاته المدنية الحديثة.

فكما اهتم شوقي بالموسيقى وحافظ باللفظ الرنان، اعتنى مطران بالخيال، وأثرت مدرسته الرومانسية الجديدة على العديد من الشعراء في عصره مثل إبراهيم ناجي وأبو شادي وشعراء المهجر وغيرهم.

يعد خليل مطران في مقدمة ديوانه نفسه في طليعة المجددين، إذ يورد معتقده في الشعر ويبسط رأيه في شعره مَن يتأثرون بالقديم.

ففي رأيه أن في الشعر المألوف جموداً، مبيناً الحاجة إلى شعر عصري جديد، يعبّر عن ذات الشاعر ويصور أفكاره وأحاسيسه.

وبرأيه أن الشاعر ليس عبداً لشعره، فينظر إلى جمال البيت في ذاته وفي موضوعه وإلى جملة القصيدة في تركيبها وترتيبها وتناسق معانيها، مع ندرة التصور وغرابة الموضوع ومطابقة كل هذا للحقيقة.

ومرجع التجديد عند مطران يرجع إلى أنه شاعر الثقافة، شاعر العقل والشعور جميعاً، فهو يأتي بالأفكار والخواطر بشكل متسلسل، والخيال متناسق، وكل هذا جاء نتيجة لاستفادته من اللغات الأجنبية دون تقليد، ونهجه على طريقة القدماء دون تقييد.

كانت حياته ذات علاقات سياسية واجتماعية، وكان يحرص على ألا يغضب الآخرين، وتجنب مواطن النزاع.

ولكنه حين كان يجد القول واجباً فإنه يقول دون التواء، وقد تجلى ذلك في حفاوته بالبارودي، ومناصرته لمصطفى كامل، واعتراضه الصريح على قانون المطبوعات المقيد لحرية القول، ووقوفه في جانب الدعوة إلى تحرير المرأة.

فعن علاقاته بالبارودي- وهو أحد أبطال الثورة العرابية عام 1882- نراه قد أظهر إعجابه بشخصيته.

وبعد وفاة البارودي كان أول من دعا إلى تأبينه، وقال فيه قصيدة رثائية تجاوزت النمط التقليدي لقصائد الرثاء؛ فهو لم يقتصر عند إظهار الفجيعة والألم لفقد الشاعر، إنما كان فَقدَ البطل هو المعنى البارز.

وكان في صداقته للزعيم مصطفى كامل معنى الانتماء والوطنية، وجاء رثاؤه له مشابهاً لرثاء البارودي فقد مزج بين شخصية الوطني الثائر والخطيب المفوه، ونوه بما وسم به من اعتدال وعدل.

شهدت حياة مطران العديد من الأحداث السياسية والاجتماعية المهمة، حيث عايش محناً وأحداثاً صعبة في الشرق العربي.

وكان قد تأثر بها بشكل كبير، وعبر عن الكثير منها من خلال قصائده، فكما ذكرنا فقد عُرف برقة مشاعره وإحساسه العالي، وهو الأمر الذي انعكس على قصائده، التي تميزت بنزعة إنسانية، واهتمامه بالوصف، وقد قدم القصائد الرومانسية.

وكان للطبيعة نصيب من شعره فعبر عنها في الكثير منه، كما في قصيدته المساء، التي تعبر عن تجارب ذاته النابعة من شخصيته.

وقد امتزجت فيها أحلامه بهمومه وتأملاته وأحزانه النابعة من الألم وتجارب الحب والغربة، وهو يمزج فيها بين الذات والطبيعة.

ففي القصيدة عنده تعبير عن تجربة ذاتية فذة من خلال توحيد ما يشعر به من الداخل ويحدث في الخارج.

ذلك هو التدفق الشعري المميز لمطران والذي برز على الوجود ليتميز به سواء كان جامداً أم حياً، وهذا من الجديد الذي لم يعرفه القدماء.

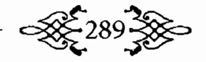
وقد اهتم مطران بالشعر القصصي والتصويري والذي تمكن من استخدامه للتعبير عن التاريخ والحياة الاجتماعية العادية التي يعيشها الناس.

فاستعان بقصص التاريخ وقام بعرض أحداثها بخياله الخاص، بالإضافة لتعبيره عن الحياة الاجتماعية.

وكان مطران متفوقاً في هذا النوع من الشعر عن غيره فشاعريته فتحت له آفاقاً جديدة في عالم الشعر العربي حيث كان الشعر لديه المتنفس للتعبير عن أحاسيسه الإنسانية وعاطفته الجياشة.

وقد استعمل مطران الرمز في شعره السياسي، لأجل إعطاء النموذج العادل في معاملة الحكام للمحكوم، وبث روح الحق والحرية والمساواة، وربما كانت طبيعة المرحلة تقتضي منه ذلك.

خلال فترة إقامة مطران في مصر عهدت إليه وزارة المعارف المصرية ترجمة كتاب الموجز في علم الاقتصاد مع الشاعر حافظ إبراهيم.



وصدر له ديوان شعر مطبوع في أربعة أجزاء عام 1908، وقد عمل مطران على ترجمة مسرحيات شكسبير وغيرها من الأعمال الأجنبية، كما كان له دور فعال في النهوض بالمسرح القومي بمصر.

ونظراً لجهوده الأدبية المميزة قامت الحكومة المصرية بعقد مهرجان لتكريمه حضره جمع كبير من الأدباء والمفكرين ومن بينهم الأديب الكبير طه حسين.

وقد أشار الدكتور ميشال جحا «إلى أن شوقي وحافظ ومطران، يمثلون الثالوث الشعري المعاصر الذي يذكرنا بالثالوث الأموي: الأخطل وجرير والفرزدق الذي سبقهم بأكثر من اثني عشر قرناً من الزمن، كما عاش هؤلاء الشعراء في فترة زمنية متقاربة، وفي كثير من الأحيان نظموا الشعر في مناسبات واحدة، إنما خليل مطران يبقى رائد الشعر الحديث».

وقد قال الباحث قاسم محمد عثمان ان ما صنعه مطران في الأدب لم يصنعه أدباء عصره.

وعبر طه حسين عن رأيه في شعر مطران وهو يخاطبه قائلاً «إنك زعيم الشعر العربي المعاصر، وأستاذ الشعراء العرب المعاصرين، وأنت حميت حافظاً من أن يسرف في المحافظة حتى يصيح شعره كحديث النائمين، وأنت حميت شوقي من أن يسرف في التجديد حتى يصبح شعره كهذيان المحمومين». كما قال عنه محمد حسين هيكل «عاش مطران للحاضر في الحاضر وجذب جيله ليجعله حاضراً كذلك، فشعره وأسلوبه وتفكيره كلها حياة تجلت فيها الذكرى وعظمت فيها الحيوية، ولهذا تراهم حين يتحدثون عن مطران يتحدثون عن الشعر والتجديد فيه».

كما قال عنه الشاعر صالح جودت "أنه اصدق شعراء العرب تمثيلاً للقومية العربية".

تفوق مطران على كل من حافظ ابراهيم وأحمد شوقي في قصائده الاجتماعية والتي تناول فيها العديد من المواضيع، محارباً فيها الفساد الاجتماعي والخلقي.

على النقيض من ذلك هناك جانب آخر يتمتع به الشاعر وهو الروح المرحة من حيث الدعابة الحقيقية الراقية كقصة (إن من البيان لسحرا).

وقدم للمكتبة العربية كتباً مثل (ينابيع الحكمة والأمثال)، و(ديوان الخليل)، و(إلى الشباب) والعديد من المترجمات لكل من شكسبير وفيكتور هوجو.

كما نجد عند مطران شعراً تاريخياً واجتماعياً الى جانب شعره الوجداني.

فيهما من روعة الوصف وحسن التعليل ما في شعره الوجداني أيضاً، حيث قال في قانون المطبوعات:

شردوا أخيارها بحراً وبراً واقتلوا أحرارها حراً فحراً

انما الصالح يبقى صالحاً آخر الدهر ويبقى الشر شراً

كسروا الأقلام هل تكسيرها يمنع الأيدي أن تنقش صخرا؟

فنلاحظ التغني بالحرية في شعر مطران حيث يطالب بالحرية والمساواة والعدالة.

يعتبر مطران شاعر الوصف فهو وصاف ماهر من الطبقة الأولى يشمل وصفه المعنويات والماديات ويعبر عن أدق التفاصيل والجزئيات.

ويعتمد على الترتيب والتحليل والتمثيل والتشبيه والتجريد وكل ما من شأنه أن يجسم الموصوف ويحييه ويجعله ينطق، حيث قال في وصف آثار بعلبك:

هم فجر الحياة بالإدبار فاذا مر فهي في الآثار

بعلبك" سلام بعد طول النوى وبعد المزار

كما وصف حريق روما في ملحمته الكبيرة "نيرون" محللاً نفسية نيرون طاغية روما القديمة.

ويتصف مطران بصحة الفكرة ووحدة القصيدة وصدق النظرة والثقافة الشاملة بصياغة بديعة وشعور صادق، وخيال جامع وجمال فني في الأداء، مع لذة عقلية وغذاء في الفكرة والعاطفة والنفس فهو شاعر مجدد.

فهو يعتبر شاعر الفئة المثقفة من المجتمع شاعر الأدباء والعلماء شاعر الطبقة المفكرة في المجتمع.

وكان يهتم بالفكرة أكثر من اهتمامه بالتركيب، فمطران بالشعر الحديث كأبي تمام في الشعر القديم.

كان مطران يريد أن يكون شعرنا مرآة صادقة لعصرنا، يريد أن يتغير شعرنا مع بقائه شرقياً ومع بقائه عربياً.

وكان لمطران رسالة تدفعه الى السمو بالإنسانية الى أرفع مكان تستأهله بحيث لا يكون لها من هدف الا الحرية والعدل وتأمين الخائف واطعام الجائع ورد ظلامة المظلوم.

ويرى مطران أن الشاعر ليست وظيفته أن يكون نظاماً لغوياً بل عليه أن يكون بين زعماء الفكر ورسل الوجدان ودعاة الاصلاح وأعلام الايمان لجيلهم ولما بعد جيلهم.

كما يريد مطران أن يجمع الشعر بين كل القيم التي تؤهله للزعامة الروحية والعقلية والتي تربط ما بين أحلام الشاعر وحكمة الفيلسوف الواقعي.

جاءت وفاة مطران بالقاهرة في الأول من يونيو عام 1949م بعد أن اشتد عليه المرض، لتشهد مصر وفاته كما شهدت انطلاقته الأدبية.

(٤٤) الشاعر فاروق جويدة

فاروق جويدة وهو أحد أشهر الشعراء المصريين في العصر الحديث تمكن من امتلاك قلب وفكر الكثير من الناس وخاصة الشباب، يجد القارئ لقصائده العديد من المعاني الجميلة التي تفيض بالمشاعر المعبرة والأحاسيس، فنجده ينظم قصائد الحب الحالمة الناعمة إلى جانب القصيدة الوطنية الثائرة، وقد برع في كلتيهما.

ولم يكتف جويدة بعشقه للشعر، فهو أيضاً صاحب حس صحفي مميز له آراؤه الجريئة التي نجده يحمل فيها الهم المصري والعربي معاً.

قال عنه أحد الشعراء "إن فاروق جويدة يستطيع أن يذبح بخيوط من حرير".

ولد فاروق جويدة في العاشر من فبراير 1945م، بقرية أفلاطون بمركز قلين، محافظة كفر الشيخ.

درس بكلية الآداب قسم صحافة جامعة القاهرة وتخرج فيها عام 1968م، دخل إلى عالم الصحافة كمحرر بالقسم الاقتصادي بجريدة الأهرام عام 1968، ثم أصبح سكرتير تحرير بالأهرام عام 1975.

بعد ذلك أصبح مشرفاً علمياً على الصفحة الثقافية بالأهرام عام 1978 والتي تعد أول صفحة ثقافية يومية في تاريخ الصحافة العربية، ثم تولى رئاسة القسم الثقافي، وبعدها أصبح مساعد رئيس تحرير الأهرام عام 2002.

وجويدة عضو بكل من نقابة الصحفيين، وجمعية المؤلفين، واتحاد الكتاب، ولجنة الشعر بالمجلس الأعلى للثقافة.

كما أن له العديد من المشاركات الفعالة في عدد من المهرجانات الشعرية الغربية والدولية، ومثل مصر في العديد من المناسبات الثقافية الدولية بآسيا وأوروبا.

وألقى مجموعة محاضرات عن تجربته الشعرية بعدد من الجامعات، وشارك في المؤتمرات الثقافية التي أقامتها منظمة التربية والعلوم والثقافة "اليونسكو"، كما مثل مصر في اليوم العالمي للشعر بباريس عام 1999، وهو عضو مؤسس في الأكاديمية العالمية للشعر التي أنشأتها منظمة اليونسكو عام 2001 بمدينة فيرونا الإيطالية ضمن 15 شاعراً تم اختيارهم على مستوى العالم.

يتمتع جويدة بأسلوب شعري سهل وسلس تمكن من خلاله من إيصال مشاعره وكلماته لجميع الأشخاص بمختلف طبقاتهم الثقافية.

واخترق جويدة كافة الألوان الشعرية بداية بالقصيدة العمودية، وانتهاء بالمسرح الشعري، وتميز شعره بصدق الكلمة الشعرية، وفاضت جمله بالحب والوطنية.

كما تميزت أشعار جويدة بغوصها في المشاعر كافة فعندما تتجه قصائده للحب نجد ألفاظاً شعرية رقيقة تتراقص وتنسدل معبرة عن حالة رائعة من الحب.

وعندما تكون القصيدة وطنية نجد بها ألفاظاً قوية معبرة ثائرة تعلن حالة من الغضب والألم والخوف على الوطن.

لم يلجأ جويدة للألفاظ الصعبة فلا يميل للاستعراض بالمفرادات اللغوية المعقدة الغامضة على حساب المتلقي إنما يقدم له المشاعر والأحاسيس كافة كما لو كان يقولها على لسان من يستمع إليها ويعيشها.

ويذهب بعض الشعراء في رأيهم أن من يكتب الشعر بغرض التوصيل للناس فهو يكتب شعراً سطحياً.

بينما يرى فاروق جويدة أن عبقرية الشعر في بساطته فإذا تمكن الشاعر من توصيل أفكاره ومشاعره من خلال قصائده وأبياته الشعرية للمتلقي بمستوياته المختلفة، فهنا تكمن عبقرية الشاعر وليست سطحيته، ويرى جويدة أن لو مر الزمان وبقي من إجمالي قصائد الشاعر 3 أو 4 قصائد فهو إذن شاعر عظيم.

قدم جويدة العديد من الكتب والمؤلفات القيمة التي تنوعت ما بين القصائد الشعرية والقضايا السياسية والثقافية وأدب الرحلات.

بالإضافة للمسرحية الشعرية فقدم ثلاث مسرحيات هي " الوزير العاشق، دماء على ستار الكعبة، الخديوي، هولاكو" وقد مثلت هذه المسرحيات مصر في العديد من المهرجانات المسرحية العربية.

وتعد كتب جويدة الأكثر مبيعاً بين غيره من شعراء عصره، فمن كتبه: بلاد السحر الخيال، وليس للحب أوان، وفاروق جويدة – الأعمال الشعرية، ودائماً أنت بقلبي، ورحلتي "الأوراق الخاصة جداً"، وطاوعني قلبي في النسيان، ولأني احبك، وفي عينيك عنواني، ولن أبيع العمر.

وغيرها العديد من المؤلفات والقصائد القيمة، والتي تمت ترجمة العديد منها إلى عدد من اللغات مثل الإنجليزية والفرنسية وغيرها.

وقد تم تناول أعماله الإبداعية في عدد من الرسائل الجامعية سواء في الجامعات المصرية أو العربية.

كما أن لفاروق جويدة مقالاً في الأهرام بعنوان "هوامش حرة"، فهو صحفي متميز بالإضافة لإجادته للشعر.

يقول عن نفسه أنا عربي حتى النخاع، له آراء سياسية حرة شغل باله الهم المصري والعربي وله العديد من الآراء الجريئة في ذلك.

ونظم جويدة العديد من القصائد والمسرحيات الشعرية والتي تم تقديمها في شكل فني وغنائي، فغنت سمية قيصر قصيدة "في عينيك عنواني" والتي قام محمد عبد الوهاب بتلحينها وأكملها الموجي، كما قدم على خشبة المسرح المسرحية الشعرية مثل مسرحية "الوزير العاشق" بطولة سميحة أيوب وعبدالله غيث.

حصد جويدة العديد من الجوائز والأوسمة منها: جائزة الدولة التقديرية في الآداب من المجلس الأعلى للثقافة، عام 2001، وجائزة كفافيس الدولية في الشعر وتسلم الجائزة في احتفالية أقيمت في مدينة "قوله" باليونان في الثاني من سبتمبر2007.

لم يحصر جويدة نفسه في إطار الشعر فقط، فانطلق مناقشاً القضايا الثقافية والسياسية والفكرية المعاصرة، ملتزماً بقضايا وطنه وأمته، فكانت ومازالت له العديد من المقالات القوية والتي أثارت البعض وأغضبتهم، ولكنه ظل متشبثاً بقلمه جاعلاً منه لساناً يعبر من خلاله عن رأيه الخاص وآراء الشعوب العربية.

وقدم الكاتب والأديب إبراهيم خليل إبراهيم كتاباً بعنوان "الحب والوطن في حياة فاروق جويدة" والكتاب عبارة عن دراسة أدبية حول أشعار فاروق جويدة التي قدمها في الحب والوطن ويضم الكتاب ثلاثة أقسام: القسم الأول مخصص للحب في شعر فاروق جويدة، أما القسم الثاني فالوطن في شعر جويدة، أما القسم الثالث فيضم الصورة الشعرية وخصوصيتها في شعره.

(٤٥) الشاعر محي الدين خريف

الشاعر محي الدين خريف، يعتبر علما من أعلام الأدب التونسي المعاصر، لما تميزت به مسيرته الإبداعية من غنى الروافد وغزارة الإنتاج وانتظامه على مدى نصف قرن في شتى المجالات الأدبية حيث نظم الشعر الحر والعمودي والشعبي مجدداً ومسايراً للتقليدي.

كما ساهم في أدب الأطفال شعرا وقصة، وشملت أعماله الأدبية تحقيق التراث المخطوط لطائفة من الشعراء المغمورين ناشراً آثارهم ومعرفاً بهم.

ولد الشاعر محي الدين بن محمد الناصر خريف ولد في 14 يونيو سنة 1932 بمدينة نفطة في تونس، وهو ينتمي إلى عرش المواعدة المنتسبين إلى جدهم الولي الصالح سيدي أحمد معاد المنحدر من أصل جزائري والمستقر بنفطة منذ بداية عام 93 هـ وقد هاجر من تلمسان بالغرب الجزائري إلى مدينة نفطة واستقر بها.

أما المراحل التي مر بها الشاعر خريف وأثرت في إبداعه فهي عديدة لكن أهمها هي واحة نقطة التي كان لها إسهام أساسي في إبراز المكونات الأساسية لشخصية شاعرنا.

ففيها نشأ وفيها انفتحت بصيرته على الذات وعلى العالم وقد غذى تجربته الشعرية من طبيعة الواحة ومن نكهتها المحلية بما يزخر فيها.

بالإضافة إلى طبيعة الواحة التي أسهم عناصرها في تحديد تجربة الشاعر الإبداعية.

هناك مؤثر آخر هو البيئة العائلية التي كان لها دورها في تكوين خواصه النفسية والفكرية.

ففي نفطة انخرط في التعليم بفرع مدينة قفصة بداية من 1947.

ثم انتقل إلى تونس وفيها التحق بالفرع الزيتوني وأخذ يتصل بالنوادي والمجتمعات الطلابية والجمعيات الأدبية.

لكن فيها أحس الغربة ووجد في عمه الشاعر مصطفى خريف سنداً مادياً وأدبياً أتاح له اكتشاف أشهر كتب التراث الأدبي العربي ودراستها مثل كتاب الأغاني- والعقد الفريد، ونفح الطيب وغيرها من أشعار أبرز أعلام الشعر العربي.

وكان لعلاقته بعمه الشاعر مصطفى خريف أثر كبير في تكوينه الأدبي حيث دفعه إلى كتابة الشعر بعد أن أتاح له الاطلاع والاستفادة من كتب التراث.

نشر الشاعر التونسي محي الدين خريف في هذه الفترة أول قصيدة له بعنوان "باكورة" وذلك في عام 1949 ثم اضطر سنة 1950 إلى الانقطاع عن الدراسة بسبب المرض وعاد إلى نفطة.

وفي سنة 1956 عاد مجددا إلى الدراسة بمدينة قفصه وبها حصل على شهادة الأهلية ثم بعدها عاد إلى مدينة تونس.

وبها واظب على الدراسة إلى أن حصل على شهادة التحصيل الزيتونية سنة 1965 ثم انتسب إلى سلك التعليم واشتغل معلماً بنفطة.

واستمر بالتعليم إلى سنة 1967 قبل أن يعود إلى العاصمة. قبل أن يصبح مرشدا حتى سنة 1978 عندما التحق بوزارة الشؤون الثقافية وأشرف على مصلحة الأدب الشعبي إلى عام 1992 تاريخ إحالته على المعاش.

وقد أتاحت له فرصة وجوده في هذه المصلحة التفرغ للاطلاع على الأدب الشعبي والبحث فيه مع إشرافه على مجلة "الحياة الثقافية".

وكانت هذه الفترة خصبة من حيث الإنتاج الأدبي وثرية في حياته من خلال ما قام به من أسفار إلى عدة بلدان في العالم.

وقد سبقت هذه التجربة تجربة أخرى وهي تجربة إذاعية وتلفزيونية منذ من عام 1969 حيث أنتج فيها عددا من البرامج المنوعة ومجموعة مسرحيات إذاعية كما كتب عددا من المسلسلات.

وقد أنتج الكثير من برامج الأطفال ونظم أيضا عددا من الأشعار تحولت إلى أغان، إلى جانب نشاطه الإذاعي كان له نشاط صحفي في عدة صحف تونسية وعربية وكتب فيها أيضاً عدة دراسات.

ثقافة محي الدين خريف برغم أصالتها لم تكن منغلقة بقدر ما كانت متفتحة على حركات المعاصرة الفكرية والمدارس الأدبية الحديثة.

وفي سبيل البحث على مدن الشعر سافر إلى بلدان كثيرة مثل الكويت وليبيا وسوريا والعراق واليمن ويوغوسلافيا سابقاً وفرنسا وقد استفاد من تراث هذه البلدان الحضاري والأدبي.

وكانت ثقافة الشاعر محي الدين خريف موسوعية وقد كتب في العمودي والحر وتمثل إنتاجه الأدبي المنشور في مؤلفات كثيرة.

وقد حصل على عدة جوائز منها جائزة ساقية سيدي يوسف، وجائزة بلدية تونس لشعر الطفولة وجائزة البنك التونسي للشعر والجائزة التقديرية في الفنون والأدب للجمهورية التونسية، وجائزة الإبداع الشعري لمؤسسة البابطين في عام 1992.

ومن الدراسة الأدبية التي أصدرها، صور وذكريات مع مصطفى خريف، والعروض المختصر، ومختارات من الشعر العربي التونسي، ومختارات من شعر أحمد بن موسى، والشعر الشعبي في تونس: أوزانه وأنواعه.

أما في مجال أدب الأطفال فقدم لنا عدة إصدارات مثل: محفوظات للأطفال، والعصفور الأبيض. ومن إصداراته الشعرية، نبع العطاش وهي مجموعة شعرية تتكون من ثلاث وثلاثين قصيدة، تتوزع بين العمودي والحر وتتناول قضايا متنوعة وقد كتبها في أواخر الثمانينيات وأوائل التسعينيات، كذلك إصدار أسماء الله الحسنى وهي مجموعة شعرية تتكون من مائة قصيدة عمودية تحمل كل منها اسماً من أسماء الله الحسنى عنوانا، وقد نظمت ما بين سنتين 1995 و1996.

وإصدار نفحات الإيمان، وهي مجموعة شعرية تتضمن القصائد التي نظمها الشاعر في العمرة، في مناسبات متعددة، وهي عبارة عن ابتهالات روحية دينية.

أما في الجانب القصصي فنجد الصباح الطالع، وقصص الشتاء وقصص أبو دلامة.

توفي الشاعر والأديب التونسي محي الدين خريف، عن عمر ناهز 79 عاما، وقد نعت وزارة الثقافة التونسية خريف، وقالت في بيان لها انه بوفاته "تفقد الساحة الثقافية التونسية شاعراً كبيراً".

(٤٦) الأديب عبدالكريم غلاب

الكاتب والمؤرخ والروائي والأديب المغربي عبد الكريم غلاب، الذي ولد في مدينة فاس سنة 1919، وقد تلقى تعليمه الأول في المدارس الحرة ثم في كلية القرويين في عام 1932، وقد سافر بعدها إلى القاهرة في أكتوبر سنة 1937، حيث التحق بكلية الآداب بجامعة القاهرة (فؤاد الأول وقتها) سنة 1940 وتخرج فيها سنة 1944 من قسم اللغة العربية.

شارك عبد الكريم غلاب في العديد من الأنشطة أثناء فترة دراسته في الجامعة، حيث أصبح عضواً ممثلاً للطلبة العرب في الجامعة في سنة 1942، وبعد تخرجه في كلية الآداب وخلال الفترة من 1945 إلى 1947، عمل أستاذا في المدارس الثانوية المصرية.

واختاره زملاؤه المغاربة والجزائريون والتونسيون أمينا عاما لمؤتمر المغرب العربي الذي عقد سنة 1947 وعنه نشأ مكتب المغرب العربي الذي قاد الكفاح في سبيل استقلال المغرب والجزائر وتونس.

عاد عبد الكريم غلاب إلى المغرب في ديسمبر 1948 فترأس تحرير مجلة (رسالة المغرب) الثقافية الأسبوعية ثم الشهرية ابتداء من سنة 1949 حتى توقيفها بقرار من الإقامة العامة الفرنسية في ديسمبر 1952.

لكنه عمل في الوقت نفسه محررا في جريدة "العلم" اليومية حتى تم توقيفها، و ساهم في إعادة صدورها تحديا لقرار الإقامة الفرنسية في نوفمبر عام 1955.

لكنه استقال من منصبه في يناير 1959.

بدأ عبد الكريم غلاب بنشر محاولاته في الكتابة منذ عام 1936، حيث نشر أول مقال له في مجلة "الرسالة" القاهرية.

إلى أن وصل إنتاجه الأدبي إلى أكثر من 70 كتابا في الرواية والقصة والأدب والسياسة والفقه الدستوري وتاريخ المغرب.

كما فاز بجائزة المغرب للكتاب في الآداب ثلاث مرات عن رواياته: دفنا الماضي سنة 1968 والمعلم علي سنة 1974 وشروخ في المرايا سنة 1994.

وقد اختارت منظمة الثقافة العربية روايته "المعلم علي" من بين أفضل 105 روايات عربية نشرت عبر التاريخ ، وقد تم تدريسها في مختلف المدارس الثانوية عبر البلاد العربية.

وترجمت له عدة أعمال روائية للفرنسية والإسبانية والكتالانية والأردية والإيطالية.

كما كتبت عن أعماله الأدبية والروائية أكثر من خمسين أطروحة جامعية للدراسات العليا والدكتوراه في مختلف الجامعات المغربية.

ومن أشهر مؤلفاته في مجال الرواية، رواية سبعة أبواب، ورواية صباح ويزحف الليل ورواية وعاد الزورق إلى النبع.

أما من مؤلفاته في الرواية القصيرة نجد (رواية السد، ورواية أزمة البطل ورواية تحرير البطل ورواية آدم يبحث عن حواء ورواية المسؤولية ورواية الوردة الذابلة).

وفي مجال القصة نجد قصص (مات قرير العين وقصة الأرض حبيبتي وقصة وأخرجها من الجنة وقصة هذا الوجه أعرفه وقصة أكتب بالجسد وقصة أنانية متوحشة).

أما في مجال الدراسات الأدبية والفكرية، فأصدر (نبضات فكر، وفي الثقافة و الأدب، و رسالة فكر، وعالم شاعر الحمراء ومع الآدب، وملامح من شخصية علال الفاسي).

الرواية المغربية أعلنت انطلاقتها الحقيقة والفعلية من خلال روايات عبدالكريم غلاب، فمن خلال رواية "دفنا الماضي" أعلن عبد الكريم غلاب قدراته الإبداعية وطاقته التخيلية، وإمكانياته في رصد التحولات الاجتماعية وسبر أغوار الإنسان المغربي لفترة الاستقلال وما قبلها، وتحديد طبائعه وميوله.

فقد حافظت رواية "دفنا الماضي" على البناء الأول للحكايات والرواية بحيث تتقدم الأحداث انطلاقا من مبدأ التطور والتنامي ومن خلال تتبُّع الشخصية في مراحلها الحياتية المتنوعة وتطورها على مستوى الحالات النفسية والوضعية الاجتماعية.

أما الرواية الأخرى وهي رواية المعلم علي والتي كما أشرنا فاختيرت ضمن أفضل 105 روايات عربية عبر التاريخ.

وتعتبر رواية "المعلم علي" نموذجا دالا على الواقعية الحياتية، فإذا كانت رواية "دفنا الماضي" تتمثل في استرجاع الأحداث التاريخية وبناء القصة عليها فإن رواية "المعلم علي" انتقلت إلى الواقعية الحياتية، فظهر بها مفهوم النقابة والعمل النقابي ومفهوم القانون والحقوق الخاصة بالعمال والحقوق العامة التي تشمل بقية الفئات في المجتمع. وظهرت مفاهيم أخرى كالربح والإنتاج والعامل ورب العمل، والدفاع عن العمال والخروج بالعمل النقابي إلى العمل السياسي.

أما في رواية شروخ في المرايا، فإننا نقف على نقط للائتلاف وأخرى للاختلاف بينها وبين ما جاء في الروايتين السابقتين.

على مستوى البناء أو التقنية الكتابية فيبدو أن الائتلاف متحققٌ، أما على مستوى الموضوعات فهناك بعض الاختلاف.

تتأسس الكتابة عند المبدع عبد الكريم غلاب على الفكر، التَّفَكُّرِ في الأشياء، في الإنسان ومصيره والتاريخ وتقلباته، ومفهوم الحرية، والقانون، والعدالة، والأخلاق.

والتفكير في قضايا كبرى ومفاهيم ومقولات عليا غالبا ما تنحو جهة التراجيديا خصوصا أن المفكِّرَ لا يجد نفسه بعيدا عن الموضوعات التي يطرحها بل يتشَرَّبُها كيانهُ وتصبح قضيته الخصوصية ويتلخص في كيانه كل الوجود.

وما الشخصية المحورية إلاَّ مرآة تعكس لنا ما يجري وما يحدث في عالمنا من تحولات وكيف تؤثر في الإنسان.

وقد توفي الأديب عبد الكريم غلاب رحمه الله في عام 2006 وقد بلغ من العمر 87 عاماً قضاها في الأدب والمعرفة والفكر.

(٤٧) الأديب محمد تيمور

محمد تيمور، ابن أحمد تيمور باشا، ومن مؤسسي الأدب القصصي والمسرحي في مصر، ولد في عام 1892م.

سافر إلى باريس لدراسة القانون، غير أنه عاد منها إلى القاهرة مع اشتعال الحرب العالمية الأولى عام 1914.

وانصرف منذ ذلك الحين إلى كتابة القصص والمسرحيات، متأثراً فيها بالمذهب الواقعي.

اشترك محمد تيمور في تأسيس ((جمعية أنصار التمثيل)) ومثلت له على المسرح عدة كوميديات اجتماعية، مثل: "العصفور في القفص" و"الهاوية" وأوبريت "العشرة الطيبة" التي لحنها سيد درويش. وله مجموعة من القصص القصيرة بعنوان ((ما تراه العيون)).

وقد نشأ في أسرة عريقة على خلفية أدبية واسعة وعلم وجاه، رحل إلى برلين لدراسة الطب.

لكن حبه وشغفه بالأدب جعلاه يهاجر إلى فرنسا ليطلع على الأدب الأوربي عموما والأدب الفرنسي خصوصاً اللذين تركا الأثر الكبير في حياته وعلى قصصه وأعماله، ليعود إلى مصر بعد ثلاث سنوات عام 1914 فألف فرقة تمثيلية عائلية ووضع مسرحيات.

نهض محمد تيمور بالمسرح المصري من خلال مقالاته النقدية واقتراحاته التي استخدمها متأثراً بصورة كبيرة في المسرح الفرنسي.

وقد كانت علاقته قوية جداً بأخيه الأصغر- الكاتب ورائد القصة المصرية محمود تيمور وكانا قريبين جداً من بعض حيث كان محمود يعتبر أخاه الأكبر مثله الأعلى وخير مرشد له من خلال التمسك بنصائحه وتوجيهاته وآرائه السديدة بما يملكه من ثقافة واسعة وبعد النظر وحكمة للرأي.

حتى إن محمود تأثر به في كتاباته باتجاهه نحو المذهب الواقعي في الكتابة القصصية وألف مجموعته القصصية الأولى على غرارها.

شكلت كتابات محمد تيمور القصصية والمسرحية والشعرية والفكرية منظومة إبداعية متكاملة في مجال تحديث الأدب والفكر العربي حتى ان بعض المؤلفين قسموا الحياة الأدبية إلى عصرين هما عصر ما قبل تيمور وعصر ما بعد تيمور.

فكانت كتاباته هي البداية الحقيقية للأدب العصري الحديث وبرع أيضاً في مجال القصة بوعي بناء فني ومضمون فكري وإرساء تقاليد القصة القصيرة باعتماده على موهبته الفذة وحسه الفني وثقافته الواسعة والسنين التي أمضاها في ربوع أوروبا بالإضافة إلى التحامه مع قضايا مجتمعه المصري فلم تكن إبداعاته محاكاة شكلية لأنماط الأدب الغربي بل كانت وسيلة لتوظيفها بتجسيد بلورة المضامين التي تهم أبناء شعبه.

برز وعي محمد تيمور المبكر بتقنيات القصة القصيرة فوقتها لم يكن لفن القصة والرواية أية تقاليد سابقة في الأدب العربي وربما مواكبته لإنجازات رواد القصة كإدجار ألان بو وتشيخوف ومعاصرته لإرنست همنغواي التأثير الكبير لوضع القواعد الأساسية للقصة.

وقد بدأت ريادة محمد تيمور في المسرح بمسرحية العصفور في القفص عام 1918 حتى مسرحية الهاوية 1921 بأسلوب تحديثي للأدب المصري وبفن المسرحية القومية الأصيلة.

فلم يكن يلجأ للاقتباس أو الرجوع للتاريخ والتراث كما كان يفعل غيره.

وقد جمع بين قراءة التراث العالمي في فنون القصة والمسرحية وبين قراءة الحياة المعاصرة بكل قضاياها وصراعاتها وتفاعلاتها.

ولعل أهم قضية أو القضايا التي تعامل معه في مسرحياته مفهوم الأسرة والعلاقات العاطفية التي يجب النظر إليها في ضوء علمي وموضوعي وعالجها

بأسلوب منطقي عقلاني فريد حتى تسير في بحر هادئ لا تعكره أمواج الانحراف والتشتت.

وقد شغلت الطبقة المتوسطة معظم أعماله بوصفها العمود الفقري للمجتمع وجسرا للتواصل بين الطبقة العليا والدنيا.

ولولا مقالات محمد النقدية عن الحياة المسرحية في عصره لما عرفنا الكثير عن نجومها وعروضها بكل ما تشمله معدات المسرح من تأليف، وإخراج، وديكور وملابس وإضاءة وربما لم يكن حينها يوجد ناقد مسرحي آخر سوى محمد تيمور.

ترأس (تيمور) أكثر من هيئة تمثيلية، وعمل مخرجاً وممثلاً فيها، غير أن حياته في فن التمثيل ليست بالحياة الطويلة، ولكنها على قصرها رسمت فن الممثل في نسقه العالي حيث أقام مدرسة لفن الإلقاء والتجويد لم تكن معروفة في ذلك الوقت، لأنها مدرسة كانت تقوم على الاعتدال والاتزان وصدق التعبير وجمال التأثير.

وقد جمع تيمور في إلقائه قوة التصور والإدراك إلى قوة الأداء والتعبير في تلك البساطة الغنية والحذق الباهر الذي يعمل على إرخاص الحواشي وإعلاء جوهر الكلام، والذي يحمل التأثير إلى قلوب المستمعين، لا إلى آذانهم.

هكذا شق تيمور الفجر الأول لما يجب أن يكون عليه الإلقاء والتمثيل من جانب الممثل والملقي إلا أن الحركة التمثيلية لم تستفد الإفادة كلها من مواهب تيمور الممثل؛ لأنه لم يكن في وسع تيمور لظروف بيئته أن يحترف التمثيل في الفرق العاملة.

كذلك برع محمد تيمور في القصة القصيرة والمسرحية بالإضافة إلى كتابة المقالة والتعليق والتحليل بوصفها أدوات تنير الدرب أمام القارئ وتحدث فكره.

ولعلنا لا ننسى انه كان شاعرا من الطراز الأول فقد نظم الشعر بطريقة وجدانية رقيقة وبسلاسة جميلة.

وقد شعر محمد بدنو أجله وهو في ربيع العمر فقال:

هيئوا لي باطن الأرض قبرا ودعوني أنام تحت التراب - في ظلام القبور راحة نفسي ومن النور شقوتي وعذابي.

وقد وافته المنية في الرابع والعشرين من شهر فبراير عام 1921 عن عمر يناهز التاسعة والعشرين تاركا وراءه إرثا فكريا ضخما وإنجازا أدبيا واسعا بفترة لا تتخطى الثماني سنوات من 1913 وحتى 1921.

فكم خسر العالم عبقريا فذا وأديبا رفيع المستوى وهو بعد لم يكمل عقده الثالث.

وقد نشرت مؤلفاته بعد مماته في ثلاثة مجلدات وميض الروح (ديوان شعره وكتاباته الأدبية وبعض القصص والخواطر) وحياتنا التمثيلية (تاريخ التمثيل، نقد الممثلين، رواية الهاوية) والمسرح المصري (عبد الستار أفندي، العصفور في القفص) وما تراه العيون (مجموعة قصصية) الأقاصيص المصرية.

كرمته الحكومة المصرية تخليدا لذكراه حيث أصدرت جائزة محمد تيمور للإبداع المسرحي العربي.

(٤٨) الشاعرة فدوى طوقان

شخصيتنا من فلسطين، تعتبر من أهم شاعرات فلسطين في القرن العشرين من مدينة نابلس تحديداً وهي من إحدى أعرق عائلات فلسطين، ولقبت بشاعرة فلسطين، حيث مثّل شعرها أساساً قوياً للتجارب الأنثوية في الحب والثورة واحتجاج المرأة على المجتمع.

هي فدوى عبد الفتاح آغا طوقان ولدت في عام 1917 بفلسطين، وتحمل الجنسية الأردنية.

تلقت تعليمها الابتدائي في نابلس ثم ثقفت نفسها بنفسها، والتحقت بدورات اللغة الإنجليزية والأدب الإنجليزي.

وفدوى طوقان كانت عضوا في مجلس أمناء جامعة النجاح بنابلس، وحضرت العديد من المهرجانات والمؤتمرات العربية والأجنبية.

وقد حصلت فدوى طوقان الشاعرة على عدد كبير من الجوائز، مثل جائزة رابطة الكتاب الأردنيين 1983، وجائزة سلطان العويس 1987، وجائزة ساليرنو للشعر من إيطاليا، ووسام فلسطين، وجائزة مؤسسة عبد العزيز سعود البابطين للإبداع الشعري 1994.

وقد تعرفت إلى عالم الشعر عن طريق أخيها الشاعر إبراهيم طوقان، وقد عالج شعرها الموضوعات الشخصية والاجتماعية.

وهي من أوائل الشعراء الذين عملوا على تجسيد العواطف في شعرهم، وقد وضعت بذلك أساسيات قوية للتجارب الأنثوية في الحب والثورة، واحتجاج المرأة على المجتمع.

ولشعرها مراحل، فقد تحولت من الشعر الرومانسي إلى الشعر الحر ثم هيمنت على شعرها موضوعات المقاومة بعد سقوط بلدها.

صدرت عنها دراسات أكاديمية (للماجستير والدكتوراه) في عدد من

الجامعات العربية والأجنبية، كما كتبت عنها دراسات متفرقة في الصحف والمجلات العربية، إلى جانب كتابات أخرى لكل من إبراهيم العلم، وخليل أبو أصبع، وبنت الشاطئ وروحية القليني، وهاني أبو غضيب، وعبير أبو زيد وغيرها .

تركت فدوى طوقان مقاعد الدراسة واستمرت في تثقيف نفسها، ثم درست على يد أخيها شاعر فلسطين الكبير إبراهيم طوقان، الذي نمى مواهبها ووجهها نحو كتابة الشعر.

كما شجعها على نشره في العديد من الصحف العربية، وأسماها "أم تمّام"، ثم أسماها محمود درويش لاحقاً "أم الشعر الفلسطيني".

ومع أنها وقّعت قصائدها الأولى باسم "دنانير"، وهو اسم جارية، إلا أن أحب أسمائها المستعارة إلى قلبها كان "المطوّقة" لأنه يتضمن إشارة مزدوجة، بل تورية فصيحة إلى حال الشاعرة بالتحديد.

فالمطوقة تعني انتسابها إلى عائلة طوقان المعروفة، وترمز، في الوقت نفسه، إلى أحوالها في مجتمع تقليدي غير رحيم.

وقد توالت النكبات في حياة فدوى طوقان بعدما توفي والدها ثم أخوها ومعلمها إبراهيم، وأعقب ذلك احتلال فلسطين إبان نكبة 1948.

وقد تركت تلك المآسي المتلاحقة أثرها الواضح في نفسية فدوى طوقان كما يتبين من شعرها في ديوانها الأول وحدي مع الأيام.

وفي الوقت نفسه فإن ذلك دفع فدوى طوقان إلى المشاركة في الحياة السياسية خلال الخمسينيات من القرن الماضي.

سافرت فدوى طوقان إلى لندن في بداية الستينيات من القرن الماضي، وأقامت هناك سنتين، وفتحت لها هذه الإقامة آفاقًا معرفية وإنسانية حيث جعلتها على تماسٍ مع منجزات الحضارة الأوروبيّة الحديثة.

وبعد نكسة حزيران 1967، خرجت من قوقعتها لتشارك في الحياة العامة

في نابلس، فبدأت بحضور المؤتمرات واللقاءات والندوات التي كان يعقدها الشعراء الفلسطينيون البارزون من أمثال محمود درويش وسميح القاسم وتوفيق زياد وسالم جبران وإميل حبيبي وغيرهم.

ومن الكتب حول الشاعرة فدوى طوقان كتاب: (من إبراهيم طوقان إلى شقيقته فدوى)، وهو كتاب يكشف دور الشاعر إبراهيم طوقان في تثقيف أخته عبر الرسائل.

وفيه يطالب الشاعر إبراهيم أخته الشاعرة فدوى - بمطالب تتعلق باللغة والوزن والصورة، وفي سبيل تطوير أدواتها، وكان المصدر الأول الذي يحقق ذلك هو القرآن.

وصدر أيضاً كتاب آخر حمل عنوان "رسائل إبراهيم طوقان إلى شقيقته فدوى".

وعلى هذا الصعيد تكشف الرسائل مدى الجهد الذي يبذله الطرفان للوصول الى الهدف فهو يرشدها الى قواعد اللغة والى قوانين الشعر، ويقترح لها فيما تقرأ ، وفيما تكتب ويصحح لها، وحين يطمئن إلى مستوى معقول يدفعها لتدفع بشعرها للنشر.

كانت فدوى طوقان أشهر من عرف في عهد الانتداب من الشعراء وكذلك أبو سلمى الذي استقر في دمشق.

وقد تميزت قصائد أبو سلمى بعد 48 باهتزاز الرؤية وفقدان الثقة، أما فدوى طوقان فقد تطورت بشكل مختلف فأغنت الشعر العربي بالشعر الرشيق الذي يعبر عن اكتشاف الأنثى لذاتها.

فقد نسجت في المرحلة الأولى على منوال الشعر العمودي وقد ظهر ذلك جليا في ديواني (وحدي مع الأيام) و(وجدتها) وشعرها يتسم بالنزعة الرومانسية.

وفي المرحلة الثانية اتسمت أشعارها بالرمزية والواقعية وغلبه الشعر الحر وتتضح هذه السمات في ديوانيها (أمام الباب المغلق) و(والليل والفرسان).

بدأت الشاعرة فدوى طوقان مع القصيدة التقليدية العمودية، لتقتنع بعدها بقصيدة التفعيلة، مشيرة إلى أنها تعطي للشاعر فسحة ومجالا أكثر.

كما إنها تقول إن قصيدة التفعيلة سهلت وجود شعر المسرح.

وفي مساء الثاني عشر من شهر ديسمبر عام 2003 ودعت فدوى طوقان الدنيا عن عمر يناهز السادسة والثمانين عامًا قضتها مناضلة بكلماتها وأشعارها في سبيل حرية فلسطين.

(٤٩) الأديب محمد عبد الحليم عبد الله

شهد الخطاب الروائي والقصصي العربي تطورات جوهرية مهمة شملت المعنى، والمبنى، والرؤية والاداة.

وشمل التطور الروائي أيضا ملامح الشكل، وعمارة السرد، وتداخلت العناصر المختلفة للقص وامتزجت أدواتها، وتطور الاداء اللغوي فيها، وأصبح واقع القصة والرواية العربية في رهان مع الزمن، وفي سباق معه لإضافة أبعاد جديدة تثري هذا الفن.

وقد كان جيل الوسط من كتاب القصة والرواية في مصر، والذي ضم كلاً من نجيب محفوظ، ويوسف ادريس، ويوسف السباعي، وأمين يوسف غراب، وعبد الرحمن الشرقاوي، وإحسان عبد القدوس، وسعد مكاوي ومحمد عبد الحليم عبد الله، هم أصحاب الفضل الكبير في هذا التطور الذي شهدته القصة والرواية العربية، حيث أرسى هذا الجيل دعائم المشهد الروائي والقصصي المعاصر.

ولأن لكل مجال مقالاً فإن ما يهمنا من هذا الجيل المتميز هو الأديب محمد عبد الحليم عبد الله روائي الدلتا كما أطلق عليه المستشرق الفرنسي الأب جوردان مونو في بحث له نشره في مجلة ميديو عام 1966.

كانت حياة الأديب محمد عبد الحليم عبد الله في حد ذاتها نموذجاً ابداعياً استطاع أن ينهل من نبعها أعمالاً أدبية فرضت نفسها على الساحة الأدبية في وقت كانت القصة والرواية تعيش مخاضها الحقيقي في ساحة الأدب.

ولد محمد عبد الحليم عبد الله في كفر بولين مركز كوم حماده في محافظة البحيرة في 20 مارس عام 1913 وكانت وفاته بالقرب منها في 30 يونيو عام 1970.

وخلال هذه السنوات المليئة بزخم الحياة المضطربة على المستويين العام والخاص، عاش محمد عبد الحليم عبد الله رحلة عمره في أسرة ريفية فقيرة جاهدت قدر استطاعتها في توفير الحياة الكريمة لها ولأولادها.

حفظ شيئا من القرآن منذ نعومة أظفاره في كتاب القرية، ثم أتم تعليمه بين معهد الاسكندرية الديني، ومدرسة المعلمين الاولية بالقاهرة، ثم التحق بمدرسة دار العلوم وتخرج فيها عام 1937.

وقد برز اسم محمد عبد الحليم عبد الله في مجالات المسابقات الادبية منذ عام 1947 حين فاز بجائزة السيدة "هدى شعراوي" من مجمع اللغة العربية بالقاهرة عن روايته "لقيطة".

كما فاز أيضا عام 1948 بجائزة القصة القصيرة التي أقامتها دار الهلال عن قصته "ابن العمدة"، وفاز عام 1949 بجائزة وزارة المعارف عن روايته "بعد الغروب"، كما فاز الفيلم المأخوذ عن روايته "لقيطة" بجائزة وزارة الشؤون الاجتماعية عام 1952.

وفي عام 1953 فاز بجائزة الدولة عن روايته "شمس الخريف".

وفي عام 1973 منح اسم محمد عبد الحليم عبد الله وسام الجمهورية تقديرا له على دوره الكبير الذى أسداه للأدب وللحركة الروائية والقصصية في مصر.

قدم محمد عبد الحليم عبد الله خلال حياته الأدبية عددا كبيرا من الأعمال الروائية والقصصية والنقدية والحوارية، منها أربعة عشرا عملا روائيا وهي كالتالي: "لقيطة" عام 1947، و"بعد الغروب" عام 1949، و"شجرة اللبلاب" عام 1950، و"الوشاح الأبيض" عام 1950، و"شمس الخريف" عام 1951، و "غصن الزيتون" عام 1955، و "من أجل ولدي" عام 1957، و"سكون العاصفة" عام 1960، و"الجنة العذراء" عام 1963، و"الباحث عن الحقيقة" عام 1966، و "البيت الصامت" عام 1966، و"للزمن بقية" عام 1969، و"قصة لم تتم" عام 1971.

هذا إلى جانب تسع مجموعات قصصية وهي: "النافذة الغربية" عام 1954، و"أشياء للذكرى" عام 1956، و"الماضي لا يعود" عام 1956، و"ألوان من السعادة" عام 1958، و"الضفيرة السوداء" عام 1965، و"حافة

الجريمة" عام 1966، و"خيوط النور" عام 1967، و"أسطورة من كتاب الحب" عام 1968، و"جولييت فوق سطح القمر" عام 1970.

كما صدر له ثلاث كتب نقدية وحوارية بعد وفاته هي: "لقاء بين جيلين" عام 1973، و"قضايا ومعارك أدبية" عام 1975، و"الوجه الآخر" عام 1977.

وقد ترجمت بعض أعماله الى العديد من اللغات الأجنبية، كما تدخلت الدراما والسينما في تحويل العديد من أعماله الروائية الى أفلام سينمائية.

وأصبح بذلك من الأدباء الذين انضموا بإبداعهم الروائي والقصصي الى قافلة الأفلام الروائية. وهكذا أصبح ابن كفر بولين مركز كوم حمادة واحداً من أشهر كتاب القصة والرواية في مصر والعالم العربي.

وأصبح اتجاهه الأدبي يقف على قدم المساواة مع هذا التيار الذي كان يتزعمه المنفلوطي ومحمود كامل المحامي في فن القصة والرواية وهو التيار الرومانسي الذي ارتبط بأعمال العديد من كتاب هذا اللون من الإبداع، والذي تحّول بعد ذلك إلى الواقعية من خلال العديد من الأعمال الروائية والقصصية.

لقد كان محمد عبد الحليم عبد الله علامة مهمة في مسيرة الرواية والقصة العربية وذلك منذ أن ظهرت قصته الطويلة "لقيطة" عام 1947 وحتى صدور روايته الاخيرة "قصة لم تتم" والتي لم تستكمل فصولها بسبب رحيله المفاجئ عام 1970.

إذ انه كان وسط جيله من الروائيين والقصاصين يمثل اتجاها له خصوصيته اتكأ فيه على أزمة الانسان الفرد بوجوهها المتعددة وسط رحابة الواقع وجهامته.

كما أنه اهتم اهتماما كبيرا بعمق المشاعر والاحاسيس الانسانية، وما تنبض به العواطف من انفعالات ورؤى ذاتية.

وكشف عن كثير من أطوار النفس البشرية، والنوازع النفسية التي تحكم أغوارها العميقة، وقد أخلص لهذه المهمة منذ الفترة الاولى لفنه في أواخر الاربعينيات.

واستمر يعزف على النغم العاطفي المتوهج قرابة ربع قرن من الزمان محاولا في كل مرة أن يضيف لمسة أو يبتدع ايقاعا.

وأن يثري الفن القصصي والروائي برحابة التجربة الانسانية التي اضطلع بمسؤولية تمثيلها في واقع الرواية العربية، حيث وهب من صفاء الحس القصصي والروائي، والكفاءة العالية في الخلق والإبداع ما جعله يدفع بهذا الفن خطوات واسعة الى الأمام، حتى أصبحت روايات محمد عبد الحليم عبد الله ومجموعاته القصصية أكثر الكتب مبيعاً واقبالاً من جمهور القراء بل تفوقت في ذلك على روايات نجيب محفوظ نفسه في فترة الخمسينيات والستينيات.

كانت لحياة محمد عبد الحليم عبد الله الخاصة انعكاسا كبيرا على ابداعه القصصي والروائي، كما انعكست آثار الواقع الاجتماعي والسياسي المعاصر له على هذا الابداع.

وكان في داخله بركان كبير تتدافع فيه الانفعالات، وتتصارع الخواطر، وتفور الاحلام والاماني، وكانت كل الصور التي تتفاعل داخله هي الفكر المطلق لدى أبطال قصصه ورواياته التي بلغت ما يزيد على 26 عملا أدبيا.

والمتتبع لإبداعات محمد عبد الحليم عبد الله في مجالات القصة والرواية والنقد يجد أن حياته الابداعية قد تشكلت خطوطها من خلال حياته الاجتماعية الخاصة الريفية والمدنية، وأثناء طفولته في قرية كفر بولين، وفي معاناته من الغربة في مجتمع المدينة أثناء دراسته في مرحلة الصبا والشباب.

فقد كان قد انفصل عن أسرته وسنه لم يتجاوز الخامسة عشر وعاش وحيدا بالقاهرة يبحث عن العلم والمعرفة.

وكان إحساسه بالغربة في هذه السن المبكرة، مع الحرمان المادي والمعنوي وبُعده عن الاهل والاصحاب دافعا الى التأمل في هذه المتناقضات التي تحفل بها حياة المدينة الواسعة المزدحمة المليئة بالصخب والعنف والتعقيد.

كان احساس محمد عبد الحليم عبد الله بالفقر والحاجة خاصة وقد كان أعمامه على شيء من المال والثراء.

وكان ذلك دافعا له الى الشعور بالتمرد والثورة الدائمة خاصة حين يرى والديه في معاناتهم لتوفير الحياة البسيطة له ولأخواته.

بينما بقية عائلته تعيش في وضع ميسور الحال، وكانت أحلامه الطموحة خلال سنين عمره المختلفة هي البحث الدائم عن طريق للخلاص، ومحاولة الوصول بأي صورة إلى المدينة الفاضلة.

فكان إبداعه الأدبي يتأرجح بين الشك واليقين، وبين الخير والشر، وبين الثورة والتمرد والجنوح إلى الرومانسية والعاطفة الجياشة، والبحث عن الحق والخير والجمال وسط جو مشحون بالهموم والمعاناة والواقع المادي السيئ.

كما كانت طبيعته الخاصة الهادئة التي تشكلت من خلال حس مرهف وذوق مميز، وتناول شاعري، وحساسية زائدة، وميل إلى الحرية، ونزوع إلى العاطفة أثره الكبير في ظهور أعماله القصصية والروائية وهي تحمل هذا الزخم من الانفعالات والمشاعر الإنسانية المتدفقة.

بالإضافة إلى أنه كان منذ صغره يحمل على كتفيه هموم قريته وآلامها، ويحمل في أعماقه روحها وأحلامها حيث ترسبت في أعماقه ملامح الروح الشعبية كأي قروي عاش في الريف المصري، وتشبع بحياة هذا الريف قلبا وقالبا.

كما أن الظروف القوية التي تعرض لها محمد عبد الحليم عبد الله في سنوات عمره المبكرة كانت هي الأخرى لها تأثيرها وبصمتها وانعكاسها على الاهتمام بقضايا المجتمع والفرد في ابداعه القصصي والروائي خاصة حينما تطورت مسيرته الروائية والقصصية واقترب بها من حدود الواقعية.

وكما قال عنه الأب جوردان مونو في نهاية دراسته التي نشرها في منتصف الستينيات: "الإنسانية! هذه هي الصفة اللازمة لمحمد عبد الحليم عبد الله، إنه رجل يكتب للكائنات الحية، يكتب للبشر ليستزيدهم إنسانية.

عند بلوغ الأديب محمد عبد الحليم عبد الله الخمسين من عمره أصبح كاتبا في أوج انتاجه، ويمكن الجزم بأن محمد عبد الحليم عبد الله قد فرض نفسه كروائي لدلتا مصر.

إنه روائي الدلتا المصرية، أي ذلك المثلث الأخضر المعلق على خريطة مصر بوساطة أكبر مدينتين في قارة أفريقيا.

فمن البحر الأبيض المتوسط حتى جبل المقطم، يسبح محمد عبد الحليم عبد الله لتلك الأرض الخضراء الخصبة المليئة بالخيرات والمتناقضات، أيضا الإسكندرية والقاهرة والريف المزدحم وقد سقاها النيل.

إنه روائي الدلتا الداخلية، لأنه يقودنا إلى داخل الإنسان.

وسوف نكتشف في أعماله صفحات تصف الشواطئ التي تقصفها الريح رمالا ساخنة هجرها الحب.

وقد امتزجت حياة محمد عبد الحليم عبد الله مع إبداعاته وتوحدا معا حتى أصبحا نهرا وحياة واحدة. وكان تيار فكره يتدفق، حيث تعددت المنابع وتعددت المصبات، وفاض النهر الكبير بهذا الإبداع القصصي الثري.

وكان توهجه ثمرة حياة خصبة رائعة، تتضح أكثر في عناوين أعماله الروائية والقصصية ذات الدلالة الموحية.

إنه الإلهام الخفي الذي يقع في النفوس المقبلة على الحياة وعلى الموت في آن واحد.

وكان ميلاد محمد عبد الحليم عبد الله مرتين وموته مرتين أيضا، كان ميلاده الأول في قريته الريفية الوادعة، وكان ميلاده الثاني حين بدأت ينابيع إبداعه تثري الحياة الأدبية، وكانت محاولة موته الأولى على يد خفافيش الحياة الأدبية الذين رأوا فيه خطرا يهدد إبداعاتهم الجديدة التي أرادوا لها الذيوع والانتشار، فحاولوا التعتيم على أعماله الأدبية وحاولوا وأد هذه الأعمال نقديا، وأهمله النقد فترة من الزمن، وقد سبب له هذا الإهمال المتعمد جرحا لم يشف منه حتى رحيله عن الدنيا في منتصف السبعينيات.

كشفت الدكتورة بنت الشاطئ في مقال لها بجريدة الأهرام "في الثالث من فبراير عام 1961" عن حقيقة مهمة في وحدة النظرة والأسلوب في أعمال محمد عبد الحليم عبد الله الروائية حين قالت بأن الشك منذ رواية "لقيطة"

إلى رواية "من أجل ولدي" هو العمود الفقري للبناء الروائي عند محمد عبد الحليم عبد الله.

وهو ليس شكا فلسفيا يعكس صدمة الفنان إزاء الكون والمجتمع، إنما هو شك "عاطفي" لا تؤيده الشواهد العقلية، بل تسنده وتدعمه طفولة ثابتة في وعي الفنان لم يتجاوزها، طفولة تعيسة ينسج خيوطها الحرمان.

وكان من الممكن لهذا الشك لو لم تحدث حالة التثبيت هذه التي أغلقت على البطل الباب للأبد، أن يكون مرآة لاهتزاز القيم في وجدان الشخصية القادمة من الريف إلى المدينة لأول مرة.

ولكن المدينة في أدب محمد عبد الحليم عبد الله لم تكن إلا امتدادا للقرية بكل ما فيها.

ولعل أقوى نماذج الشك يبدو في رواية "شجرة اللبلاب"، فإذا كانت رواية "لقيطة" هي بداية الشك الذي أثمر الشخصية المحورية للرواية "ليلى"، فإن رواية "بعد الغروب" هي اشعال لنار هذا الشك بعد أن استسلمت "أميرة" للأمر الواقع الذي وضعها فيه أبوها قبل وفاته.

ووافقت على الزواج من ابن عمها، تاركة حبيبها عبد العزيز يتخبط حائرا أمام حبه الضائع، بعد أن كان قاب قوسين أو أدنى من الزواج منها.

التيار الأساسي للأحداث في روايات محمد عبد الحليم عبد الله، بقي متسما بالمثالية الكاذبة.

ففي رواية "شجرة اللبلاب" اقترب بها المؤلف من واقعية الأحداث والشخوص وإن كان ذلك في المشاهد الجزئية حيث أدت إلى اغراق "زينب" في حبها لـ "حسني" الذي كان يقيم بحجرة في الطابق الثالث من منزل أسرتها بقلعة الكبش خلال دراسته الثانوية والجامعية.

ويلاحظ هنا وجه الشبه بين شخصية حسني وشخصية محمد عبد الحليم عبد الله أثناء دراسته الثانوية والجامعية في القاهرة.

وقد دفعت مثالية "زينب" الزائدة إلى الانتحار حين أعرض عنها حسني ولم يرد على خطاباتها إليه بالقرية في صيف أحد الأعوام.

إن مثل هذا السلوك من جانب زينب وصمها بالسلبية والعجز في مقاومة الواقع فضلاً عن أن انقطاع حسني عن الرد على رسائلها ليس سبباً قوياً للتضحية بحياتها من أجله.

وتمثل تلك الروايات تجارب الفن الروائي الأولى عند محمد عبد الحليم عبد الله، أما الميلاد الحقيقي لهذا الفن عنده فيبدو في روايته "شمس الخريف" إذ يتخفف فيها كثيرا من أثقال الرؤية المثالية، وتتضح مقدرته الفنية في الاقتراب كثيرا من الواقع الحي، وخلق شخوصه ومواقفه من هذا الواقع، والنفاذ إلى بواطنها بعين الفنان.

والصراع هنا متعدد الحلقات والأطراف، يبدأ داخل الأسرة وينتهي بها، وفي كل منها تتركز حرارته حول شخص واحد في ارتباطاته الأسرية والعاطفية.

"فمختار علي" بطل الرواية ولد بالإسكندرية وعاش بها وهو صبي في كنف أمه التي كانت ترعاه بعد وفاة أبيه.

ويبدو أن خلافها السابق مع أبيه كان له دخل في تشكيل هذه العلاقة، وربما ساعد على توترها تخلفه في دراسته وكثرة رسوبه.

وزاد ذلك تعرف احدى سيدات الاسكندرية بأمه، واختلاطها بها حتى أغرتها أخيرا بالزواج من رب اسرة يدعى "عباس" يعمل بالتعليم الابتدائي، وكان قد استأجر غرفتين من شقة "أم مختار" في فصل الصيف.

وقد أثار هذا الزواج في نفس مختار عاصفة من الغيرة والكراهية، عبر عنه تعبيرا قاسيا أليما حين أشار إلى أن أطرف ما تمناه في ليلة الزواج الأولى أن يتخاصم كل زوجين على رقعة الأرض، فيدير كل منهما ظهره للآخر، فيختلف الشريكان، ويتنافر القلبان، وتسري العداوة والبغضاء بين

الذكر والأنثى: "وتمنيت أن يبقى التدابر والتقاطع بعد ذلك إلى ما شاء الله حتى تهلك الأرض بالفناء البطيء".

ولم تكن نفس مختار مسرحا لهذا الصراع وحده، إنما أضيف إليه صراع من لون آخر هو صراع الحب الذي نشأ بينه وبين فتاة ريفية تعرف عليها حين كان يهرب من مدرسته، ويمضى إليها على دراجته ليقضي يومه هناك.

ولم يزايله هذا الصراع بآلامه وأشواقه إلا حين هرب إلى القاهرة بعد أن تعب من صراعاته المتعددة، واستشعر الغربة في بيته مع أمه وزوجها.

وفي القاهرة بلغت به المعاناة مبلغها حتى عين ساعي بريد، ومن خلال عمله تعرف على مدرسة سابقة، نمت العلاقة بينهما حتى أصبحت حبا عميقا.

الصراع في الرواية متعدد الحلقات ومختار هو المحور الثابت لهذا الصراع، وفي كل منها ينفذ الكاتب إلى أعماق الشخصيات ليستخرج ما يدور فيها من عواطف وأحاسيس.

عاطفة الأمومة للابن واحساس الغيرة والحقد تجاه زوج الأم، واحساس بالحب والحنان افتقده مختار عند أمه فوجده" عند "سكينة" وأبويها الكريمين، وأخيرا الحب للأنثى بعد ان استوى رجلا يتطلع إلى حياة الأسرة.

لعل أحب روايات محمد عبد الحليم عبد الله الى نفسه هي رواية "بعد الغروب" لأن فيها كثيرا من ذكرياته العاطفية والاجتماعية، وهو فيها يغترف من ذاته، ويسجل واقعه المعيشي باعتماده على ذكرياته الخاصة.

وفي ذلك يقول: "انني في عملي الروائي اغترف دائما من ذكريات وتجارب عمرها لا يقل عن عشر سنوات".

ويقول: "إن حادثة حب، أو أي تجربة اجتماعية أخرى لتستأثر بكل مشاعري وأنا معايش لها بحيث يكون مثلي كمثل أي شخص لا يعرف الكتابة مع فرق واحد هو أنني أكون شديد الإحساس بها من غيري".

كما يقول أيضا: "الشخصية القصصية بالنسبة للروائي مستمدة من أعمق ذكرياته، وأصدق تجاربه، ويتم تكوينها في جو نفسي متعادل، لا يشوبه الانفعال الحاد الذي يكون بمنزلة الحرارة القاتلة بالنسبة للأحياء، ولا الفتور الذي يتنافى مع طبيعة نفس الفنان.

وتكاد رواية بعد الغروب تنطبق بما كان يخفيه الكاتب في صدره من معاناة وتضحية وصبر على الشدائد، ولا شك في أن محمد عبد الحليم عبد الله كان مترجما ذاتيا لذاته في أغلب رواياته وقصصه.

توفي الأديب محمد عبد الحليم عبد الله في الثلاثين من يونيو عام 1970 عن عمر ناهز السابعة والخمسين عام.

(٥٠) الأديب سعد مكاوي

الأديب سعد مكاوي ولد في السادس عشر من أغسطس عام 1916 بقرية "الدلاتون" التابعة لمحافظة المنوفية في جمهورية مصر.

وهي القرية نفسها التي شهدت مولد صديقه وزميله عبد الرحمن الشرقاوي، والتي مثلت النبع نفسه الذي اغترف منه مكاوي والشرقاوي مظاهر الحياة في القرية المصرية .

كانت مكتبة أبيه في البيت الذي أمضى فيه أعوام النشأة بالقرية هي المصدر الأول والأهم لتكوينه الثقافي المبكر.

تعرف من خلال ما تضمه هذه المكتبة من كتب الأدب والتاريخ والسياسة والتراث بالإضافة الى جوانب شتى من المعرفة الإنسانية.

ولعله يمكن القول إنها كانت هي البداية التي استفزت الفنان في وجدان سعد مكاوي الصبي، قبل أن يسافر الى القاهرة، ليحصل فيها على شهادة الثانوية العامة.

ثم سافر الى فرنسا، وأمضى عاماً واحداً بكلية الطب بجامعة مونبلييه، ثم دفعه حب الأدب الى الالتحاق بكلية الآداب بجامعة السوربون.

وقد أتيح لسعد مكاوي في أثناء إقامته بفرنسا خلال الفترة من عام 1936 حتى عام 1939، فرصة التعرف الى الآداب والفنون، والثقافة الأوروبية عموماً، في أحدث معطياتها .

وهذا ما انعكس في كتاباته التي عنيت بالموسيقى والفن التشكيلي وغيرهما من الفنون، بالإضافة الى الترجمة التي لم تقتصر على الأدب، إنما عنيت في مختلف المجالات الإنسانية المختلفة.

عاد سعد مكاوي الى القاهرة ليمارس العديد من الأعمال المعبرة عن اهتماماته الثقافية والفنية، فقد عمل محرراً أدبياً في صحف "المصري" و"الشعب" و"الجمهورية" .

وكان آخر المناصب التي تولاها رئاسة هيئة المسرح، وعندما أحيل الى التقاعد تفرغ للكتابة الإبداعية.

وقد تزوج سعد مكاوي في عام 1953، وأنجب ولداً وبنتاً، يعملان مهندسين معماريين، وقد انضم الى عضوية نقابة الصحفيين، وكان من الأعضاء المؤسسين لاتحاد الكتاب.

أما سبب قلة الدراسات التي اهتمت بأعمال سعد مكاوي، فهي لم تكن نتيجة إهمال من جانب النقاد، بقدر ما كانت حرصاً من الفنان على أن يبدع بعيداً عن أضواء وسائل الإعلام، مع أنه كان إعلامياً، ومن تجمعات الأدباء والمثقفين.

وقد كانت العزلة، في تقديره، شرطاً مهماً من شروط الإبداع الفني، فهي تهبه القدرة على الرصد والمراقبة والتأمل واكتساب الخبرات، وإفراز ذلك كله في إبداعات تتخلق من داخلها دون أن يحاول المبدع أن يقحم عليها فكرة ربما لا يتقبلها السياق.

وحين يتحدث عن الفنان التشكيلي، فكأنه يتحدث عن نفسه، فهو الفنان التشكيلي، يعمل في عزلة خصبة، تيسرها له قناعة جميلة، وطبع أصيل فطر على ازدراء الصيت الرخيص، وتقديس الفن الكريم.

فسعد مكاوي لا يتبع نظرية معينة، ولا يدق الطبول لنظرية ما، لكنه يرى أن الفن كائن حر وحي، ينمو ويتطور.

فلا نظرية فيه ولا مذهب، ولا قديم ولا جديد، وإنما هو نهر دافق عبر الأجيال من الإحساس الذاتي للفنان بما يدور حوله، وفي نفسه موصول بكفاح الماضي وقيمه، وانطلاقات المستقبل وآفاقه.

اختار معظم أدباء جيل الوسط، أو جيل الأربعينيات، جنساً أدبياً واحداً، يقصر كل منهم غالبية إبداعه عليه.

ذلك ما فعله نجيب محفوظ حين تحددت اهتماماته في البداية في المقالة الفلسفية، ثم كتب القصة القصيرة والرواية لا يجاوزهما الى أجناس أدبية أخرى.

وهو ما فعله عبد الحميد السحار، ومحمود البدوي الذي كانت القصة القصيرة قوام إبداعه، الأمر نفسه بالنسبة لصلاح ذهني، وكانت المسرحية الدافع الأهم في إبداع علي أحمد باكثير، والأمثلة كثيرة.

أما سعد مكاوي، فقد جعل من جيل الرواد مثلاً يحتذى به، حيث أبدع القصة القصيرة والرواية التي تصور الواقع، وتوظف التراث، وكتب المسرحية، والمقالة الفنية، والترجمة، وغيرها من فنون السرد.

وقد نستطيع أن ننسب تعدد كتابات سعد مكاوي لأنه في ريادة الجيل السابق، لكننا نستطيع أن ننسب ذلك التعدد أيضاً الى أن سعد مكاوي كان مخلصاً في التعبير عما يشغله بالفعل.

فهو يكتب ما تثقف فيه، وما أخلص في تأمله، وما نبضت به موهبته، وكانت محصلة ذلك كله إبداعات قصصية وروائية ومسرحيات وتراجم وتأملات مجتمعية وغيرها.

وعمل سعد مكاوي لم يقتصر على ترف الكتابة وحدها، وهو ترف يصعب الادعاء أنه أتاح لكاتب ما أن يتقوت منه.

لكنه عمل لأعوام طويلة بالصحافة قبل أن تنقله السلطة الى وظيفة غير صحفية.

لقد وضعت جريدة "المصري" إحدى قصصه في موضع المانشيت، وبامتداد صفحتها الأولى، وكان ذلك احتجاجاً على مصادرات الرقابة وقتها، وكان مكاوي محرراً أدبياً، وكان يلزمه وضعه الوظيفي بالكتابة في غير القصة.

فتنوعت كتاباته بما أملته عليه طبيعة عمله، وباتساع اهتماماته الى نهاية أفقها.

ورغم ذلك فقد كانت القصة القصيرة هي الشيئ المهم في كتابات سعد مكاوي حيث كان منجزه الإبداعي فيها يقارب الثلاثمائة قصة.

صدر غالبيتها في أربعة عشر مجموعة قصصية هي: نساء من خزف، ومخالب وأنياب، وقهوة المجاذيب، وراهبة من الزمالك، والماء العكر، ومجمع الشياطين، والزمن الوغد، والقمر المشوي، وأبواب الليل، والرقص على العشب

الأخضر، وشهيرة وقصص أخرى، والفجر يزور الحديقة، وعلى حافة النهر الميت، وكلمات في المدن النائمة.

أما الرواية، فقد صدر لسعد مكاوي أربع روايات هي: والسائرون نياماً، والرجل والطريق، والكرباج، ولا تسقني وحدي.

وهو الرقم نفسه الذي بلغته مسرحياته، فقد كتب: الميت الحي، وأيام صعبة، والهدية، والحلم يدخل القرية، كما صدرت لسعد مكاوي دراستان عن الموسيقى "لو كان العالم ملكاً لنا" والتاريخ السياسي و"رجل من طين".

الأديب سعد مكاوي وكيف أثرت مكتبة أبيه تكوينه الثقافي المبكر، حيث تعرف من خلال ما تضمه هذه المكتبة من كتب الأدب والتاريخ والسياسة والتراث الى جوانب شتى من المعرفة الإنسانية حتى وصلنا إلى إنجازات الأديب سعد مكاوي الكثيرة من قصص قصيرة وروايات ومسرحيات الإضافة إلى الدراسات الموسيقية.

ينتمي سعد مكاوي إلى الريف المصري لذلك تكثر في أعماله أسماء شخصيات ريفية، بل إن أدبه قائم على ثنائية الريف والمدينة إذ يعدان المكانين الأساسيين في بناء أى عمل فني له، نرى ذلك في أعماله الأولى والأخيرة على حد سواء.

وقد تحدث سعد مكاوي عن نشأته في ظل القرية وتأثير ذلك على رؤيته للحياة والفن، إذ يقول: كان أبي من الريف، وكان ينظر إلى الواقع من خلال رؤية كلية تنفذ إلى الما وراء الأشياء لدرجة أنها قد تربط المعنى الإنساني الكلي وحقائق الوجود الأصلية بالمصير الإنساني.

مما يهب النفس قدراً من الثقافة وبهذا المعنى يعطى الإنسان قدرة على أن يستشف كل حقائق الوجود والحياة.

من خلال هذا الطراز النادر للفلاح المصري البسيط بدأت ونمت نظرتي إلى الواقع.

ففى هذا الوسط الفقير أمكن أن تعرف في وقت مبكر نوعاً ما إلى الكثير من أوليات الوضع الطبقي العام لأبناء وطني، وللعلاقات الاجتماعية.

مجموع كتابات سعد مكاوي، حتى الكتابات غير القصصية، تنسبه الى التيارات التقدمية، وتصنفه باعتباره كاتباً منحازاً الى قضايا البشر.

وكان لسعد مكاوي وجهة نظره التي تبين ملامحها في مجموع كتاباته، والتي يمكن إيجازها في ثقته المعلنة بأن عصر التمزق والحيرة يبشر بغد إنساني جميل.

وأن الواقع المرير الذي يكابده الجنس البشري في عنق الزجاجة لم يؤثر في إيمانه بأن إنسان العصر القادم سيكون أبهى وأعظم من المسودات البشرية.

وفي هذا يقول سعد مكاوي (إن القرن العشرين لا يعدو أن يكون معمل تفريخ لطبقات جديدة راقية من الإنسان، وإن إنسان ذلك القرن وما بعده سيكون على الصورة التي يستشرفها) .

ويقول أيضاً في حوار مع عبدالعال الحمامصي: "التزامي نابع من إيماني الإنساني، أنا ملتزم بالقضية الإنسانية في عمومها وشمولها وشعاري في هذا أنني مع الحرية ضد الزيف، مع الحق ضد الاستبداد، مع الشجاعة ضد الخوف، مع الإرادة ضد القهر، مع الجمال ضد القبح، مع الحب ضد الكراهية، التزامي في كلمة واحدة هو مستقبل الإنسان وقدراته المتجددة التي لا يمكن لأي ايديولوجية معاصرة أن تحتويها" .

نشر سعد مكاوي أولى قصصه القصيرة في فبراير عام 1936، وصدرت المجموعة الأولى له عام 1948.

ثم توالت أعماله في القصة القصيرة والرواية والمسرحية، فضلاً عن كتاباته في أثناء عمله كمحرر أدبي.

أما أعماله الإبداعية فتصدر عن واقع القرية المصرية، والصلات بين القرية والمدينة من خلال أبناء القرية الذين يهجرون قراهم للدراسة أو للعمل في المدينة، والحس الفكاهي في بعض كتاباته لا يخفي قسوة الواقع الذي شغل بتناوله.

حاول سعد مكاوي أن ينطلق من أرضية الواقع، الخير والشر والرذيلة والعطف والقسوة والجوع. وفي هذا يقول: "إني لست ممن يجدون في الكلام عن الحب والكتابة عنه شيئاً مخجلاً أو زائداً عن حاجة الناس الحقيقية.

بل إنني من المؤمنين بأن الحب في عصرنا القلق المشحون بالخلافات والكراهية والقلق قد صار في حاجة الى تفسير ومناقشات جديدة، وأن الحب هو دين المستقبل الجديد".

وحين بدأ سعد مكاوي في كتابة روايته "الرجل والطريق" فقد كان مشروعها التخطيطي أن يكون الحب هو البطل الحقيقي باعتباره القوة هائلة الأثر في حياة الجنس البشري.

والشيء الكبير الأساسي في حياة الكل في كل زمان ومكان، والقوة الدافعة المثمرة من قوى الطبيعة الإنسانية الخلاقة البناءة.

وقد نفى أن يكون انصرافه الى كتابة "الرجل والطريق" مجرد كتابة قصيدة غنائية تتغنى بالحب وتتبع أحوال المحبين.

لكن ما شغله أن يعبّر عن الحب باعتباره عاطفة إنسانية ترتبط بالمساعي الإنسانية المتشابكة، والتطور الاجتماعي، فضلاً عن ارتباط الحب بكيمياء الجسد الإنساني.

ومع أن ثلاثيته لم تكن مما يلفت النظر في قصص سعد مكاوي، إلا أنه كان يرى في الحب بحثاً عن الوسيلة لتحويل جاذبية المرأة الى الشوق والكمال من خلال شخص من الجنس الآخر يختاره المرء في صورته.

إن معطيات سعد مكاوي في الرواية التاريخية، وعلى وجه التحديد روايته الأهم "السائرون نياماً"، كانت هي الحادي الذي مضت من ورائه محاولات الأجيال التالية لتوظيف التراث.

لم يكن الأمر مجرد حنين الى أزمنة جميلة، ولا استعادة ملامح من تراثنا القومي والوطني، بل كان بوضوح، توظيف الحادثة التاريخية، أو الشخصية التاريخية.

فهو تعبير عن الظروف التي كانت تضغط على المجتمع في الفترة التي كتب فيها الفنان رواياته، وهو الهدف نفسه الذي عني به مبدعو الأجيال التالية الذين حاولوا توظيف التراث في إبداعاتهم.

توفى الأديب سعد مكاوي في الحادي عشر من أكتوبر عام 1985.

(٥١) الأديب يحيى حقي

الأديب المبدع يحيى حقي الذي يعد رائد فن القصة القصيرة العربية؛ فهو أحد الرواد الأوائل لهذا الفن الذي يدين له بالكثير مما وصل إليه من نضج، وما بلغه من انتشار واسع، وقد خرج من تحت عباءة ذلك الرائد المبدع الذي كان يعمل في صمت ويكتب في هدوء كثير من الكتاب والمبدعين في العصر الحديث، وكانت له بصمات واضحة في أدب وإبداع العديد من أدباء الأجيال التالية.

ولد "يحيى محمد حقي" في السابع من يناير عام 1905م، حيث نشأ في "درب الميضة" بحي "السيدة زينب"، وكانت عائلته ذات جذور تركية قديمة، وقد استوطنت مصر في عام 1865م.

نشأ يحيى حقي في جو مشبع بالأدب والثقافة، فقد كان كل أفراد أسرته يهتمون بالأدب مولعين بالقراءة.

فخاله "حمزة بك" كان يشغل وظيفة رئيس القلم العربي في ديوان الخديوي إسماعيل، وله نماذج من الإنشاء ضمنها كتاب "جواهر الأدب".

وعمه هو "محمود طاهر حقي" الذي امتلك في شبابه مجلة "الجريدة الأسبوعية"، وكان أحد رواد فن الرواية، وقد كتب عدة روايات منها: "عذراء دنشواي"، و"غادة جمانا".

أما والده "محمد حقي" فقد كان موظفًا بوزارة الأوقاف، وكان محبًا للقراءة والثقافة، وكان مشتركًا في عدد كبير من المجلات الأدبية والعلمية والثقافية، وكانت أمة كذلك حريصة على قراءة القرآن الكريم ومطالعة الكتب الدينية.

في هذا الجو الديني الذي يظله الحب ويشع فيه التفاهم وترفرف فيه السعادة نشأ "يحيى حقي" لتتشبع روحه ووجدانه بالقيم الدينية الأصيلة، وتتشرب بالأخلاق الفاضلة، والقيم الإنسانية النبيلة والمثل العليا.

كان "يحيى حقي" ثالث سبعة إخوة: خمسة ذكور، وبنتان، وكان إخوته الذكور يحملون جميعًا أسماء أنبياء.

فأكبرهم "إبراهيم" الذي بدأ حياته بالكتابة الأدبية في مجلة "السفور"، وثاني إخوته "إسماعيل" الذي عمل بالتدريس في عدد من المعاهد المصرية وجامعة الملك سعود، وترجم كتبًا في الفلك والفضاء، ثم "زكريا" الذي عمل طبيبًا، و"موسى" الذي تخرج في كلية التجارة ثم حصل على ماجستير في السينما، أما الأختان فهما "فاطمة"، و"مريم".

في هذا الجو نشأ "يحيى حقي" متأثرًا بالأدب القديم والحديث، فقرأ لعدد كبير من أدباء العرب القدامى كالجاحظ وأبي العلاء، كما تأثر بعدد من الكتاب الغربيين مثل "فرجينيا وولف"، و"أناتول فرانس".

تلقى يحيى حقي تعليمه الأوليّ في كُتّاب "السيدة زينب"، وبعد أن انتقلت الأسرة من "السيدة زينب" لتعيش في "حي الخليفة"، التحق سنة 1912 بمدرسة "والدة عباس باشا الأول" الابتدائية بأحد أحياء القاهرة.

وهذه المدرسة تتبع نفس الوقف الذي كان يتبعه (سبيل أم عباس) القائم حتى يومنا هذا، وهي مدرسة مجانية للفقراء والعامة، وهذه المدرسة هي التي تعلم فيها مصطفى كامل باشا.

قضى "يحيى حقي" فيها خمس سنوات غاية في التعاسة، خاصة بعد رسوبه في السنة الأولى إثر ما لقي من مدرسيه من رهبة وفزع.

لكنه استطاع بعد صدمة التخلف عن أقرانه، أن يقهر إحساسه بالخوف وأن يجتهد محاولاً استرضاء والدته التي تكد وتكدح جاهدة للوصول بهم إلى بر السلامة.

وفي عام 1917 حصل على الشهادة الابتدائية، فالتحق بالمدرسة السيوفية، ثم المدرسة الإلهامية الثانوية، وقد درس فيها سنتين حتى نال شهادة الكفاءة ثم التحق عام 1920م بالمدرسة "السعيدية".

وانتقل بعدها إلى المدرسة "الخديوية" التي حصل منها على شهادة (البكالوريا)، ولما كان ترتيبه الأربعين من بين الخمسين الأوائل على مجموع

المتقدمين في مصر، فقد التحق في أكتوبر عام 1921م بمدرسة الحقوق السلطانية العليا في جامعة فؤاد الأول.

وكانت وقتها لا تقبل سوى المتفوقين، وتدقق في اختيارهم، وقد رافقه فيها أقران وزملاء مثل: توفيق الحكيم، وحلمي بهجت بدوي، والدكتور عبد الحكيم الرفاعي؛ وقد حصل منها على درجة (الليسانس) في الحقوق عام 1925، وجاء ترتيبه الرابع عشر .

عمل "يحيى حقي" معاونًا للنيابة في الصعيد لمدة عامين من 1927م إلى 1928م، وكانت تلك الفترة على قصرها أهم سنتين في حياته على الإطلاق وأصعبها .

وهو يفسر ذلك بقوله: "أتيح لي أن أعرف بلادي وأهلها، وأخالط الفلاحين عن قرب، وأهمية هاتين السنتين ترجع إلى اتصالي المباشر بالطبيعة المصرية والحيوان والنبات، والاتصال المباشر بالفلاحين والتعرف على طباعهم وعاداتهم".

وقد انعكس ذلك على أدبه، فكانت كتاباته تتسم بالواقعية الشديدة وتعبر عن قضايا ومشكلات مجتمع الريف في الصعيد بصدق ووضوح، وظهر ذلك في عدد من أعماله القصصية مثل: "البوسطجي"، و"قصة في سجن"، و"أبو فروة".

كما كانت إقامته في الأحياء الشعبية من الأسباب التي جعلته يقترب من الحياة الشعبية البسيطة ويصورها ببراعة وإتقان، ويتفهم الروح المصرية ويصفها وصفًا دقيقًا وصادقًا في أعماله، وقد ظهر ذلك بوضوح في قصة "قنديل أم هاشم"، و"أم العواجز".

عاش يحيى حقي في الصعيد، عامين كان يتطلع خلالهما للخلاص من تلك الحياة القاسية، حتى أتاه الخلاص بالمصادفة إذ قرأ إعلانا من وزارة الخارجية عن مسابقة لأمناء المحفوظات في (القنصليات) و(المفوضيات)؛ فحرص على التقدم إلى تلك المسابقة التي نجح فيها .

لكن كان ترتيبه الأخير، فعين أمينا لمحفوظات القنصلية المصرية في جدة، عام 1929 ثم نقل منها إلى إسطنبول عام 1930م.

حيث عمل في القنصلية المصرية هناك حتى عام 1934؛ بعدها نقل إلى القنصلية المصرية في روما، التي ظل بها حتى إعلان الحرب العالمية الثانية في سبتمبر عام 1939م حيث عاد بعد ذلك إلى القاهرة في الشهر نفسه، ليعين سكرتيرًا ثالثًا في الإدارة الاقتصادية بوزارة الخارجية المصرية.

وفي تلك الفترة تزوج من السيدة "نبيلة" ابنة "عبد اللطيف بك سعودي" عضو مجلس النواب، وكان ذلك في شهر ديسمبر عام 1943م.

وبدخوله هذه الأسرة وجد "يحيى حقي" نفسه في غمار التاريخ، حيث يقول عن ذلك.

"دخلت في هذه الأسرة فإذا بي أدخل في بحر خضم لا شاطئ له من تاريخ مصر وأجيال مصر منذ حكم إسماعيل إلى الفترة التي أعيش فيها، تروى لي بأدق التفاصيل وبأدق الأسرار من حمايا المرحوم الأستاذ عبد اللطيف سعودي.. فكان لهذا الرجل فضل كبير علي في أنه بصرني بأشياء كثيرة لا يعلمها إلا هو في تاريخ مصر الحديث".

وقد تعرضت السيدة "نبيلة" لمتاعب صحية أثناء حملها، ، وما لبثت زوجته أن ماتت بعد أن وضعت مولودتها "نهى" بستة أشهر.

مكث حقي خلال تلك الفترة بوزارة الخارجية عشر سنوات تدرج خلالها حتى درجة سكرتير أول حيث شغل منصب مدير مكتب وزير الخارجية، وقد ظل يشغله حتى عام 1949م .

وتحول بعد ذلك إلى السلك السياسي إذ عمل سكرتيرًا أول للسفارة المصرية في باريس ثم مستشارًا في سفارة مصر بأنقرة من عام 1952 وبقي بها عامين، فوزيرًا مفوضًا في ليبيا عام 1953.

أُقِيلَ حقي من العمل الديبلوماسي عام 1954 عندما تزوج في عام 1953 من أجنبية وهي رسّامة فرنسية تدعى (جان ميري جيهو).

وعاد بعد إقالته من منصبه إلى مصر ليستقر بها؛ فعين مديرًا عامًا لمصلحة التجارة الداخلية بوزارة التجارة.

ثم أنشئت مصلحة الفنون سنة 1955 فكان "أول وآخر مدير لها، إذ ألغيت سنة 1958 "، فنقل مستشارًا لدار الكتب.

وبعد أقل من سنة واحدة أي عام 1959 قدم استقالته من العمل الحكومي.

لكنه ما لبث أن عاد في أبريل عام 1962 رئيساً لتحرير مجلة المجلة المصرية التي ظل يتولى مسئوليتها حتى ديسمبر سنة 1970.

تعتبر فترة تولي حقي رئاسة تحرير مجلة المجلة أطول فترة يقضيها رئيس تحرير للمجلة في تاريخها.

لذا ارتبط اسم "المجلة" باسم يحيى حقي، حتى لقد كان شائعاً أن يقول الناس: "مجلة يحيى حقي".

واستطاع الرجل العملاق أن يحافظ على شخصيتها كمنبر للمعرفة، والعقل محولاً إياها إلى معمل لتخريج المواهب الحقيقية يكتشفها ويرعاها، ويدفعها للأمام.

وفتح صفحاتها للأجيال الشابة من المبدعين، في القصة والشعر والنقد والفكر ليصنع نجوم جيل الستينيات في "شرفة المجلة" بشارع عبد الخالق ثروت.

وتعتبر هذه "الشرفة" التي كان يحاور فيها هذا الجيل القادم من الريف بنصوصه الأولى يناقشهم ويحاورهم ويطور من ثقافتهم وينشر لهم جنباً إلى جنب الرواد والراسخين في الفكر والعلم.

كان "يحيى حقي" متواضعًا، عطوفًا على أصدقائه مخلصًا في صداقته لهم.

وقد ربطته صداقات وطيدة بعدد كبير من أعلام عصره، من أجيال مختلفة واتجاهات متعددة، ولكن كان الحب دائمًا هو الرباط الذي يجمع بينهم.

والأدب هو الصلة التي تضمهم، ومن هؤلاء: محمود محمد شاكر، وعثمان عسل، ومحمد عصمت، وفؤاد دوارة، ومصطفى ماهر، وعطية أبو النجا، ونعيم عطية، وسامي فريد، وسمير وهبي، وأحمد تيمور وغيرهم.

وكان شاكر من أكثرهم قربًا منه فقد عرفه منذ عام 1939م واستمرت صداقتهما لأكثر من (53) عامًا.

فقد كان لشاكر أكبر الأثر في الارتقاء بلغة يحيى حقي، وتحويله من رجل تتعثر يده لم يتعمق علمه بالعربية إلى ذلك الأديب المبدع الذي تشي كتاباته بأسرار العربية في تمكن واقتدار، ويكشف "يحيى حقي" بحب وتواضع عن جوانب خفية في علاقته بصديقه "شاكر" فيقول:

"من سنة 1939 هذه الصداقة متصلة، بل له علي فضل كبير، فهو الذي يدفع لي فاتورة التليفون، وهو الذي يدفع عني كثيرًا من الديون، وإذا تعثرت في الفلوس يعطيني لوجه الله".

ويقول عن تأثيره فيه وتأثره به:

"أثناء عملي بديوان وزارة الخارجية توثقت صلتي بالمحقق الأستاذ محمود شاكر، وقرأت معه عددًا من أمهات كتب الأدب العربي القديم ودواوين شعره ومنذ ذلك الحين وأنا شديد الاهتمام باللغة العربية وأسرارها، وفي اعتقادي أنها لغة عبقرية في قدرتها على الاختصار الشديد مع الإيحاء القوي".

وقد أشاد شاكر بموهبة حقي الأدبية وبراعته وحسه الأدبي المرهف وتنبهه إلى جمال العبارة العربية، واكتشافه المبكر لأسرار بلاغة العرب، وقدرته الفائقة على اختزان كل ما يعرف وتمثله فيما يكتب بأسلوبه وعباراته بغير محاكاة أو تقليد، وإنما باقتدار وفن وبراعة جعلته لا يقع فيما يقع فيه غيره من النقاد والأدباء، وهو ما أكسبه شخصية متميزة ومستقلة قائمة بذاتها.

بالرغم من قلة الأعمال القصصية ليحيى حقي فإنه يعد بحق الرائد الأول لفن القصة القصيرة، كما أثرى فن اللوحة الأدبية في مقالاته الأدبية العديدة التي لا تقل فنًا وبراعة عن القصة.

وقد صدرت الأعمال الكاملة ليحيى حقي في (28) مجلدًا عن الهيئة المصرية العامة للكتاب، وقام بإعدادها ومراجعتها الناقد "فؤاد دوارة".

وقد ترجمت بعض قصصه إلى الفرنسية، فترجم "شارل فيال" قصة "قنديل أم هاشم"، وترجم "سيد عطية أبو النجا" قصة "البوسطجي"، وقدمت تلك القصة الأخيرة في السينما وفازت بعدد كبير من الجوائز.

ومن أشهر أعمال يحيى حقي: مجموعته القصصية دماء وطين، و"قنديل أم هاشم"، و"يا ليل يا عين"، و"أم العواجز"، و"خليها على الله"، و"عطر الأحباب"، و"تعالى معي إلى الكونسير"، و"كناسة الدكان".

وقد حصل يحيى حقي في يناير عام 1969 على جائزة الدولة التقديرية في الآداب، وهي أرفع الجوائز التي تقدمها الحكومة المصرية للعلماء والمفكرين والأدباء المصريين؛ تقديرًا لما بذله من دور ثقافي عام، ولكونه واحداً ممن أسهموا مساهمةً واضحةً في حركة الفكر والآداب والثقافة في مصر، بدءًا من الربع الأول من القرن العشرين.

كما منحته الحكومة الفرنسية عام 1983م، وسام الفارس من الطبقة الأولى، ومنحته جامعة المنيا عام 1983 الدكتوراه الفخرية؛ اعترافا من الجامعة بريادته وقيمته الفنية الكبيرة.

الترجمة هي وسيلة التواصل والتفاعل مع مختلف الشعوب، فهي قراءة للتجربة الإنسانية بشكل عام ونقل لغوي للتراث الأدبي والمعرفي والثقافي.

ولذا تتطلب ترجمة النصوص الأدبية المرونة اللازمة لمراجعة المفاهيم والنماذج المعرفية التي درج المترجم على اتباعها في ضوء النص المراد تفسيره وسياقه التاريخي.

وفي ترجماته المتنوعة، يحاول حقي تحقيق الدمج بين آفاق التفسير من خلال الوعي المختبر للتاريخ الذي يتوسط بين النص ومترجمه من جهة.

وبين النص وقرائه من جهة أخرى، فيعمد إلى فحص السياق الثقافي والتاريخي الأعم للنص المترجم، وتوجهات الكاتب وخلفيته الشخصية والمجتمعية، والمعنى الذي يولده النص الأصلي ثم يحاول أن ينقل تلك العناصر كلها عبر النص المترجم من خلال التجربة الإنسانية وتفسيره لها كمثقف وأديب.

عندما تطالع كتب ومؤلفات يحيى حقي ستجد أنّه كتب في كثير من مجالات الأدب والفنون فقد تكلم في الترجمة والقصة والمسرح والموسيقى والسينما وغيرها ؛وهذا التنوع يعكس ثراءً في الشخصية والأفكار ، كما يدل على مخزون ثقافي وإنساني كبير جدًا.

فقد قطع يحيى حقي في علاقته بالسينما شوطًا بعيدًا، وتنوعت اتجاهات تلك العلاقة وأوجهها، فهو أولاً متفرج من داخل صالة السينما، وقد ظل حريصًا على تلك العادة حتى نهاية حياته.

كما أنه ناقد متابع للأفلام المعروضة في دور السينما وله بعض الآراء المهمة التي تمتلك إلى جانب الذوق الشخصي خبرة ذاتية كبيرة اكتسبها من جولاته في المعاقل السينمائية الكبرى في أوروبا.

ثم توجت السينما المصرية عام 1968 علاقتها بيحيى حقي بالالتفات إلى أعماله الأدبية والاستقاء منها.

فأنتجت أربعة من الأعمال السينمائية المميزة التي رسخت في وجدان المشاهدين ومن أبرزها (البوسطجي)، ثم (قنديل أم هاشم)، وهما أهم ما أنتجت السينما المصرية عامة، وقد سبقهما من أعمال يحيى حقي فيلم (إفلاس خاطبة)، وفيلم (امرأة ورجل).

كان "يحيى حقي" أكثر أدباء جيله تأثيرًا على الأجيال اللاحقة من الكتاب، فقد كرَّس حياته لإرساء القيم الأدبية والفكرية والأخلاقية، وظل يرسي تلك المبادئ والقيم ويبثها في تلاميذه من خلال إبداعاته حتى آخر لحظة في حياته.

ولقد كان "يحيى حقي" ذاكرة حية لواقع الحياة المصرية، وقد سجلت كتاباته نبض الحياة المصرية، وعكست أنماط الحياة والتقاليد الاجتماعية في صعيد مصر وريفها، كما حرص على نقد الواقع الاجتماعي للأمة.

واستطاع كذلك أن يضع أسس الدرس النقدي منذ وقت مبكر، فكان كتابه "فجر القصة المصرية" - على صغر حجمه - تأصيلاً مبكرًا للأسس الفنية للنقد الأدبي لفن القصة.

وكان للإبداع الأدبي لدى "يحيى حقي" قيمة فنية وفكرية وجمالية، فقد كانت لديه قدرة عجيبة على استشراف آفاق المستقبل الأدبي.

كما كان متمكنًا من الأداة اللغوية، عارفًا بتراث أمته وتاريخها، وهو ما أضفى على أدبه سحرًا فريدًا.

فهو يجمع بين جمال الصياغة وروعة الفكرة والإحساس المرهف، مع الاهتمام بالقيم الدينية والأخلاق السامية وإعلاء المثل العليا.

وقد خرجت كتاباته في لغة قصصية متميزة في إيقاعها وتراكيبها، متوهجة بالمشاعر والأحاسيس، متدفقة بالحركة، نابضة بالحياة، ذات قدرة فائقة على الإيحاء والتجسيد، والتأثير في المتلقي.

وتأثير "يحيى حقي" واضح على القصة العربية ليس فقط في مصر وحدها، إنما في الأدب العربي عامة.

ودوره في إرساء تقاليد هذا الفن الأدبي وإنضاجه مهم وكبير بالرغم من قلة أعماله، وذلك لا يعني ضيق عالمه أو محدوديته، إنما على العكس فقد كان يحيى حقي مدرسة لكثير من الأدباء، وعالمًا رحبًا حلق فيه العديد من الأدباء ينهلون من فنه وأدبه.

وفي يوم الأربعاء، التاسع من ديسمبر عام 1992م توفي يحيى حقي في القاهرة، عن عمر يناهز سبعة وثمانين عامًا؛ بعد أن ترك تراثًا كبيرًا من الفكر والأدب؛ إبداعا ونقدًا.

(٥٢) الشاعرة نازك الملائكة

الشاعرة العراقية نازك الملائكة التي ولدت في عام 1923 في إحدى مناطق بغداد القديمة الواقعة بالقرب من شارع الرشيد.

ولادتها كشاعرة لم تأت من فراغ، فهي تنتمي إلى بيت أدب وشعر فوالدها صادق الملائكة كان متخصصاً في اللغة العربية ومدرساً في فنونها وشؤونها.

ووالدتها كانت شاعرة، وخالها جميل الملائكة الأقرب إليها في السن، كان أيضاً شاعراً، لقد أتت نازك إلى الشعر من أبوابه العريضة.

انتقلت عائلة نازك بعد ذلك إلى الكرادة الشرقية، وتقول الأديبة العراقية الراحلة حياة شرارة في كتابها "صفحات من حياة نازك الملائكة" ان جذور عائلة الملائكة تعود إلى النعمان بن المنذر بن ماء السماء، وهو أحد أشهر ملوك المناذرة في الحيرة المعروف في التاريخ العربي بأنه عمل في زمانه على جمع كلمة القبائل العربية وعلى توحيدها.

وتضيف حياة بأن آل الملائكة كانوا شديدي الاعتزاز بجذورهم التاريخية تلك. أما سبب تسمية نازك بهذا الاسم فتقول حياة شرارة في كتابها إن نازك أخبرت الموسيقار محمد عبد الوهاب عندما التقته في عام 1974 بأن والديها اختارا لها هذا الاسم تيمناً باسم الثائرة السورية نازك العابد.

انتقلت نازك من مدرستها في بغداد إلى مدرسة الكرادة الابتدائية للبنات، وكانت المدارس وقتها قليلة العدد، لكن كانت نازك متميزة في دراستها متفوقة على قريناتها.

وتقول نازك في مذكراتها، في معرض حديثها عن المواد الدراسية: "كنت منذ صغري أحب اللغة العربية والإنكليزية والتاريخ ودروس الموسيقى، وكنت أعد السنين يوماً يوماً لأصل إلى إنهاء المرحلة الثانوية، فأتخصص بدراسة الأدب.

بدأت نازك مع خالها جميل بدراسة العروض، عندما كانا في المرحلة المتوسطة.

وكانت تشكل المسابقات الشعرية التي كان ينظمها أفراد الأسرة في اجتماعاتهم نوعاً من التسلية ولوناً من الرياضة الفكرية.

وكان من بين ما قامت به نازك مع خالها وإخوتها إصدار مجلة بيتية عائلية أطلقوا عليها اسم "الشاعر"، وكان ذلك في عام 1936.

ولم يصدر منها سوى عدد واحد نشرت فيه نازك واحدة من قصائدها الأولى، ثم بدأت في نظم الشعر في المناسبات.

كانت نازك تقوم بتلحين بعض قصائدها وبأدائها غنائياً بصوتها، وقد قادها حبها للموسيقى إلى تعلم العزف على العود.

ولم يمض وقت طويل حتى كانت مكتبتها تمتلئ بالعديد من الآثار الموسيقية العربية والكلاسيكية.

وتابعت بمساعدة والدها التزود بالآداب من خلال اقتناء الكتب من مصادرها الأساسية، وتكونت لدى العائلة مكتبة غنية بكل ألوان الأدب.

لكن نازك لم تأت إلى الأدب وإلى الشعر خصوصاً كنزوة من النزوات.

بل اعتبرت أن الأدب عموماً والشعر خصوصاً، هما علاقتها بالوجود وعلاقتها بالحياة في بلدها وفي العالم العربي وفي العالم الأوسع.

لذلك كانت تنفعل بالأحداث التي كانت تحصل أمامها في العراق وفي العالم العربي، وكانت تلك الاحداث تترك في مشاعرها وفي أفكارها أثراً عميقاً.

ورغم أن والديها لم يكونا ينتميان إلى أي من التيارات السياسية المعروفة في العراق فإنهما كانا يلتزمان موقفاً وطنياً معادياً للاستعمار من دون الدخول في دهاليز السياسة ومن دون أن يكون لهما مرجعيات فكرية.

وقد أخذت نازك عن والديها ذلك الاتجاه العام في مواقفها، وظلت على امتداد حياتها تهتم بالشأن الوطني وبالقضايا العربية وفي مقدمتها قضية فلسطين.

وفي عام 1936، حيث كانت نازك في الثالثة عشرة من عمرها، نظمت أول قصيدة لها بالمعنى الحقيقي للشعر.

وحين أطلعت والدها على القصيدة أصيب بالدهشة ولم يصدق أن نازك قد أصبحت قادرة على امتلاك ناصية الشعر في مثل تلك السن المبكرة.

لكن نازك سرعان ما بدأ يسيطر عليها شعور بالعزلة وبالكآبة برغم ما اقترن بشخصيتها من غنى وبرغم تفجر طاقاتها الإبداعية وهى في تلك السن المبكرة.

وظلت تلك العزلة رفيقتها على امتداد حياتها حيث كانت متأثرة بملحمة الشاعر اللبناني إيليا أبو ماضي المعروفة بعنوان "لست أدري".

وفي عام 1939 أنهت نازك دراستها الثانوية وانتسبت إلى كلية الآداب، وتابعت كتابة الشعر.

وفى عام 1940 ألقت أول قصيدة لها في محطة الإذاعة العراقية، وفي عام 1941 نظمت بالاشتراك مع والدتها ومع خالها جميل قصيدة بعنوان "بين روحي ودنياي"، كل بيت يشير إلى صاحبه بالحرف الأول من اسمه.

وفي عام 1942 دخلت نازك في معهد الفنون الجميلة في فرع العود، كما دخلت في فرع التمثيل بذات المعهد.

وهكذا، أصبحت نازك الملائكة شاعرة عراقية معترفاً بها بين الشعراء، وشاعرة عربية معترفاً بها بين الجيل الجديد من الشعراء العرب.

ففي عام 1949 صدر ديوانها الثاني "شظايا ورماد" حاملاً إلى القراء تحول نازك في اتجاه الشعر الحر المتحرر من قوانين العروض.

مع صدور ديوانين لها انطلقت نازك في عدة سفرات حول العالم حيث ذهبت في سفرات دراسية، ثم في سفرات لإلقاء محاضرات.

ورغم الشهرة التي كانت تلاحقها في سفراتها، ورغم أنها كانت قد غادرت العزوبية وتزوجت وأنجبت أطفالاً، إلا أنها ظلت كما هي في مزاجها الذي لم يفارقها.

في تلك الفترة من حياتها بدأت نازك تمارس أنواعاً مختلفة من الكتابة فقد كتبت قصصاً قصيرة. وكتبت في النقد الأدبي.

وصدرت لها إلى جانب دواوينها الأخرى كتب في مجالات أدبية أخرى حيث صدرت لها ترجمات عن الإنكليزية لعدد من الأدباء والشعراء.

وواكبت نازك في شعرها أحداث وطنها العراق وأحداث العالم العربي.

تغيرت طرق نازك الملائكة في كتابة الشعر بين الحديث منها والكلاسيكي لكنها انتقلت في القسم الأخير من حياتها إلى الشعر الموزون. وقد عبرت عن موقفها من الشعر في أكثر من مقدمة من المقدمات التي وضعتها لدواوينها.

ففي مقدمة ديوانها الثاني "شظايا ورماد" تعتبر أنه لا توجد قواعد للشعر بل أحكام.

غابت نازك الملائكة عن كتابة الشعر قبل وفاتها بسنوات عدة حيث أقامت في المرحلة الأولى من مرضها في العراق، ثم في عمان، ثم في القاهرة. وظلت في الأعوام الأخيرة من حياتها في القاهرة ترفض أن تزور أحداً، أو أن يزورها أحد.

هذه هي نازك الملائكة شعراً، وحياة، وسيرة، ومشاعر، ومواقف أدبية وسياسية ورومانسية، غادرت الحياة عن أربعة وثمانين عاماً من عمرها.

(٥٣) الأديب عبد الرحمن الشرقاوي

وصلنا إلى شخصية لم يكن يوماً مثقفًا عاديًا فقد كان أديباً وشاعراً وصحفياً ومسرحياً وسينمائياً، ففي كل أعماله يتضح لك مدى آفاقه الفكريّة، التي كانت دومًا مؤشر لأسلوبه.

حيث امتدت حياته الإبداعية على مدى ثلاثة عقود، هي الخمسينيات والستينيات والسبعينيات.

وقد ترك أعمالاً خالدة، انه الأديب عبد الرحمن الشرقاوي.

ولد عبد الرحمن الشرقاوي في العاشر من نوفمبر عام 1920، في محافظة المنوفية شمال القاهرة حيث بدأ تعليمه في كتاب القرية ثم انتقل إلى المدارس الحكومية بالقاهرة بمفرده، وهناك عرف الاغتراب للمرة الأولى في حياته وعمره لا يتعدى الثماني سنوات.

إن البيئة التي يعيش فيها الإنسان، لها دور أساسي في تكوين شخصيته الذاتيّة، وهي قد تجعل الإنسان عاجزاً أمام المصاعب والمشاكل، وقد تجعله قادراً على التأثير في البيئة وفي الحقيقة تعّد البيئة مدرسة تصنع وتخلق الفكر وهذا الفكر يبقى في أذهان الأجيال القادمة، كما سنرى هذا التأثير في حياة عبد الرّحمن الشّرقاوي.

جميع إخوة الشرقاوي الذّين يكبرونه في السن كانوا يتلقون تعليمهم بالقاهرة، ويعودون إلى القرية كل صيف ومعهم كتب يقضون إجازتهم في قراءتها.

واستطاع الشرقاوي أن يقرأ عناوين هذه الكتب وأسماء مؤلفيها وعرف منها أسماء طه حسين وعباس محمود العقاد وأحمد شوقي ومصطفى المنفلوطي.

حيث إنّ معرفة هذه الكتب وأسماء مؤلفيها قد أثرت في ذاكرته، وقد أخذها نماذج لأعماله السياسيّة والأدبيّة فيما بعد.

عندما التحق الشرقاوي بالمرحلة الثّانويّة من التعليم في المدرسة المحمّديّة، كان تعوّد أن يصغي كل أربعاء من الأسبوع إلى قراءة حديث الأربعاء لعميد الأدب العربي الدكتور طه حسين.

ومن خلال حديث الأربعاء ظهرت أمامه عوالم سحريّة باهرة من حياة الشعراءِ العرب في العصور الماضيّة.

وبعد إكمال المرحلة الثّانويّة أحبَّ أن يلتحق بكلية الآداب ولكن كان والده وإخوته يحبون ويلحون كثيراً أن يلتحق بكلية الحقوق.

ولهذا انضّم إلى بكلية الحقوق ولكن لم يقطع علاقته وصلته بالأدب، فقد كان يحضر الجلسات التي تنعقد أحياناً بكلية الآداب، وأيضاً المحاضرات الأسبوعيّة للدكتور طه حسين.

وعبر مسيرته التعليمية، والتي انتهت بتخرجه في كلية الحقوق جامعة فؤاد الأول عام 1943، تعرف على ألوان عديدة من الأدب، كانت استكمالا للسير الشعبية التي اعتاد عليها في قريته، ودفعته لحفظ الشعر الجاهلي.

إلا أن القاهرة ساعدته في التعرف على ألوان أخرى من كتب التراث العربي كالجاحظ، وأغاني أبي الفرج الأصفهاني، إضافة إلى شعر العصر العباسي، وأشعار سامي البارودي وأبي تمام.

وامتدت افق الشرقاوي للاطلاع على أشكال كثيرة من الكتابات الغربية، بل مارس الترجمة وقرأ أعمال شكسبير، ولم تفوته محاضرة واحدة من محاضرات الآداب.

ومع هذا الشغف والحب للأدب، لم يستطع الشرقاوي أن يبدأ حياته العملية بالمحاماة، حيث غير مساره ليصبح كاتبا صحافيا في مجلة "الطليعة"، ثم مجلة "الفجر" وعمل بعد ثورة 23 يوليو في صحيفة "الشعب" ثم "الجمهورية".

تدرج في المناصب حتى شغل منصب رئيس تحرير "روز اليوسف"، وعمل بعدها في جريدة الأهرام، كما تولي عدد من المناصب الأخرى منها سكرتير منظمة التضامن الآسيوي الأفريقي وأمانة المجلس الأعلى للفنون والآداب.

كرس عبد الرحمن الشرقاوي قلمه وأدبه للدفاع عن الحريات والوقوف ضد الظلم، وروايته "الأرض" 1954 كانت واحدة من أوائل الروايات التي دخلت في صميم المجتمع المصري الحقيقي.

مجتمع الريف الذى تعاقب فيه الاستغلال للفلاح، التى حولها يوسف شاهين إلى واحد من أجمل أفلامه.

وتعددت روايات الشرقاوي، وكانت الحياة الريفية مصدر إلهام له، ومنهم: "قلوب خالية عام 1956"، و"الشوارع الخلفية 1958"، و"الفلاح عام 1967".

كانت رؤية الشّرقاوي في كل منتجاته الأدبية، رؤية سياسيّة اجتماعيّة، يرى القرية من خلال كفاح أهلها في سبيل العيش.

لم يختلف شعره عن رواياته، فكتب عدد من القصائد تعبر عن أرائه السياسية، ومنها "من أب مصري إلى الرئيس ترومان" وتشير إلى موجة الغضب العارمة بعد النكبة في الدول العربية.

وفي المسرح، قرر الشرقاوي الكتابة بنمط مختلف واختار المسرحيات الشعرية، ليخرج أول أعماله عام 1962 بـ "مأساة جميلة أو مأساة جزائرية" وكانت المناضلة جميلة بوحريد بطلة الأحداث، واعقبها بـ "الفتى مهران" عام 1965.

وتلى ذلك اصدار عدد من المسرحيات الشعرية منها: "تمثال الحرية"، و"وطني عكا".

وبسبب مسرحيته الشعرية "عرابي زعيم الفلاحين"، نفى إلى جزيرة سيلان "سريلانكا"، وكان يروى فيها قصة "أحمد عرابي".

وقد تجلى حبه للدين الإسلامي وتعاليمه الدينية من خلال مؤلفاته في التراث، فكتب "محمد رسول الحرية"، و"الفاروق عمر"، و"علي إمام المتقين".

وتوجت مسيره الشرقاوي الإبداعية بحصوله على جائزة الدولة التقديرية في الآداب عام 1974 والتي منحها له الرئيس السادات، كما منحه معها وسام الآداب والفنون من الطبقة الأولى.

الرّواية في أدب الشّرقاوي «هي أوسع من القصّة في أحداثها وشخصياتها حيث كتب أربع روايات وهي: "رواية الأرض"، و"قلوب خالية"، و "الشوارع الخلفية"، و"الفلاح".

وقد قال عنه صلاح جلال: ان الشرقاوي كان إنساناً رقيق القلب والمشاعر والأحاسيس وكان يفيض كل صباح على أصدقائه بالسؤال والاطمئنان والتشجيع.

أما عبد الستار الطويلة فيقول عنه، كان واحداً من الكتاب العرب المسلمين الذين فهموا الإسلام.

وقد قال عنه نبيل مكاوي: "إنّ مثله لا يموت، فرمز الوفاء لا يموت، ورمز الحبّ لا يموت، ورمز الكرامة لا يموت".

وتوفي الشاعر والأديب والصحافي والمفكر الإسلامي عبد الرحمن الشرقاوي في العاشر من نوفمبر عام 1987م، لكن أعماله ما زالت مخلدة اسمه، ليظل اسمه بارزًا وواحداً من كبار المبدعين في تاريخ الثقافة المصرية.

فقد جاء إلى هذا العالم في يوم العاشر من نوفمبر، ورحل في يوم العاشر من نوفمبر، حيث عاش 67 عاماً.

(٥٤) الأديب بهاء طاهر

الأديب بهاء طاهر، وهو مؤلف روائي وقاص ومترجم مصري ينتمي إلى جيل الستينيات، مُنح الجائزة العالمية للرواية العربية عام 2008 عن روايته واحة الغروب وكان قد حصل على ليسانس الآداب في التاريخ عام 1956 من جامعة القاهرة.

ولد محمد بهاء الدين عبد الله طاهر (وشهرته بهاء طاهر) في الثالث عشر من يناير عام 1935 بمحافظة الجيزة لعائلة فقيرة من الصعيد، وكان والده أزهريا متعلما والأم ربة منزل.

درس مراحل التعليم الابتدائي والإعدادي في مدينة الجيزة، ثم حصل على الثانوية العامة عام 1952، والتحق بكلية الآداب فحصل على شهادة البكالوريوس تخصص التاريخ في عام 1956، وفي نفس العام نال دبلوم الدراسات العليا في الإعلام ودبلوم التاريخ الحديث.

وقد عمل طاهر في البداية مترجما في الهيئة العامة للاستعلامات، ثم مخرجا للدراما ومذيعا للبرنامج الثاني الثقافي في الإذاعة المصرية -الذي كان أحد مؤسسيه من عام 1968 حتى 1975.

ولما منع من الكتابة في العام نفسه، انتقل للعمل مترجما في عدد من الدول الأفريقية والآسيوية، وسافر إلى جنيف بسويسرا عام 1981 حيث عمل في مجال الترجمة كموظف في الأمم المتحدة، حتى عاد إلى مصر في نهاية التسعينيات، بعد إحالته على التقاعد.

ظهرت أولى مجموعاته القصصية عام 1972 بعنوان "الخطوبة".

وقدم أعمالا روائية وقصصية في شكل دراما إذاعية، وكتب السيناريو، وهي التجربة التي استثمرها في قصصه ورواياته، وخاصة تقنية "الحوار" التي غدت عنصرا أساسيا في أعماله وسمحت للقارئ بالاقتراب من شخصيات أعماله.

ولم تظهر مجموعته الثانية "بالأمس حلمت بك" إلا عام 1984، ثم كتب أولى رواياته "شرق النخيل"، ثم "قالت ضحى" عام 1985، وتوالت أعماله القصصية والروائية بعد ذلك، وظهرت أغلب أعماله الروائية والأدبية في سن متأخرة نوعا ما.

واعتبره بعض النقاد مؤسس تيار الوعي في الرواية المصرية، ورأى آخرون أنه روائي بنكهة سويسرية، باعتبار أن أهم مراحل الإبداع لديه كانت في سويسرا، وعاب عليه نقاد قلة إنتاجه الأدبي.

كتب طاهر مجموعة قصصية وروايات أخرى، منها: "أنا الملك جئت"، و"ذهبت إلى شلال". ومن رواياته: "شرق النخيل"، و"خالتي صفية والدير"، و"الحب في المنفى"، و"واحة الغروب".

وله مؤلفات في النقد والدراسات منها كتاب "10 مسرحيات مصرية.. عرض ونقد"، و"أبناء رفاعة".

وقد ترجم أعمالا أدبية منها عمل يوجين أونيل المعنون بـ"فاصل غريب" الذي ظهر عام 1970، وتُرجمت بعض قصصه إلى لغات عالمية، وخاصة روايته "خالتي صفية والدير" التي نالت شهرة عالمية، وترجمت إلى معظم اللغات العالمية المعروفة.

نال بهاء طاهر جوائز عديدة منها جائزة الدولة التقديرية في الآداب عام 1998، وجائزة "جوزيبي أكيربي" الإيطالية عن "خالتي صفية والدير" عام 2000، وجائزة آلزياتور الإيطالية عن "الحب في المنفى" عام 2008، والجائزة العالمية للرواية العربية عن "واحة الغروب".

تم تكريم الكاتب الكبير بافتتاح قصر ثقافة بهاء طاهر بالأقصر، ولقصر ثقافة بهاء طاهر قصة فقد تبرع الكاتب الكبير بقطعة أرض يمتلكها عن أهله بالأقصر للدولة من أجل إقامة هذا القصر خدمة لقضايا الثقافة والمثقفين في الاقصر.

ولم ينس بهاء طاهر صاحب "خالتي صفية والدير" و"الحب في المنفى" و"أبناء رفاعة" و"واحة الغروب" والعديد من المجموعات القصصية مسقط رأسه الأقصر.

فقرر أن يتيح لأبناء عاصمة مصر القديمة الفرصة للاطلاع على أحدث ما يبدعه العقل الإنساني.

فللروائي المصري بهاء طاهر، الذي بلغ ما يزيد عن الثمانين عاماً من العمر، مذاق أدبي خاص، يبدأ بطريقته في السرد، ماراً بالأفكار التي يطرحها، ومنتهياً بالمتعة التي يقدمها.

فأعماله تؤكد قيماً مركزية لجهة التفاعل الإيجابي مع الحياة والفن، وتأكيد معنى الوجود الإنساني المحفوف بالتحديات.

فروايته القصيرة «بالأمس حلمتُ بك»، تطرح مأساة الإنسان الوجودية، رغم ما يحصل عليه من حب واعتراف.

فانتحار البطلة في النهاية نتيجة لتعرضها لاكتئاب شديد نظراً الى فراغ حياتها من أي قيمة، يفرض أزمة الفراغ الإنساني وخلو الحياة من المعنى، بخاصة الإنسان الغربي.

فالبطل في روايات بهاء طاهر وحيد ومعذب وفي انتظار معجزة تطرح معاني ورؤى جديدة في حياته.

كتابات بهاء طاهر في بداياتها تشبه كتابات جان بول سارتر، حيث الوجودية في قمّتها وحيث الإنسان متروك لمصيره من دون سند.

كما أن صراع الإنسان من أجل إيجاد معنى لحياته هو التيمة الرئيسة في أعمال بهاء طاهر التي تتميز بسرد في غاية الذكاء والسلاسة والعمق.

ولعل ما يميز بهاء طاهر عن بقية كتّاب جيله هو بعده عن التطرف السياسي على النقيض، كان طاهر متحمساً لجماليات كتابته في محاولة لخلق عالم قصصي خاص به وحده.

بهاء طاهر ليس كاتباً روائياً، فحسب، فهو يؤرّخ من خلال رواياته لتاريخ مصر الاجتماعي، وربما أتاح له عمله لفترة طويلة في الإذاعة المصرية، أن يكون على دراية بواقع المجتمع المصري.

وهو استفاد كذلك من عمله مترجماً في مقر الأمم المتحدة في جنيف، خصوصاً في رواية «الحب في المنفى» التي ترجمت لأكثر من لغة، وكذلك في مجموعته القصصية «لم أكن أعرف أن الطواويس تطير».

وكانت الترجمة مرحلة مهمة في حياة بهاء طاهر سواء في مجال العمل أو مجال الأدب، ولعل ترجمته الرائعة لرواية «ساحر الصحراء - الخميائي» لباولو كويلهو، كانت ناجحة لدرجة أنها كانت عملاً موازياً في الإبداع ومستقلاً بذاته، فحمل أسلوب بهاء ولغته الخاصة وعالمه.

(٥٥) الشاعر معروف الرصافي

أكاديمي وشاعر عراقي، ولد ونشأ في بغداد، من أب كردي وأم تركمانية، وعمل في حقل التعليم وله عدة اصدارات شعرية، وبني لهُ في بغداد تمثال لتمجيد ذكراه يقع في الساحة المقابلة لجسر الشهداء عند التقاطع مع شارع الرشيد المشهور قرب سوق السراي والمدرسة المستنصرية الأثرية.

انه الشاعر معروف الرصافي.

ولد معروف الرصافي في بغداد عام 1875م، ونشأ فيها حيث أكمل دراسته في الكتاتيب، ثم دخل المدرسة العسكرية الابتدائية.

وانتقل إلى الدراسة في المدارس الدينية ودرس على أيدي علماء بغداد الأعلام كالشيخ عبد الوهاب النائب، والشيخ قاسم القيسي، والشيخ قاسم البياتي، والشيخ عباس حلمي القصاب.

ثم اتصل بالشيخ العلامة محمود شكري الألوسي ولازمهُ اثنتي عشرة سنة، وتخرج عليهِ وكان يرتدي العمامة وزي العلماء وسماهُ شيخهُ الألوسيٍ (معروف الرصافي) ليكون في الصلاح والشهرة والسمعة الحسنة، مقابلا لمعروف الكرخي.

وعين الرصافي معلماً في مدرسة الراشدية التي أنشأها الشيخ عبد الوهاب النائب، شمال الأعظمية.

ثم أصبح مدرساً للأدب العربي في الإعدادية ببغداد، أيام الوالي نامق باشا الصغير عام 1902م، وظل فيها إلى إعلان الدستور عام 1908م.

ثم سافر إلى اسطنبول بعد ذلك، إلى أن تم تعيينه مدرساً لمادة اللغة العربية في الكلية الشاهانية ومحرراً لجريدة سبيل الرشاد عام 1909م.

وانتخب عضواً في مجلس المبعوثان عام 1912م، وأعيد انتخابه عام 1914م، وعين مدرساً في دار المعلمين في القدس عام 1920م.

وعاد بعد ذلك إلى بغداد عام 1921م، وأصدر فيها جريدة الأمل، وانتخب عضواً في مجمع اللغة العربية في دمشق، عام 1923م، وبعد ذلك عين مفتشاً في مديرية المعارف ببغداد عام 1924م، ثم عين أستاذاً في اللغة العربية بدار المعلمين العالية عام 1927م.

امتاز أسلوب الرصافي بمتانة لغته ورصانة أسلوبه، وله آثار كثيرة في النثر والشعر واللغة والآداب أشهرها ديوانه "ديوان الرصافي" حيث تم ترتيبه إلى أحد عشر باباً في الكون والدين والاجتماع والفلسفة والوصف والحرب والرثاء والتاريخ والسياسة وعالم المرأة والمقطعات الشعرية الجميلة.

أما مؤلفاته الأخرى فهي رواية بعنوان (رؤية الرؤيا) ترجمها عن نامق بك كمال الشاعر التركي الشهير، و(دفع الهجنة في ارتضاع اللكنة) و(نفح الطيب في الخطابة والخطيب)، و(الأناشيد المدرسية) وهي عبارة عن مجموعة من الأناشيد الوطنية والأدبية، ومحاضرات في الأدب العربي و(كتاب الآلة والإدارة) و(دفع المراق في لغة العامة من أهل العراق).

وكان الرصافي قد انتقل من بغداد عام 1933 إلى مدينة الفلوجة ، رحل هناك بعد أن سئم الحياة في بغداد، ولغرض التفرغ للمطالعة والكتابة فكان يمضي مدة الصباح حتى الظهر بالكتابة.

لكنه على الرغم من السنوات الطويلة وحتى مغادرته الفلوجة إبان أحداث ثورة 1941م، ونشوب الحرب بين الجيش العراقي والقوات البريطانية لم يكمل تأليف كتابه (الشخصية المحمدية).

الكتاب ظل مخطوطاً طوال هذه السنوات وهناك نسخة لدى كامل الجادرجي وأخرى لدى طه الراوي وثالثة في المجمع العلمي العراقي، وقد نشر الكتاب في مدينة كولون عام 2002م.

وللرصافي مشاهد كثيرة في الحكم والأوصاف والقصص الحزينة التي تظهر بؤس تلك الأيام ومقاومتها للاستبداد والظلم.

بالإضافة إلى آرائه الحادة في السياسة وانتقاد السلطة، فهو يدعو إلى الثورة الاجتماعية والسياسية ليعم الرخاء ولتنعم البلاد بالحرية والمساواة.

ويقول الشاعر العراقي فالح الحجية في شاعرية الرصافي في كتابه الموجز في الشعر العربي (يتميز شعره بسهولة الالفاظ وجزالتها وعلو الأسلوب وقد اشتهر بالشعر السياسي وقارع الاستعمار كثيرا وناضل في سبيل تحرير بلده وأمته وقد برع في الوصف والغزل والمدح والفخر وحث على تأسيس المدارس والمعاهد والثورة على التأخر والانحطاط الاجتماعي.

عاصر معروف الرصافي الشاعرَ العراقي جميل صدقي الزهاوي وقد دعا كلاهما إلى تحرير المرأة، ولكن كانت المنافسة والعداوة بينهما شديدة حيث قال الرصافي اشياء كثيرة في النيل من الزهاوي.

ولكن هذه العداوة انتهت بينهما بالصلح قبل وفاتهما في جلسة صلح نظمها محمود صبحي الدفتري في داره وقد حضر الجلسة عبد العزيز الثعالبي وروفائيل بطي وفؤاد السمعاني والعلامة محمد بهجت الأثري.

الرصافي كان مطبوعاً على الشعر من أول نشأته، فهو يتغنى بشعره بالحرية جهاراً، وينشد القصائد في الحفلات الكبرى.

ويلقي الخطب في نهضة الأمة وحثها على التقدم، واشتهر بشعره الإنساني والقومي الوطني، فكان من الشعراء البارزين.

وقصائده بعنوان المطلقة واليتيم في العيد وأم اليتيم، فيها روعة الإحساس والشفقة والحنان. أما شعره السياسي، فقد ترك في قصائده مآثر أدبية تنطق على متن الدهر، فيها شرر يتطاير وجمر يتلظى ورعد يقصف.

توفي الرصافي بدارِهِ في محلة السفينة في الأعظمية ليلة الجمعة في 16 مارس 1945م، وشيع بموكب مهيب سار فيهِ الأدباء والأعيان ورجال الصحافة ودفن في مقبرة الخيزران.

وصلى على جنازتهِ الشيخ حمدي الأعظمي، وشهد الصلاة عليه الشاعر وليد الأعظمي، ولقد قالوا في تأبينهِ قصائد كثيرة.

(٥٦) الشاعر إيليا أبو ماضي

شخصيتنا فارس من أدباء المهجر، وشاعر ممن تربعوا على قمة الشعر العربي في هذه البلاد، إنه شاعر الأمل والتفاؤل "إيليا أبو ماضي" الذي حملت قصائده روح الشرق وهمومه وهو في أقصى الغرب، وكأنه شجرة أرزٍ لبنانية غُرست على ضفاف المسيسيبي.

إيليا أبو ماضي هذا الشاعر الغزير الإنتاج الذي خلَّف لنا عدة دواوين شعر تذخر بالمشاعر الوجدانية، وتفيض بالأحاسيس الرقيقة الراقية؛ وأهم هذه الدواوين "تذكار الماضي"، و"الجداول"، و"الخمائل" و"تبرٌ وتراب".

فقد كانت هذه الإبداعات نتاج فترات زمانية متعاقبة ومحطات مكانية متنوعة في حياة شاعرنا، فمن جبال لبنان إلى شواطئ الإسكندرية إلى طرقات نيويورك؛ لكنه لم يَنْسَ أبداً الشرق العزيز ولبنان الحبيب.

ولد إيليا ضاهر أبو ماضي في الثالث والعشرين من نوفمبر عام 1889 بلبنان وهو شاعر لبناني معاصر من شعراء المهجر بالولايات المتحدة الأمريكية.

ويعد الثالث في شهرته كواحد من شعراء المهجر بعد جبران ونعيمة؛ حيث يزخر شعر أبي ماضي بالتفاؤل والإقبال على الحياة بإسباغ الجمال على البشر والطبيعة، وكمعظم المهاجرين يتصف بالجرأة في التعامل مع اللغة ومع القالب العمودي الموروث.

نشأ أبو ماضي في عائلة بسيطة الحال لذلك لم يستطع أن يدرس في قريته سوى الدروس الابتدائية البسيطة.

وعندما اشتد به الفقر في لبنان رحل إلى مصر في عام 1902 بهدف التجارة مع عمه الذي كان يمتهن تجارة التبغ.

وهناك التقى بأنطوان الجميل الذي كان قد أنشأ مع أمين تقي الدين مجلة "الزهور" فأعجب بذكائه ودعاه إلى الكتابة بالمجلة فنشر أولى قصائده بالمجلة.

ثم توالى نشر أعماله إلى أن جمع قصائده في ديوان أطلق عليه "تذكار الماضي" وصدر في عام 1911م؛ وكان أبو ماضي وقتها يبلغ من العمر 22 عاما.

اتجه أبو ماضي إلى نظم الشعر في الموضوعات الوطنية والسياسية، فلم يسلم من مطاردة السلطات فاضطر للهجرة إلى أمريكا عام 1912 حيث استقر أولاً بولاية أوهايو وأقام فيها مدة أربع سنوات عمل فيها بالتجارة مع أخيه مراد.

ثم رحل إلى نيويورك وفي "بروكلين"، وشارك في تأسيس الرابطة القلمية في الولايات المتحدة الأمريكية مع جبران خليل جبران وميخائيل نعيمة.

أحاطت ايليا ابو ماضي الطبيعة في طفولته بأشكال الجبال الخضراء والجداول والطيور المغردة للجمال، فتعلم حب الطبيعة وتعلق بمناجاتها، كما أن نشأته في قسوة الفقر جعلت منه رسولاً للفقراء، فكتب دوماً عن المساواة الاجتماعية.

وكان التشرد في الغربة ثاني العوامل المؤثرة في اتجاه أبي ماضي، فمن التشرد إلى تعلم الوفاء للوطن، فأغزر في الشوق اليه، ففي المهجر كان أبو ماضي منغمساً في علاقته برواد النهضة العربية وقادة الفكر التحرري الأدبي فاستفاد منهم، وبنى منهجه الشعري وأسلوبه الأدبي.

وقد توالت دواوينه في المهجر حيث أصدر الجداول عام 1927م و"الخمائل" عام 1946 م، ثم "تبر وتراب" واشتغل بالصحافة عشر سنوات في جريدة "مرآة الغرب" ثم أصدر جريدة "السمير" في نيويورك؛ وكانت من أوسع الصحف انتشاراً في المهجر.

يعد ايليا أبو ماضي صورة صادقة لمدرسة المهجر في الشعر العربي وثمرة لها؛ تأثر بالمتنبي والمعري.

كما تأثر بالشاعر "أبو نواس"؛ وقد تأثر بمذهب الرابطة القلمية في الشعر

فتخلى عن الطابع الكلاسيكي القديم الذي يهتم بالألفاظ والأوزان أكثر مما يهتم بالمعاني والأفكار؛ وشغف بشعر الطبيعة والحب والجمال.

كما تأثر بجبران ونعيمة ورفاقهما، وأبرز خصائص شعر أبي ماضي هو شعر الشك والتفاؤل وهو من الآخذين بنظرية عمر الخيام: التمتع بالحياة قبل غروبها والتملي من خرير الجداول وأريج الأزهار.

يعتبر ايليا أبو ماضي من أشهر ما برع في القصة الشعرية ولا سيما الأسطورية؛ فقد امتلأت دواوينه بهذا اللون من الشعر وبعض قصائده كانت تأتي طويلة منوعة القوافي وأحياناً منوعة الأوزان أيضاً مثل "الحكاية الأزلية" و "الشاعر والسلطان الجائر" و "أمنية الهة" و "الشاعر في السماء" و"الأشباح الثلاثة" و"الشاعر والأمة" و"المجنون".

وبعضها الآخر كان يأتي مقطوعات قصيرة، فيها الحكمة والعبرة والعظة الأخلاقية أو الاجتماعية مثل "التينة الحمقاء" و"الضفادع والنجوم" و"الحجر الصغير" "وقصائد أخرى متعددة".

يطلق عليه النقاد شاعر الأمل والتفاؤل حيث كان الجمال حاضراً في أغلب أعمال أبي ماضي، وامتاز بعشقه للطبيعة (يا ليتني لصٌّ لأسرق في الضحى، سرّ اللطافة في النسيم الساري) وجعله قريناً بكل شيء.

كما لم ينس أوجاع الفقراء والمسحوقين فكتب لهم كثيراً وجعلهم من ثوابت قلمه المبدع؛ أما الوطن فلم يغب فكان لبنان محور يوميات ايليا أبي ماضي، (اثنان أعيا الدهر أن يبليهما، لبنان والأمل الذي لذويه).

وأجاد مع الحرب العالمية في ترجمة الحنين إلى العائلة والأرض شعراً: (يا جارتي كان لي أهلٌ وإخوان، فبتت الحرب ما بيني وبينهم).

نصل إلى الحب فكانت تجارب أبي ماضي قاسيةً عاطفياً، ولكنه احتفظ بالأمل الذي لم يفارق كتاباته، فكان يخرج دوماً حالماً مبرراً القسوة والانكسار جاعلاً منه قلعة تفاؤل وتمسك بالحب.

إيليا أبو ماضي، هو الشاعر الفيلسوف، كانت له رؤيةٍ فلسفية لكل شيء، فله في الموت فلسفة وفي الكون والوجود، وفي السياسة وفي المجتمع وفي الحب.

آمن أن الإنسان خالد وأن الموت ليس آخر المطاف، بل تكملة للمسيرة، خصص مساحةً من شعره للماورائيات، عادى التعصب والطائفية، ونبذها في قصائده.

توفي ايليا أبو ماضي بنوبة قلبية أسكتت قلبه المرهف بالشعر في نوفمبر 1957.

(٥٧) الأديبة غادة أحمد السمان

كاتبة وأديبة سورية ولدت في دمشق لأسرة شامية برجوازية، ولها صلة قربى بالشاعر السوري نزار قباني.

تأثرت كثيرا به بسبب وفاة والدتها وهي صغيرة، وقد كان والدها محباً للعلم والأدب العالمي ومولعاً بالتراث العربي في الوقت نفسه، وهذا كله منح شخصيتنا أبعاداً متعددة ومتنوعة.

لكنها سرعان ما اصطدمت بالمجتمع الذي كان شديد المحافظة في ذلك الوقت، إنها الأديبة غادة أحمد السمان.

ولدت الأديبة غادة السمان في عام 1942، وكان والدها الدكتور أحمد السمان حاصل على شهادة الدكتوراه من السوربون في الاقتصاد السياسي وكان رئيسا للجامعة السورية ووزيرا للتعليم في سوريا لفترة من الوقت.

وقد أصدرت مجموعتها القصصية الأولى "عيناك قدري" في عام 1962 واعتبرت يومها واحدة من الكاتبات النسويات اللواتي ظهرن في تلك الفترة، مثل كوليت خوري وليلى بعلبكي.

لكن غادة استمرت واستطاعت ان تقدم أدبا مختلفا ومتميزا خرجت به من الاطار الضيق لمشاكل المرأة والحركات النسوية إلى افاق اجتماعية ونفسية وإنسانية.

تخرجت غادة في الجامعة السورية في دمشق عام 1963 حاصلة على شهادة الليسانس في الأدب الإنجليزي، حصلت على شهادة الماجستير في مسرح اللامعقول من الجامعة الأمريكية في بيروت.

وقد عملت غادة في الصحافة وبرز اسمها أكثر وصارت واحدة من أهم نجمات الصحافة هناك. عندما نشرت مجموعتها القصصية الثانية " لا بحر في بيروت" عام 1965.

سافرت غادة إلى أوروبا وتنقلت بين معظم العواصم الاوربية وعملت كمراسلة صحفية لكنها عمدت أيضا إلى اكتشاف العالم وصقل شخصيتها الأدبية بالتعرف على مناهل الأدب والثقافة هناك.

وظهر أثر ذلك في مجموعتها الثالثة "ليل الغرباء" عام 1966 التي أظهرت نضجا كبيرا في مسيرتها الأدبية وجعلت كبار النقاد وقتها مثل محمود أمين العالم يعترفون بها وبتميزها.

ورغم أن توجهها الفكري اقرب إلى اللبرالية الغربية، إلا أنها ربما كانت حينها تبدي ميلا إلى التوجهات اليسارية السائدة آنذاك في بعض المدن العربية وقد زارت عدن في اليمن الجنوبي في عهدها الماركسي وافردت لعدن شيئا من كتاباتها.

وكانت هزيمة يونيو 1967 بمنزلة صدمة كبيرة لغادة السمان وجيلها، يومها كتبت مقالها الشهير "أحمل عاري إلى لندن.

لم تصدر غادة بعد الهزيمة شيئا لفترة من الوقت لكن عملها في الصحافة زادها قربا من الواقع الاجتماعي وكتبت في تلك الفترة مقالات صحفية كونت أرضية خصبة لمواد أدبية ستكتبها لاحقا.

وفي عام 1973 أصدرت مجموعتها الرابعة "رحيل المرافئ القديمة" والتي اعتبرها البعض الأهم بين كل مجاميعها حيث قدمت بقالب أدبي بارع المأزق الذي يعيشه المثقف العربي والهوة السحيقة بين فكرة وسلوكه.

وفي أواخر عام 1974 أصدرت روايتها "بيروت 75" ، وقالت على لسان عرافة من شخصيات الرواية "أرى الدم.. أرى كثيرا من الدم" وما لبثت أن نشبت الحرب الأهلية بعد بضعة أشهر من صدور الرواية.

مع روايتيها "كوابيس بيروت" 1977 و"ليلة المليار" 1986 تكرست غادة كواحدة من أهمّ الروائيين والروائيات العرب. ويعتبرها بعض النقاد الكاتبة العربية الأهم حتى من نجيب محفوظ.

تزوجت غادة في أواخر الستينيات من الدكتور بشير الداعوق صاحب دار الطليعة وأنجبت ابنها الوحيد حازم الذي أسمته تيمنا باسم أحد ابطالها في مجموعة ليل الغرباء.

وكان زواجهما وقتها بمنزلة الصدمة أو ما سمي بلقاء الثلج والنار، لما كان يبدو من اختلاف في الطباع الشخصية، لكن زواجهما استمر وقد برهنت غادة على أن المرأة الكاتبة المبدعة يمكن أيضا أن تكون زوجة وفية تقف مع زوجها وهو يصارع السرطان حتى اللحظة الأخيرة من حياته.

أنشئت دار نشرها الخاص بها وأعادت نشر معظم كتبها وجمعت مقالاتها الصحفية في سلسلة اطلقت عليها "الاعمال غير الكاملة" في مجموعة كتب ولديها تسعة كتب في النصوص الشعرية.

يضم أرشيف غادة السمان غير المنشور والذي أودعته في أحد المصارف السويسرية مجاميع كثيرة من الرسائل.

ولأن غادة كانت نجمة في سماء بيروت الثقافية في عقد الستينات فإنه من المتوقع أن تؤرخ هذه الرسائل لتلك الحقبة.

وتجمع غادة في أسلوبها الأدبي بين تيار الوعي في الكتابة ومقاطع الفيديو مع نبض شعري مميز خاص بها.

وقد صدرت عنها عدة كتب نقدية وبعدة لغات، كما ترجمت بعض اعمالها إلى سبع عشرة لغة وبعضها انتشر على صعيد تجاري واسع.

ولا تزال غادة تصدر رواياتها وقصصها، فقد صدرت لها " الرواية المستحيلة فسيفساء دمشقية" في عام 1997، وسهرة تنكرية للموتى في عام 2003 والتي عادت فيها للتنبؤ.

وتعيش غادة السمان في باريس منذ اواسط الثمانينيات، ولا تزال تكتب أسبوعياً في إحدى المجلات العربية الصادرة في لندن، وترفض إجراء أي حوار تلفزيوني بعد أن تعهدت لنفسها بذلك في السبعينيات عندما أجرت حواراً

تلفزيونياً في القاهرة واكتشفت أن المذيعة المحاورة لم تقرأ أيا من أعمالها.

تعتبر غادة السمان من أهم الكاتبات السوريات في القرن الماضي، فقد كانت روائية وشاعرة وأيضاً صحفية.

كانت الفرنسية هي لغة تعلمها الأولى حيث تخرجت في المدرسة الفرنسية في دمشق (الليسيه)، بعد ذلك انتقلت السمان للتعلم في المدارس الحكومية والتي كانت اللغة العربية لغتها الاولى.

وقد أراد والدها أن تدرس الطب ولكنها خالفت توقعاته بعدما انتهت من الثانوية وقامت بدراسة الأدب الإنجليزي في الجامعة الأمريكية ببيروت، ومن ثم حصلت على الماجستير في المسرح اللامعقول من جامعة لندن، ثم حصلت على الدكتوراه من جامعة القاهرة.

السمان كتبت عشرات الكتب وقد تم ترجمتها لعشر لغات مختلفة، بما فيها بيروت 75 والتي فازت بجائزة جامعة أركنساس للترجمة العربية.

تؤمن غادة بوجود «الأدب الإنساني» وترفض التصنيفات التي تقول بأدب رجالي وأدب نسائي، كما أنها تعتبر نفسها أديبة «تجريبية»، فعن ذلك تقول: «نعم، أنا تجريبية حتى لحظتي الأخيرة، وهاوية لا محترفة، لأنني أنمو داخل الكتابة لا خارجها».

وعن هذا تعبّر الدكتورة ماجدة حمود حول أسلوب الحداثة في القصة القصيرة فتقول: «أسلوب الحداثة أسلوب تجريبي، يمتلك كل كاتب طريقة خاصة، تنأى به عن التقليد ونعتقد أن الشكل التجريبي قد ساعد الكاتبة غادة السمان في تقديم رؤاها، وفي التعبير عن همومنا بشكل أعمق وأجمل مما كان سائداً في القصة التقليدية.

ولاشك أن أطروحة غادة السمان في الماجستير التي كانت حول «مسرح اللامعقول»، تعكس تياراً أدبياً تردد صداه في بعض قصصها وأعمالها الروائية.

وتقول غادة السمان حول تجربتها في الرواية: «هذا هو إحساسي دائماً عندما أكتب، وعلى الرغم من ذعري وشجاعتي في آن واحد، وعملي الطويل المسبق على الرواية، تأتي لحظة الدفق جديدة ومشحونة بحب الاكتشاف».

ويشير الدارسون إلى أن أبسط مفهوم للرواية هو أنها «فن نثري تخييلي طويل نسبياً بالقياس إلى فن القصة القصيرة.

ويجمع الباحثون والنقاد على أن روايات غادة السمان يغلب عليها «تيار الوعي»، «وهي تقنية تقدم عالماً مختلطاً في فضاءاته المكانية والزمانية وفي أصوات شخصياته».

هذا باستثناء الأستاذ إحسان صادق سعيد في رسالته للماجستير التي تحمل عنوان «إشكالية التجاوز في أدب غادة السمان القصصي» فهو يرفض تغليب «تيار الوعي» على أعمالها القصصية والروائية.

ان تأثر الأديبة غادة السمان بتقنية تيار الوعي، والحداثة، والتجريبية من جهة، وتيارات فلسفية كوجودية سارتر وسيمون دي بوفوار وكامو وغيرهم، لم يمنع أدبها أن يدخل لغات عالمية كالإنكليزية والألمانية والإسبانية والروسية والفارسية والبولندية والرومانية.

وإن كان أغلب هذه الترجمات «نماذج من القصة القصيرة ضمن مختارات تنشرها الجامعات أو معاهد الشرق الأوسط أو دوائر المستشرقين، باستثناء رواية كوابيس بيروت التي طبعت منها 20 ألف نسخة في بولندا ووزعت على نطاق تجاري».

كما أن روايتها «ليلة المليار» المكونة من 500 صفحة، قد تُرجِمَت إلى الإنكليزية، وذلك بعدما تُرِجمَت إلى الإيطالية، رغم عدد صفحاتها الكبير.

وفي هذا السياق تقول غادة السمان: «من الخطأ أن نضع أمامنا حين نكتب مواصفات معينة للعمل الأدبي، طلباً لبركة الترجمة ولعقاً لأحذية المستشرقين، لسنا مضطرين لشتم أوطاننا ونشر غسيلنا العائلي الوطني استجداءً للترجمة، ولا للمباهاة في كبرنا بما كنا نخجل منه في صغرنا من أجل التهريج في سيرك الغرب ونيل البركة في حقل الترجمة».

أما عن شعر غادة السمان فهو يعبر عن شفافية رائعة، وقد أتى معظمه وهو يعكس موقف الشاعرة الوجودي من العالم والآخر، وهو الحب، الذي تردد كثيراً في عناوينها مثل «حب»، و«أعلنت عليك الحب»، و«الحب من الوريد إلى الوريد»، و«الأبدية لحظة حب»، وقد صدرت لها مجموعة مميزة حملت عنوان «الرقص مع البوم».

إن معظم شعر غادة السمان أتى نثراً إلا أن دارسين لأعمالها، مثل الأستاذة حنان عواد تقول عن شعرها: «يصعب أحياناً أن يفرق القارئ بين نظمها ونثرها، ولاسيما في كتبها "حب" و"أعلنت عليك الحب" و"اعتقال لحظة هاربة"».

وتقول الباحثة هنادي الحصري في دراستها عن «الرقص مع البوم»: «لابد من التنويه إلى قصيدة النثر لدى الكاتبة والتي لا تتجاوز الأسطر وقد تمتد إلى صفحة أو أقل بقليل، تتضمن الكثير من الخيال المبدع وجدّة الفكر وطرافته».

(٥٨) الشاعر الشهيد فائق عبدالجليل

شخصيتنا هو أحد أهم فرسان الكلمة في الخليج وهو ممن ساهم في شهرة العديد من الأصوات التي تعاونت معه وأضاف لهم الشيء الكثير، وقدم عطاءات لا تنتهي في مواضيع فنية مختلفة أحبها الناس وتفاعلوا معها بكل الأشكال والصور.

تميز عن غيره بمفردته السهلة التي يعرفها الجميع فلم تكن لقصائده حدود ولا وطن بعينه بل كانت تجوب العالم بأسره ليتعرف الجميع على بساطة الطرح وصعوبة المعاني ومحتواها.

انه الشاعر الكويتي الشهيد فائق عبد الجليل.

ولد فائق محمد علي العياضي، في الخامس من مايو عام 1948 في مدينة الكويت والده كان موظف في وزارة الشئون الاجتماعية ووالدته ربة منزل.

وقد كان خاله عبد الجليل غالي الأقرب له حيث كان يشجعه على الكتابة ومن هنا جاء اسمه المستعار.

فقد بزغ نجم الشاعر فائق عبدالجليل في بداية السبعينيات حيث عرف بعشقه الكبير للشاعر نزار قباني وكذلك صلاح جاهين الذي كتب اوبريت الليلة الكبيرة، والتي قدم بعدها فائق العديد من الاوبريتات الفنية في الكويت تأسياً به مثل اوبريت (أبو زيد بطل الرويد) وبساط الفقر مع الفنان الكبير عبد الحسين عبد الرضا رحمه الله والفنانة القديرة سعاد عبدالله.

وقد خدم فائق عبدالجليل الشعر الكويتي أجل الخدمات وساهم في إيصال الكلمة الكويتية إلى العالم العربي بأصوات العديد من الفنانين الكبار أمثال محمد عبده وعبد الكريم عبدالقادر وأبو بكر سالم.

يعتبر فائق عبد الجليل صاحب مدرسة تجددية في الشعر الحداثي الشعبي فهو شاعر مثقف مجدد يكتب بتلقائية طبيعية وبلغة تشبه لغة الماء

وتمتاز قصائده بالثورة الرومانسية، وقد أعطت كلماته ملامح جمالية مختلفة ومميزة للأغنية في الخليج العربي وأحدثت نقلة جديدة.

وقد ترجمت بعض قصائده للغة الفرنسية وتم تدريسها في بعض الجامعات ونشرت له عدة قصائد في صحيفة لوموند الفرنسية في السبعينيات.

وقد كتب عنه في نفس تلك الصحيفة الفرنسية البروفيسور سيمون جارجي وهو مستشرق وأستاذ في كلية الآداب في جامعة جنيف بعد أن زار الكويت في الستينيات.

حيث قال "التصميم على عدم الانسلاخ من الأرض القديمة التي تتلوى في عروقها جذور حنين الشعراء وعواطفهم، هو أشد بروزا لدى أصغر شعراء الكويت فائق عبد الجليل وأكثر ما يتمثل صدقه في تعابيره التي هي مزيج من العامية والفصحى".

كتب أيضا شعر الأطفال في فترة السبعينيات وقد تم نشر تلك القصائد في مجلة سعد وهي مجلة كويتية خاصة بالأطفال وكان مهتما بمسرح الطفل وله عدة إسهامات فيه.

كما قام بتأسيس مسرح العرائس في الكويت حيث كانت أول تجربة على الأطلاق في الكويت مسرحية (أبو زيد بطل الرويد).

وهي مسرحية من تأليفه وإخراج أحمد خلوصي وقدمت في العشرين من أغسطس عام 1974 على مسرح الشامية حيث كانت بداية ولادة مسرح العرائس في الكويت وقد شغل منصب رئيس مجلس إدارة المسرح الكويتي من عام 1981 حتى عام 1983.

وقد كانت من أشهر قصائده قصيدة (أبعاد) التي ترجمت لعدة لغات وغناها عدة مطربين عرب وأجانب.

ومن الأوبريتات التي كتبها، أوبريت "والله زمن" وكان يتحدث فيه عن الكويت القديمة وطبيعة الحياة والناس فيها ما قبل اكتشاف النفط بأسلوب مرح وشيق.

وأوبريت "بساط الفقر" الذي اشتهر شهرة واسعة في الوطن العربي في تلك الفترة وحقق شعبية كبيرة جداً.

وأوبريت (جسر المحبة) وهو أوبريت وطني ضخم تغنى به مجموعة من مطربي الكويت بالإضافة إلى أوبريت سندريلا.

ومن أشهر دواوينه، ديوان (وسمية وسنابل الطفولة) وهو أول عمل شعري يؤرخ للكويت القديمة وديوان (سالفة صمتي) وديوان (معجم الجراح) وديوان (حب العصافير).

خلال فترة الغزو الصدامي لدولة الكويت عام 1990، رفض الشاعر فائق عبد الجليل الخروج من الكويت مع عائلته.

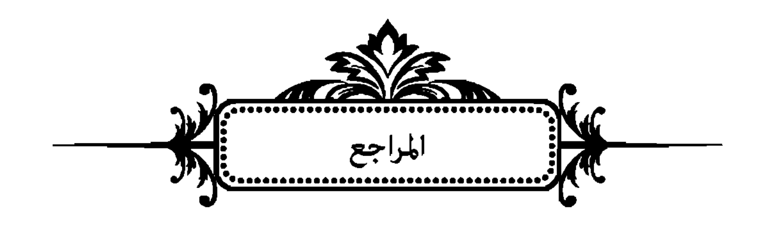
وبقي وحيداً في منزله إلى أن تم أسره من قبل قوات الاحتلال في الثالث من يناير عام 1991 بعد أن انكشف أمره بأنه الرأس المدبر للإنتاج وترويج أغنيات وطنية قصيرة تم انتشارها خلال تلك الأيام العصيبة.

تلك الأغاني قام بكتابتها وهي تحث المواطنين الكويتيين على الصمود والمرابطة وتهتف بمواقف الرفض والاحتجاج ضد الاحتلال الصدامي للكويت.

وكان يعتبر أشهر أسير كويتي لدى نظام الطاغية صدام حسين حسب تصنيف جريدة الشرق الأوسط الدولية.

وفي يناير عام 2005، تم العثور على رفاته في أحد المقابر الجماعية في العراق للأسرى الكويتيين حيث تم اعدامه برصاصة غدر في الرأس وتم دفنه في الكويت في العشرين من يونيو عام 2006 في مقبرة الصليبيخات بمراسم رسمية وبحضور كبار الشخصيات.

وبذلك يعتبر فائق عبد الجليل رحمه الله هو أول شاعر كويتي شهيد في تاريخ دولة الكويت منذ استقلالها عام 1961.



المراجع

1 - طه حسين، الأيام، دار المعارف
2 - الأدب العربي المعاصر في مصر، دار المعارف
3 - طه حسين والشعر الجاهلي: بين نفحات المستشرقين وظلال العرب.
4 - موسوعة أعلام الفكر العربي
5 - كتاب أباطيل وأسمار
6 - رسالة في الطريق إلى ثقافتنا
7 - من حوار د. نجم عبدالكريم مع الشيخ محمود شاكر (إذاعة الكويت بتصرف)
8 - تاريخ الكويت، عبدالعزيز الرشيد
9 - مجلة العربي
10 - حياة في الإدارة - د. غازي القصيبي
11 - صفحة غازي القصيبي على موقع أبجد
12 - الموسوعة العالمية للشعر العربي
13 - موسوعة أبحاث ودراسات في الأدب الفلسطيني الحديث - ياسين كتاني.
14 - بدر شاكر السياب، عبدالحسين شعبان - بيروت
15 - بدر شاكر السياب: دراسة في حياته وشعره، د. إحسان عباس
16 - موقع معرفة
17 - موقع رواء الأدب

18 - مجلة الوعي الإسلامي
19 - الإسلام والحضارة الغربية - محمد محمد حسين
20 - رفاعة الطهطاوي - مكتبة العرب
21 - تخليص الإبريز - الطهطاوي
22 - مفكرون من مصر - سامي خشبة
23 - توفيق الحكيم، ملامح رائد، موقع إسلام أون لاين
24 - أحمد السقاف حياته ومختارات من شعره - د. خليفة الوقيان
25 - موقع اللاذقية
26 - أعلام الأدب العربي المعاصر، روبرت كامبل
27 - إحسان عبدالقدوس يتذكر، د. أميرة أبو الفتوح
28 - إعادة النظر في كتابات العصريين في ضوء الإسلام، أنور الجندي
29 - كتاب مع الشعراء، زكي نجيب محمود
30 - "أنا"، عباس محمود العقاد
31 - عاشوا في حياتي، أنيس منصور
32 - معجم الأدباء
33 - موقع أبجد
34 - قصة رجال في الشمس، غسان كنفاني
35 - موقع غسان كنفاني
36 - ترحال الطائر النبيل، محمد عبدالرزاق القشعمي
37 - موقع القصة السورية
38 - الموسوعة العالمية للشعر العربي

39 – بوابة الشعراء
40 – أعيان الزمان وجيران النعمان في مقبرة الخيزران، وليد الأعظمي
41 – البغداديون أخبارهم ومجالسهم، إبراهيم عبدالغني الدروبي
42 – الموجز في الشعر العربي، السيد فالح الحجية الكيلاني
43 – موقع واي باك مشين
44 – مبدعون وجوائز، يوسف الشاروني
45 – الموروث الاسطوري في شعر نازك الملائكة، محمد رجب النجار
46 – أشجان عضو منتسب – يحيى حقي
47 – ظلال الكلمات المحكية، ليانة بدر
48 – أدب محمود تيمور للحقيقة والتاريخ، محمود بن الشريف
49 – الموسوعة التونسية
50 – تاريخ الأدب العربي الحديث، حنا الفاخوري
51 – خليل مطران الشاعر، ميشال جحا
52 – جريدة الحياة
53 – الأدب العربي عبر العصور، هدى التميمي
54 – فهد العسكر، للكاتب عبدالله زكريا الأنصاري
55 – مصطفى صادق الرافعي، سيرته وحياته، د. مصطفى نعمان السامرائي
56 – رواد الحركة الثقافية في الكويت، عالم المعرفة
57 – جبران خليل جبران، ميخائيل نعيمة
58 – شعراء الرابطة القلمية، نادرة سراج
59 – فصول من مسيرة البردوني الحياتية والشعرية، د. رشيد الخيون
60 – موقع الأزمنة

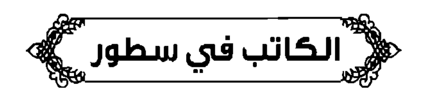


الفهرس

الموضوع	الصفحة
التصدير	5
المقدمة	7
1 - الأديب طه حسين	9
2 - الأديب جبرا إبراهيم جبرا	25
3 - الأديب محمود شاكر	29
4 - الأديب أحمد بشر الرومي	37
5 - الأديب غازي القصيبي	41
6 - الشاعر محمود درويش	49
7 - الشاعر بدر شاكر السياب	57
8 - الأديب نجيب الكيلاني	67
9 - الشيخ رفاعة رافع الطهطاوي	73
10 - الأديب توفيق الحكيم	83
11 - الأديب أحمد محمد السقاف	93
12 - الأديب إبراهيم عبدالمحسن العريض	96
13 - الروائي هاني محمد الراهب	99
14 - الروائي إحسان عبدالقدوس	105
15 - الأديب عباس محمود العقاد	113

16 - الأديب أنيس منصور	119
17 - الأديب فهد بن يوسف الدويري	125
18 - الأديب خالد سعود الزيد	128
19 - الكاتب مصطفى أمين	131
20 - الأديب محمد شكري	134
21 - الشاعر أحمد مشاري العدواني	141
22 - الأديب أحمد أمين إبراهيم الطباخ	147
23 - الروائي غسان كنفاني	150
24 - الأديب عبدالله زكريا الأنصاري	159
25 - الأديب عبدالرحمن منيف	162
26 - الأديب يوسف إدريس	165
27 - الأديب يوسف محمد السباعي	173
28 - الأديب محمود تيمور	178
29 - الأديب نجيب محفوظ	181
30 - الأديب مصطفى صادق الرافعي	192
31 - الأديب عبدالرزاق إبراهيم البصير	198
32 - الأديب حنا مينه	201
33 - الروائية أحلام مستغانمي	210
34 - الشاعر جبران خليل جبران	216
35 - الشاعر محمد مهدي الجواهري	231
36 - الشاعر نزار قباني	246

37 - الأديب مصطفى لطفي المنفلوطي	259
38 - الشاعر فهد العسكر	264
39 - الكاتب أحمد حسن الزيات	270
40 - الشاعر أحمد زكي أبو شادي	274
41 - الأديب عبدالله البردوني	280
42 - الأديب محمد ديب	283
43 - الشاعر خليل مطران	287
44 - الشاعر فاروق جويدة	293
45 - الشاعر محي الدين خريف	297
46 - الأديب عبدالكريم غلاب	301
47 - الأديب محمد تيمور	305
48 - الشاعرة فدوى طوقان	309
49 - الأديب محمد عبد الحليم عبدالله	313
50 - الأديب سعد مكاوي	323
51 - الأديب يحيى حقي	329
52 - الشاعرة نازك الملائكة	338
53 - الأديب عبدالرحمن الشرقاوي	342
54 - الأديب بهاء طاهر	346
55 - الشاعر معروف الرصافي	350
56 - الشاعر إيليا أبو ماضي	353
57 - الأديبة غادة أحمد السمان	357
58 - الشاعر الشهيد فائق عبدالجليل	363



الكاتب في سطور

ولد الكاتب في التاسع من أغسطس لعام 1980م في دولة الكويت، درس وتخرج من مدارسها وحصل على دبلوم في إدارة الأعمال.

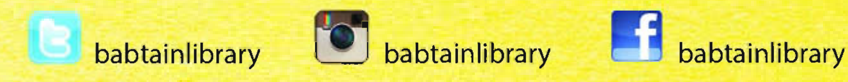
عمل بعد ذلك بعيداً عن تخصصه في المجال الإعلامي كمعد برامج تلفزيونية منذ عام 2003م.

وحباً منه للتاريخ الإسلامي بشكل خاص والعربي بشكل عام، لذا كانت بداياته في برامج السيرة النبوية العطرة وشخصيات تاريخية مختلفة بالإضافة للبرامج القصصية على شاشات تلفزة عديدة.

انتقل بعد ذلك إلى إعداد البرامج الثقافية والأدبية فتمخضت عن سلسلة حلقات حملت اسم (قصة قلم) على شاشة تلفزيون دولة الكويت.

وعمل كذلك مديراً للعديد من المكاتب الإعلامية. ومتفرغ حالياً للعمل الوثائقي التلفزيوني.

مكتبة البابطين المركزية للشعر العربي
دولة الكويت
هاتف : 22474011 - 22474010 (965+)
فاكس: 22474014 (965+)
الموقع الإلكتروني
www.albabtainlibrary.org.kw
المراسلات
ص.ب. 25019 - الصفاة - رمز 13111
عنوان المكتبة
شرق - شارع عبدالله الأحمد - بجوار المسجد الكبير ووزارة التخطيط


babtainlibrary

babtainlibrary

babtainlibrary


Info@albabtainlibrary.org.kw | Director@albabtainlibrary.org.kw